


مختصر كتاب

شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم

تأليف

أبى سعيد عبد الملك بن محمد النيسابورى الخركوشى

المتوفى (٤٠٦ هـ)

اختصار وتقديم

حمدى عبد المجيد



الجزء الأول

مختصر كتاب

شرف المصطفى

(الجزء الأول)

الخركوشى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم
النيسابورى، .... ـ ١٠١٦.
مختصر كتاب شرف المصطفى/ الحافظ
الخركوشى النيسابورى: اختصار وتقديم: حمدى
عبد المجيد. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٥.
٣٩٢ص مج ١؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٠٥٥١ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ السيرة النبوية.
أ ـ عبد المجيد، حمدى (مقدم)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٧٦٥/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977 - 91 -0551 - 2

ديوى ٢٣٩

مختصر كتاب

شرف المصطفى

الإمام الحافظ

الخركوشي النيسابوري

(المتوفى سنة ٤٠٦هـ)

اختصار وتقديم

حمدي عبد المجيد

(الجزء الأول)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥

المختصرات التراثية

- الكتاب: مختصر كتاب شرف المصطفى جـ ١
- تأليف : الإمام الخركوشى النيسابورى
- اختصار وتقديم : حمدى عبد المجيد
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الطبعة الأولى : ٢٠١٥ م

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www. egyptianbook. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg

- الغلاف والإخراج الفنى : صبرى عبدالواحد

- يقع الكتاب الأصلى فى ٦ مجلدات.
وتم اختصاره إلى جزأين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

يا رب أمتي، فيقول الحق انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل وفي الرابعة: فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجدًا فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: «لا إله إلا الله» رواه البخاري ويقرؤ (ﷺ) قول الله في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى (ﷺ) فأنزل الله إليه جبريل (عليه السلام) وقال: يا جبريل سل محمدًا: ما الذي يبكيك؟ -وهو أعلم- فنزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال (ﷺ): «أمتي أمتي يا جبريل، فصعد جبريل إلى الملك الجليل وقال: يبكي على أمته -والله أعلم- فقال الحق لجبريل: انزل إلى محمد، وقل له: إنا سنرضيك في أمتك» رواه مسلم.

يا رب أمتي يا رب أمتي إنه الوفاء العظيم لأمته، بل إنها الإنسانية عندما تحلق في الآفاق، الإنسانية في أروع صورها، الإنسانية التي تعدت حدود الزمان والمكان، ولن يدركها العقل إلا بقدر ما يسمح له، فله قدرات لا يستطيع أن يتعداها أو يخترق مبناها، وهنا تتجمع قلوب كل الآباء والأمهات النقية في قلب خير البشرية؛ ليجسد هو حبها وحنانها، فيفيض أنهارًا عذبة رقراقة ويزيدها حرصًا ويكسوها أملاً في ألا تغيب عنه أمته حتى في الحياة الأبدية، سنجد البشرية قد وصلت بل فاقت حدود الملائكية، ووصلت إلى علياء ما

فوقها علياء، وسماء ما بعدها سماء، ولنقل إنها الرحمة - وأي رحمة - الرحمة المهداة من الإله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

رحمة بدونها تفقد الإنسانية كل معانيها وتضيع منها كل أمانيها، رحمة تقودك إلى حيث العظمة والخلود، رحمة جعلته يبكي خوفًا على أمته التي بناها وأسسها وهداها ورسم لها خطاها، خوفًا على نفسه فقد اعتبرها نفسه وروحه واعتبر نفسه أمينًا عليها، ومن للأمانة غير محمد؟!! الذي ادخر دعوته لأمته؛ لتكتمل سعادته في أخراه كما بدأها في دنياه ادخر دعوته رحمة وعندما يقول أبو هريرة (رضي الله عنه): قيل: يا رسول الله ادع على المشركين فيقول (ﷺ): «إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة مرفوعًا «إنما أنا رحمة مهداة» بل يكافئ من سبه في غضبه (ﷺ): «أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته لعنة، فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فأجعلها صلاة عليه يوم القيامة» رواه أحمد.

لذا يقول المستشرق الإسباني جان ليك في (كتابه العرب: ص٤٣).

لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، كان محمد رحمة حقيقية وإني أصلي عليه بلهفة وشوق.

أمَّا عالم اللاهوت السويسري المعاصر د: هانز كونج والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسول فحسب، اختاره الله، فيقول: محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة، ولم لا يا سيد هانز هل رأى التاريخ وشاهد الزمان مثالاً كاملاً للإنسانية كما وجده في الحبيب محمد (ﷺ) الدستور الكامل للأخلاق الإنسانية، فهو صاحب

الإعلان الحقيقي لكل حقوق الكائنات التي خلقها رب الأرض والسموات، فمن للمرأة سواه فقد أعزها وسما بقدرها وقد كانت قبل مجيئه تراثًا يورث فهو يعلم متى ترضى عنه أمنا أم المؤمنين السيدة عائشة ومتى تغضب عليه، روى البخاري ومسلم أنه قال لعائشة يومًا: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى قالت -أي عائشة-: من أين تعرف ذلك؟ فيقول (ﷺ): «إذا كنت عني راضية قلت. ورب محمد، وإذا كنت علي غاضبة قلت: ورب إبراهيم فقالت له (رضي الله عنها) أجل يا رسول الله، والله ما أهجر إلا اسمك وتبكي أمنا أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي عندما يبرك جملها فيأتي النبي (ﷺ) ويمسح دموعها بيده ثم أمر الناس بالوقوف وعن أنس (رضي الله عنه) قال: خرجنا إلى المدينة قادمين من خيبر فرأيت النبي (ﷺ) يحوي لها -أي لصفية- وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب عليها، مشهد يفوق كل مشاهد التقدم العصري الإنساني، يرسم هناك على صفحة الرمال فكان لوحة بديعة لأسمى أخلاق يتعامل بها الرجال ولو قام الرجل في عصرنا بفتح باب سيارته لزوجته لنظر إليه الكثيرون نظرة احتقار وتقليل وتقول الدكتورة زيجرد هونكة الألمانية: إن محمدًا والإسلام شمس الله على الغرب، كان رسول الإسلام يعرف أن المرأة ستجد طريقها بجوار الرجل ذات يوم؛ لذا آثر أن تكون المرأة متدينة لها لباس معين، حتى تقي نفسها شر النظرات وشر كشف العورات ورجل بهذه العبقرية لا أستطيع أن أقول إلا أنه قدم للمجتمع أسمى آيات المثالية وأرفعها وكان جديرًا أن تظل الإنسانية مدينة لهذا الرجل الذي غير مجرى التاريخ برسالته العظيمة.

إذًا هذا هو محمد الجامع لخصائص العظمة الإنسانية العطوف الذي يرحم من حوله ويودهم ويصل حبال المودة لهم طوال حياته، وإن تفاوت ما بينه وبينهم من سن وأصل، يتعلق بعمه أبي طالب عندما أراد أن يسافر إلى الشام

وهو في الثانية عشرة من عمره: إلى من تتركني يا عم، عرف معنى اليتم وعرف مشاعره وهو طفل ولم يغب عنه الطفل وهو نبي وقائد ومعلم وزعيم، كان عند أنس (رضي الله عنه) أخ صغير يحبه كثيرًا وكان عند هذا الصبي الصغير عصفور صغير يحبه ويداعبه ولا يكاد يتركه ساعة واحدة، وكان رسول الله (ﷺ) كلما جاء إلى بيت أنس يسأل عن هذا الصبي الصغير، وقد كنَّاه رسول الله (ﷺ) أبا عمير وكان رسول الله (ﷺ) يداعبه بقوله: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟».

والنغير هو هذا العصفور الصغير الذي كان يلعب به الصبي وفي أحد الأيام جاء رسول الله (ﷺ) إلى بيت أنس وسأل كعادته عن الصبي الصغير، فأجابه أنس أن عصفور أبي عمير قد مات، وأن أبا عمير -ذلك الطفل الصغير- حزين جدًّا لموت العصفور، فأقبل رسول الله (ﷺ) إلى الصبي الصغير وأخذ يواسيه ويخفف عنه حزنه، وتبسم الصغير، وفرح لكلام النبي (ﷺ) ونسى حزنه على العصفور الصغير لما سمع الكلام الجميل من حبيبه (ﷺ) ثم حان وقت الصلاة، فقام أنس وكنس الأرض وفرش البساط ووقف رسول الله (ﷺ) ليصلي جماعة بأهل بيت أنس، وقف أنس وأهله وأخوه الصغير أبو عمير خلف رسول الله (ﷺ) وصلوا جماعة معه، والفرحة تغمر قلب أبي عمير ذلك القلب الصغير بعد أن أفاض عليه القلب الكبير (ﷺ).

إن عطف العظيم على الصغير لأكبر دليل على جدارة هذا العظيم بتلك العظمة؛ لأنها عظمة روح ونفس تشرق من الداخل، فيسطع ضوؤها على الدنيا، لذا أحب عمير صاحب القلب الكبير النبي (ﷺ) وحب العظيم المتمثل في ذلك العطف لفضيلة يشرف بها مقام العظيم في نظر بني الإنسان؛ لذا يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير: لقد قام الرسول (ﷺ) بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض، وكان (ﷺ) شيخًا قد قارب الستين فيأخذ بيد عبد

الرحمن بن عوف فيأتي ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره، فقال له: «يا بني، إني لا أملك لك من الله شيئًا» وذرفت عيناه، فقال له عبدالرحمن: يا رسول الله تبكي، أو لم تنه عن البكاء؟ فقال (ﷺ): «إنما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان، إنما هذه رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وسبيل نأتيه وأن آخرنا سيلحق أولنا، لحزنا عليك حزنًا أشد من هذا، وإنا بك لمحزنون، تبكي العين، ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب (عَزَّوَجَلَّ)» وتبلغ عاطفة الحزن مبلغها من النفس الإنسانية فتعتصرها عصرًا فيعاد عليه: أتبكي يا رسول الله (ﷺ) فيقول: «ريحانة وهبها الله لي وكنت أشمها» ولما خرج بإبراهيم خرج يمشي -والصحابة معه- ثم جلس على قبره ثم دُلِّي، فلما رآه رسول الله (ﷺ) وقد وضع في القبر دمعت عيناه، ولم لا؟ مات الصغير وذلك الأمل الكبير، إنها صدمة في ختام العمر، وليس في سجل الحنان الإنساني أجمل ولا أكرم يوم أن بكى على قبر أمه وقد قارب الستين ولا أعظم من حفاوته بمرضعته حليمة فيلقاها هاتفًا بها: أمي أمي وهو في الأربعين ولا أعظم من عطفه الذي شمل الأحياء والجمادات، يوصي بالفقراء ويذم الترفع على الخدم والفقراء فما استكبر من أكل مع خادمه، وركب الحمار بالأسواق وعفا عن رجل هم بقتله وهو نائم، كل ذلك وهو الزعيم والمعلم والرئيس الصديق الذي كان له من سلطان الدنيا كل ما كان للقائد المطلق اليدين في رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كل ما كان للنبي الذي يعلم من الغيب ما ليس يعلم أتباعه، وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه أكفأ الناس مهارة وأوقرهم مهابة، ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر، بسلطان الصديق الأكبر، بسلطان المودة والاختيار آناء الليل وأطراف النهار،

كذبوا فادعوا أن حرية الفكر كشف من كشوف الثورة الفرنسية وما بعدها ويحرمون على الحاكم أن يؤاخذ الناس بما فكروا به ما لم يتكلموا أو يعلموا ويكن في كلامهم وعملهم ما ينسبونه لأنفسهم، جرى عليه حكم النبي (ﷺ) قبل أربعة عشر قرنًا، وشرعه لأمته في أحاديثه حيث قال «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به».

وقال: «ديوان شند شرمة» في كتابه «أنبياء الشرق»:

لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدًا، بل نقول إنه روح الرأفة ورأفة الروح، وروح الرحمة ورحمة الروح، الذي بهره الجمال من صباه: جمال الشمس والقمر والليل والنهار والصحراء، جمال الوجوه التي يلمح عليها الحسن فيطلب عندها الخير إنما هو الخير يطلب من الجمال، والحقيقة أن الجمال عنده هو جمال الله وهو الذي كان يدعوه إليه كلما نظر إلى خلق جميل ففكر في الخلق فاهتدى وآمن بالخالق واستقر هنالك لا يتقدم ولا يتأخر، فنهاية التفكير آمنت بالله ورسوله وهذا هو العقل السليم المستقيم المخلوق لعبادة عامل ولم يخلق ليتقلب في الشكوك مثلما فعل «كانت» إمام المفكرين بين فلاسفة العصر الحديث الذي انتهى إلى أن النفس نفسان والوجود وجودان نفس حسية، نفس حقيقية، ووجود محسوس ووجود هو ذات الوجود والنفس الحقيقية تدرك الوجود الحقيقي عندما ترجع إلى قرارها، ثم لا تتخطى بإدراكها عالم الباطن إلى عالم المحسوسات التي يتناولها التعبير، أراح النبي (ﷺ) العقل البشري من كل تلك الشكوك فقال: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله».

ويقول مايكل هارت في كتابه المائة الأوائل:

«كان محمد الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته إلى أقصى

حد، سواء على المستوى الديني أم المستوى الزمني».

هذا هو نبينا (ﷺ) المثال النادر لجمال الرجولة العربية ظاهرة وباطنة، كان يتفكه ويمزح، كما كان يستريح إلى الفكاهة فيعطيها حقها، ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمروءة، فاستراحته إلى الفكاهة: هي مقياس تلك الآفاق النفسية الرحبة التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الإنسانية، وهي المقياس الذي يبدي من العظمة ما يبديه الجد في أعظم الأعمال، ولقد كان أحرص إنسان على جبر القلوب، وتطبيب الخواطر، الحرص على المؤاخاة، والابتعاد عن الإساءة، لم يُرمادّا رجليه بين أصحابه، لم ينفخ أو يتنفس في طعام، لم يكن أحد يشكو من محضره بإنصاف وذلك هو ملاك التهذيب الكامل في أصدق معانيه...

صاحب هذا الوصف رسول.

صاحب هذه القيم والسلوك والآداب رسول.

وخلاصة سمته وآدابه: أنها سماحة في الأنظار، وسماحة في القلوب، فالسماحة هي الكلمة الوحيدة التي تجمع هذه الخصال بكل حدودها بل نقول: إن رُوح محمد (ﷺ) هي التي كست السماحة أروع معانيها، فهو منشؤها وبانيها وللبشرية مهديها ووصل بها إلى ذروة الكمال الذي لا يطال، ويقول الفيلسوف والأديب الروسي تولستوي:

مما لا ريب فيه أن النبي محمدًا من أعظم الرجال المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمات جليلة، ويكفيك فخرًا أنه هدى مئات الملايين إلى نور الحق، وإلى السكينة والسلام، وفتح للإنسانية طريقًا للحياة الروحية العالمية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وإلهامًا وعونًا من السماء... وبعد

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

كانت تلك مقدمة لنذر يسير وقليل من كثير وقطرات من بحار، ورشفات من أنهار لأنني -أو أي إنسان- مهما أوتي من رجاحة العقل وسعته فلن يستطيع أن يلمس ولو جزءًا من حياة خاتم الأنبياء والمرسلين، ولن يستطيع قلم أن يسطر ولو جانبًا واحدًا من عظمة تلك الشخصية؛ إنه كما يقول جوته كبير الأدباء في ألمانيا: «إنه المثل الأعلى للإنسان» ونقول كما يقول العقاد في عبقرية محمد: «في نفسه بالغ العظمة وفاق كل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بني الإنسان في عصور الحضارة، ومكان هذه العظمة لن يكون إلا في التاريخ؛ لأن التاريخ كله بعد محمد متصل به مرهون بعمله، وأن حادثًا واحدًا من أحداثه الباقية لم يكن ليقع في الدنيا كما وقع لولا ظهور محمد وظهور عمله، فلا فتوح الشرق والغرب ولا حركات أوربا في العصور الوسطى ولا نهضة العلوم ولا الصراع بين كل الأمم في العالم ولا الثورات، ولا حادثة قومية أو عالمية كانت واقعة في الدنيا كما وقعت لولا ذلك اليتيم الذي ولد في شبه الجزيرة العربية بعد خمسمائة وواحد وستين عامًا من مولد المسيح كان التاريخ شيئًا فأصبح شيئًا آخر، فبذلك المولود تفتحت للإنسانية آفاق جديدة نحو المثل العليا التي تأخذ بيدها إلى طريق النجاة طريق محمد، الرحمة التي مدت يدها لتنقذ الإنسانية»، فيقول برنارد شو: «بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحدًا سوى محمد كان صاحب رسالة وباني أمة، ومؤسس دولة هذه الثلاثة التي قام بها محمد، كانت متلاحمة وكان الدين هو القوة التي توحدها على مر التاريخ».

ولكن آن الأوان أن نقدم سيرته (ﷺ) للعالم ليعرف من هو محمد، وحتى لا يتطاول عليه الحاقدون المتعصبون وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام ولقد تغيرت الدنيا بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ ألا وهو

محمد ولكن قبل كل ذلك يجب أن نعرفه نحن أولاً أبًا وأخًا ومعلمًا وهاديًا ونبيًا وقائدًا ومنقذًا ومصلحًا وزوجًا وشفيعًا، يجب أن نبحث عن محمد داخلنا بل يجب أن نراه أمامنا في مساجدنا ومزارعنا ومدارسنا وشوارعنا وحدائقنا وأماكن أعمالنا ولنسأل أنفسنا هل محمد موجود في حياتنا؟ أنتكلم كما كان يتكلم؟ أنتراحم كما كان يتراحم؟ أنتسامح كما كان يتسامح؟ أنعامل أطفالنا وزوجاتنا وخدمنا مثلما كان يعاملهم؟ أنعبد الله كما كان يعبده هو؟ أنصوم كما كان يصوم؟ أنبنصر ديننا كما كان ينصره هو؟ أنتعامل مع موارد الحياة كما كان يتعامل؟ من ماء، وزروع وأشجار وبحار وأنهار، أنتخذه قدوة نسير على خطاه، وأسوة نتنسم عبير شذاها؟ هل صار محمد (ﷺ) حبيبنا حقّاً في قلوبنا أم هي المظاهر الخادعة التي تشير إلى أننا نعاني انفصامًا كبيرًا في حياتنا حيث خلت من وجود المصطفى فغدت معيشة ضنكًا حدنا فيها عن طريق المصطفى، فتناولتنا الكلاب الجائعة والذئاب الضارية ونحن لا حول لنا ولا قوة فكنا:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

لقد أرسل الله لنا المثل الأعلى للإنسانية وعرفه لنا من خلال كتابه العزيز فقد زكاه في:

١- عقله فقال سبحانه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢).

٢- صدقه فقال سبحانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ (النجم: ٣).

٣- صدره فقال سبحانه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

٤- فؤاده فقال سبحانه ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم: ١١).

٥- ذكره فقال سبحانه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

٦- طهره فقال سبحانه ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ (الشرح: ٢).

٧- علمه فقال سبحانه ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ (النجم: ٥).

٨- حلمه فقال سبحانه ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة: ١٢٨).

٩- زكاه كله فقال سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم: ٤).

بل وأمرنا الله باتخاذه قدوة وأسوة حين قال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال الحبيب (ﷺ): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي».

ولكن حالنا يؤكد أننا بعيدون عن دربه، متخذون طريقًا آخر نسير فيه بغير هدى تقودنا فيه الأهواء والشهوات وتداعت علينا سائر الأمم عظيمها وحقيرها تداعت على مَنْ؟! على أمة محمد (ﷺ) يا للفاجعة بل وياللندم يوم لا ينفع الندم، محمد الهادي البشير الرحمة المهداة.

محمد سيد الكونين والثقلين   والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهي فلا أحد   أبر في قول لا منه ولا نعم

وأول الطريق للعودة إلى جادة الصواب هي أن نعرف نبينا معرفة الحبيب المشتاق إلى نور القمر في الليلة الظلماء، الظامئ إلى نهر الحقيقة، الباحث عمن يأخذ بيده إلى رضوان الله، الباحث عن حقيقة الإيمان لذا رأيت من نفسي ادعاءها حب هذا النبي الكريم ورغبتها في التقرب من خالقها مع ضعف العمل، ووهن الهمة وقلة الرصيد، فكان لابد من تكليفها بالتحليق في سماء سيرته (ﷺ) والتجول في بستانه الرَّحب المملوء أزهارًا ورياحين تهدي

الحيارى الضائعين علّها تستطيع قطف شيء من تلك الثمار اليانعة والطاقات الساطعات مع يقيني باستحالة أن ينفك دارس حياته (ﷺ) إيمانًا به وحبًّا له ثم لا يرجع من ذلك بكنوز من فضائلها ودرر من محاسنها أو يحل عليه شيء، من شذى بركاتها وأسرارها ويمنح من كراماتها ظنًا يصل إلى دائرة اليقين عملاً بقول الله على لسان نبيه: «أنا عند ظن عبدي بي». وها هو قلبي امتلأ نورًا ليس ككل الأنوار وشوقًا إلى الحبيب المختار وتظل سيرته (ﷺ) قبلة المؤرخين والفقهاء والدارسين؛ لأنها مرسومة بقدر الله ومصونة برعاية الإله، ومن في تاريخ البشرية لا تدرس سيرته، إن لم تدرس سيرة الحبيب؛ لأنها عمود الإيمان السامق وإليها يهفو كل شائق وهي محور الدنيا والأمل في الآخرة، لذا نقدم هذا المختصر مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى والذي يقع في ستة أجزاء.



ترجمة المؤلف

هو الإمام الهمام الفقيه شيخ الإسلام، العلامة، الزاهد، المنقطع العابد، القوام، الواعظ الموفق لفعل الخيرات على الدوام، الرحالة، نزيل مكة، مجاور بيت الله الحرام، الشيخ السخي المقدام، خادم سنة خير الأنام، أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشي، منسوب إلى سكة نيسابور، أحد المشهورين بأعمال البر، الموفق في العلن والسر الناشئ في بيت علم وصلاح، فقد كان أبوه ممن صحب أهل العلم القراح، فجالس أبو سعد الزهاد والمجردين، إلى أن جعله الله سبحانه وتعالى خلفًا لجماعة ممن تقدمه من العلماء العاملين والعباد والمجتهدين والزهاد القانعين، ولم يقف أحد على تاريخ ميلاده.

رحلاته:

رحل أبو سعد مؤلف كتابنا -موضوع التلخيص- في طلب العلم والحديث إلى العراق وسمع بالعراق بعد السبعين والثلاثمائة من الهجرة ثم خرج إلى الحجاز، والديار المصرية، فأدرك الكبار من العلماء والمحدثين.

أساتذته: ولقي أبو سعد من العلماء والمحدثين وأخذ عنهم وقد بلغوا تسعين نذكر منهم:

١- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء، أبو إسحاق الإبزاري.

٢- إبراهيم بن عبد الله، أبو إسحاق الأصبهاني.

٣- إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سَيِّبُخْت، أبو الفتح البغدادي.

٤- إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه المزكّى، الحافظ أبو إسحاق النيسابوري.

٥- إبراهيم بن محمد الدينوري.

٦- أحمد بن إسماعيل بن يحيى بن حازم، أبو الفضل الأزدي.

٧- أحمد بن جعفر، أبو الحسن اليزيدي.

٨- أحمد بن علي الإسفراييني، أبو علي الحافظ.

٩- أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو سعيد الجوزي.

١٠- أحمد بن محمد بن إسماعيل السفياني، الهروي.

١١- أحمد بن محمد بن حمدان، أبو حامد المرادي العدل.

١٢- أحمد بن محمد بن زياد، الإمام الحافظ أبو سعيد بن الأعرابي.

١٣- أحمد بن محمد بن سعيد الحيري، وهو: أحمد بن أبي بكر بن أبي عثمان بن إسماعيل النيسابوري الشهيد أحد أئمة الحديث.

١٤- أحمد بن يعقوب بن عبد الجبار القرشي، أبو بكر الجرجاني.

١٥- إسحاق بن زوران بن قهزاد السيرافي، الفقيه الشافعي.

١٦- إسماعيل بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز، الحافظ أبو سعيد الخلال الجرجاني، النيسابوري.

١٧- جعفر بن الفضل بن خنزابة المصري، وزير كافور.

١٨- حسان بن محمد بن أحمد بن هارون، الحافظ أبو الوليد شيخ خراسان.

١٩- الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد الماسرجسي الحافظ.

٢٠- عبد الرحمن بن محمد بن عبد متَّويه، أبو القاسم البلخي.

٢١- عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الجوبري، أبو الحسن التميمي، العدل.

٢٢- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير بن عطاء بن وائل القرشي، أبو سعيد الرازي.

٢٣- عبد الوهاب بن عبد الله الدمشقي.

٢٤- علي بن داود المقرئ، أبو الحسن الداراني، إمام جامع دمشق.

٢٥- علي بن عمر، الحافظ: أبو الحسن الدارقطني.

٢٦- علي بن محمد بن إسحاق، أبو الحسن الإصطخري.

٢٧- محمد بن إبراهيم، أبو عثمان الخركوشي (والده).

وقال الحافظ ابن عساكر: قدم دمشق سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وكانت قد ظهرت عليه العزيمة والإصرار والمثابرة على تلقي العلم وظهر ذلك جليًّا من كثرة أساتذته، وبعد أن استفاد أبو سعد من رحلاته في طلب العلم، خرج إلى الحجاز رغبة في المجاورة، حيث مهبط الوحي ومهوى الرسالة، فأقام في رحابها ثلاث سنوات بدءًا من سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة من الهجرة، وخرج إلى مكة وأقام بها مجاورًا واستفاد في سنوات المجاورة من الوافدين من أهل العلم وبذل نفسه وماله للغرباء والفقراء المنقطع بهم، ولطلبة العلم، وانتفع به كثيرون وتخرج على يديه أئمة هم في الحفظ جهابذة وفي الحديث أركان، وقد روى عنه من الأعلام:

الحاكم - صاحب المستدرك- قال الحافظ ابن عساكر: روى عنه الحاكم، وهو أسند منه، وقال الذهبي: روى عنه.

تلامذته:

١- **الحاكم:** وهو أكبر منه في الإسناد وعلم الحديث، فإنه من أقرانه وقد أخرج عنه في كتابه هذا عدة أحاديث.

قال الحاكم في تاريخه - فيما رواه عن البيهقي رحمهما الله: عبد الملك ابن محمد بن إبراهيم، أبو سعد بن أبي عثمان الواعظ، الزاهد تفقه في حداثة السن وزهد، وجالس الزهاد والمجردين، إلى أن جعله الله خلفًا لجماعة ممن تقدم من العباد المجتهدين والزهاد القانعين، سمع بنيسابور، وقال يحيى بن يمان:

كان الفقراء في مجلس مؤلف كتابنا كالأمراء، وقد وفقه الله لعمارة المساجد والحياض والقناطر والدروب وكسوة الفقراء العراة من الغرباء والبلدية، حتى أنه بنى دارًا للمرض بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور، وكَّل جماعة من أصحابه المستورين بتمريضهم، وحمل مياههم إلى الأطباء من شراء الأدوية لهم، ومن شفي منهم كساه، وزوده بالرجوع إلى وطنه.

وصنف في علوم الشريعة، ودلائل النبوة، وفي سير العباد والزهاد كتبًا نسخها جماعة من أهل الحديث وسمعوها منه، وسارت تلك المصنفات في بلاد المسلمين تاريخًا لنيسابور وعلمائها الماضين والباقين، ولا يباهى بأجمع منه علمًا وزهدًا وتواضعًا وإرشادًا إلى الله تعالى. وذكره وإلى شريعة نبيه المصطفى.

وممن أخذ عنه من الحفاظ الجهابذة.

٢- **الإمام الفقيه الحافظ:** أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، فقد روى عنه واستفاد منه في دلائله.

٣- **الإمام الزاهد أبو القاسم القشيري**، صاحب الرسالة القشيرية في السلوك وآداب الطريق.

٤- **الحافظ مسند خراسان ومحدثها** أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري.

٥- **محدث العراق الحافظ المتقن.** أبو محمد الحسن بن محمد الخلَّال.

٦- **الإمام مقرئ الآفاق**، صاحب القراءات والحروف أبو علي الحسن بن علي ابن إبراهيم الأهوازي.

٧- **الإمام مسند الوقت، نحوي زمانه:** أبو بكر أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي ثم النيسابوري، ويقال هو آخر من حدث عنه من أهل نيسابور.

٨- **علي بن عثمان الأصبهاني البيِّع المحدث.**

٩- **الإمام المحدث:** عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الآزجي.

١٠- **الإمام الحجة، المحدث، مسند العراق:** أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي بالله.

١١- **محمد بن الحسن الخمازي.**

١٢- **عبد الجبار بن عبد الله بن إبراهيم بن برزة الأردستاني.**

١٣- **الإمام الفقيه القاضي:** أبو القاسم علي بن عبد المحسن بن علي التنوخي، المهدي ثم البغدادي، راوي كتاب الأشربة للإمام أحمد بن حنبل، وابن صاحب كتاب الفرج بعد الشدة.

١٤- **عبد الوهاب بن الميداني الدمشقي.**

١٥- **على الحنائي.**

ثناء الأئمة عليه

أثنى عليه الخطيب البغدادي في تاريخه فقال عنه: كان ثقة صالحًا ورعًا زاهدًا؛ وكذلك قال ابن الجوزي، وقال الحافظ ابن عساكر في التبيين: إن الشيخ أبا الحسن عبد الغافر بن إسماعيل أجازه وقال: عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو سعد الزاهد الخركوشي الواعظ الأستاذ الكامل أحد أفراد خراسان علمًا وزهدًا وورعًا وخشية وطريقة تفقه على أبي المحاسن الماسرجسي ثم ترك الجاه وجالس الزهاد، ولزم العمل، وحج وجاور ثم رجع إلى خراسان وكان يعمل القلانس ويأمر ببيعها بحيث لا يدرى أنها من صنعته، ويأكل من كسب يده، وبنى في مسكنه المدرسة ودار المرضى، ووقف أوقافًا عليها، ووضع في المدرسة خزانة للكتب وصنف أعدادًا من الكتب وكان يستسقي ويقول:

إليك جئنا وأنت جئت بنا ... وليس رب سواك يغنينا

بابك رحب فناؤه كرم ... تؤوي إلى بابك المساكينا

ثم يدعو اللهم اسقنا قال مما أتم ثلاثًا حتى سقينا كأفواه القرب.

وذكره الحافظ الذهبي في مواضع من كتبه فكان مما قال الإمام القدوة شيخ الإسلام الواعظ قال: كان أبو سعد ممن وضع له القبول في الأرض وقال التاج السبكي في طبقاته: كان فقيهًا، زاهدًا من أئمة الدين وأعلام المؤمنين ترتجى الرحمة بذكره.

وقد تعرض لذكر كتابه الحافظ السمعاني عند ترجمته للمؤلف في الأنساب قال: صنف في علوم الشريعة ودلائل النبوة -كذا- وفي سير العباد والزهاد وكذلك قال الحافظ الذهبي في تاريخه وفي سيره أيضًا وتعرض لكتابه أيضًا صاحب هدية العارفين والزركلي.

مؤلفاته

١- شرف المصطفى وهو الكتاب موضوع تلخيصنا، والذي ربما عبر عنه حين ترجم له بدلائل النبوة أو شرف النبوة.

٢- تهذيب الأسرار في مقامات الأخيار، وربما عبر عنه من ترجم للمصنف بسير العباد والزهاد.

٣- الفتوة، أشار إليه المصنف في باب آداب النبي (ﷺ) فقال ومن السنة ما ذكره النبي (ﷺ). عند الاستيقاظ من النوم وهي دعوات مشهورات ذكرتها في باب الدعاء من كتاب الفتوة.

٤- البشارة والنذارة، كتاب في تعبير الرؤيا.

٥- كتاب في التفسير، ذكر الذهبي أنه كتاب كبير لكن لم يسمه.

٦- وكتاب شعائر الصالحين.

٧- وكتابه: لوامع.

أهمية الكتاب

تشرف العلوم وتفضل على بعضها البعض، بشرف وفضل موضوعها ومن هنا علم شرف وفضل القرآن الكريم وعلومه على سائر الكتب وعلومها وإن موضوع كتابنا هو سيرة النبي (ﷺ) من حيث أقواله وأفعاله وأحواله وأوصافه وما يتعلق بدلائل نبوته (ﷺ) وعلاماتها وغير ذلك مما هو معروف اعتقاده من أصول الدين، لذا تأتي أهمية موضوع هذا الكتاب وشرفه وفضله إذ هي الشريعة بعينها، فهو (ﷺ) الدال على الله بما يصدر عنه ومنه (ﷺ) ومن هنا ظهرت الحاجة لكل الخلق إلى النبي (ﷺ) ومعرفة أحواله ودراسة سيرته ومعرفة ما يصدر عنهم فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧) فإذا تبين لنا هذا عرفنا أن حال كتب الشمائل والفضائل والسير حال غيرها من كتب السنة والفقه والأحكام والعقائد بل هي الأصل فيها؛ إذ جميعهم: أهل الحديث والفقه والأصول واللغة على اختلاف مذاهبهم وفهمهم للنصوص لم يتعدوا ما صدر عن هذه الذات النبوية الشريفة المؤيدة بروح القدس، ولا تجد أحدًا منهم إلا وقد اعتمد فيما ذهب إليه على ما صدر منه (ﷺ) والخلاصة أن سعادة العبد في الدارين متوقفة على أمرين متعلقين بذاته الشريفة الأول: هديه (ﷺ) وهو الذي يتوصل به إلى سبيل الله ورضوانه.

الثاني: محبته (ﷺ) التي لا تأتي على الحقيقة إلا بدراسة سيرته فالقلب لا يشغف بحب أحد إلا بعد التعرف عليه عن قرب ومخالطته بالتعايش معه وهو ما حدا بكثير من المصنفين إلى التأليف فيها ومنها صاحب كتابنا هذا.

قال صاحب الكتاب أبو سعد مبينًا سبب تأليفه وجمعه، حدا بي إليَّ أن أجمع شرف النبي (ﷺ) حبه والأنس بذكره لأن من أحب شيئًا أكثر ذكره ولكي يكثر الصلاة عليه رسمًا ونطقًا.

لقد أصاب المؤلف كبد الحقيقة بكلامه السابق فتعظيمه (ﷺ) وإظهار شرفه واعتقاد أفضليته من أصول الدين وإذا كان الله (عز وجل) قد شرفه وخصه وميزه عن سائر الخلق بمزايا أظهرها في كتابه العزيز ونبه على أهميتها للمؤمنين، فإن من نشر هذه المزايا وأثبتها في العقول والقلوب واعتقد بإنصافه بتلك الأخلاق السامية وأشار إليها كما في ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) كان بذلك مثبتًا لله تعالى ما أثبته لنبيه (ﷺ) وذلك من واجبات الإسلام وصريح الإيمان في كل زمان ومكان، وكذلك من أثبت له (ﷺ) ما صح من

الأخبار والأحاديث في شرفه ومعجزاته إذ هي بمنزلة الكتاب لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤) ولقوله (ﷺ): «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»، وبها يستعان على إثبات رسالته والاستدلال على نبوته وهذا مذهب أهل السنة والجماعة كما يفهم من كتب أصولهم، والأصل فيه عندهم الآيات التي نوهت بعظيم قدره، والأحاديث المروية التي أشارت إلى عظيم شرفه.

قال الحافظ أبو محمد الدارمي (رحمه الله) في مسنده عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبي (ﷺ) ينتظرونه، فخرج إذ دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فتسمع حديثهم فإذا بعضهم يقول: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلاً، فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: وآدم اصطفاه الله، وخرج عليهم وسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر..» الحديث.

وما نحن بصدده إظهار فضائل نبينا (ﷺ) ومعرفة المزايا التي جعلته في أعلى منزلة وأعظم مقام.

وعلى الأساس الذي أسسوه والمبنى الذي أصلوه بين لهم النبي (ﷺ) فضله وأفضليته على جموع الأنبياء والمرسلين وأغفل (ﷺ) في بيانه ما خصه الله به من عظيم الأخلاق، والأخلاق العظيمة التي مدحه بها في كتابه بآيات تبين تفرده بها على سائر الأنبياء إذ لم يكن ذلك عندهم مما أسسوه في بحثهم مع كونها داخلة فيه بل هي في الحقيقة أساس أساسهم وأصل مبناهم، لاعتنائه سبحانه وتعالى به (ﷺ) أشد الاعتناء، بل وأعظم الاهتمام وأشار سبحانه

في آيات كثيرة من أجلها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وتؤكد السيدة عائشة (ﷺ) أمنا أم المؤمنين حين سئلت عن خلقه فقالت: «كان خلقه القرآن»، أي أن ما في القرآن من أخلاق وفضائل ومكارم وآداب مجسدة في شخصه الكريم العظيم، وعلم على وجه الحقيقة أنه لم يجمع هذه الأمور كلها من الأنبياء والرسل غيره (ﷺ) ومن الآية والحديث مع قوله (ﷺ) «أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا».

فليس ثمة مقام أعلى من مقامه (ﷺ) لذا نقول بكل ثقة ويقين لا أحد يساويك يا حبيبنا فضلاً من العالمين لذا قطعنا بأفضليتك على من تقدمك من الأنبياء والرسل والعالمين.

ومما تجدر الإشارة إليه الجهد الموفور والعمل الرائع المشكور للسيد: أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي محقق هذا الكتاب، إذ خرج عن المعهود في سائر العهود في مجال التحقيق فقد قام بالآتي:

١- أعاد ترتيب أبواب الكتاب بما يتناسب والأحداث التاريخية للسيرة.

٢- أعاد ترتيب الأحاديث المنشورة والمسرودة.

٣- ترجم لأحاديث المعجزات في فصول بعد تفنيدها ثم جمعها ورتبها.

٤- قام بعمل ترجمة لرجال الأحاديث المسندة في أول كل موضع.

٥- قام بتخريج أحاديث الكتاب وآثاره ما أمكن له مع ذكر أقوال المحدثين فيه.

٦- اعتنى بتخريج الأحاديث وتوثيق النصوص.

واعتمد على الأصول الخطية منها: نسخة من مكتبة برلين، وأخرى نسخة

المكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة من المتحف البريطاني وهذه النسخ هي التي اعتمد عليها محقق هذا الكتاب موضوع التلخيص وإن كانت النسخة الظاهرية المرجع عند الاختلاف.

وها هي الأجزاء الثلاثة الأوائل مختصرة في هذا الجزء يحلق بنا مع الحبيب حتى قبل أن يولد فنعيش لحظات انتظار الإنسانية تشريفه، ليعيد تكوينها من جديد، ويقودها إلى عالم النور والمثل العليا، سنرى اللحظة الحقيقية لميلاد هذا الكون فيه (ﷺ) رؤية عين كأنها الشمس تشرق كل يوم فتضيء الكون وتحي أنفسنا سنراه (ﷺ) يسير ثم يخترق السبع الطباق ويصل إلى نور الرحمن في مرتبة لم ولن يصل إليها إلا محمد (ﷺ) هدية السماء لأهل الأرض وما أعظمها من هدية، لقد عشت هذا الكتاب بروحي وقلبي فكلي شوق للحبيب من خلال كلمات وقفت شامخات على الأسطر متباهيات ولم لا إنها ترجو أن تعبر عن أفعال وأقوال أعظم إنسان عرفه الزمان وسعد به المكان لقد شق الصدر ونزع منه قلبه الخافق وهو طفل في معجزة إلهية قادت إلى إنقاذ البشرية فقد غسلته الملائكة وملئ حكمة وحلمًا وعلمًا، لذا وجب علينا أن يطوف نبينا العالم من خلال عقولنا الواعية وقلوبنا المتواجدة، علَّنا نوفي، وما أرانا؟!.

حمدي عبد المجيد



مقدمة المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الورع الصالح أبو المناقب: محمد ابن الإمام العالم الفقيه أبي الخير: أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالعاني الحاكمي القزويني أثابه الله وأعانه -قدم علينا طالبًا للحج- بقراءتي عليه بمقصورة الحنفية الشرقية من جامع دمشق حرسها الله في آخرين رحمهم الله في مجالس أولها يوم الأحد ثامن وعشرون من شهر رمضان وآخرها العشرون من شوال سنة سبع وتسعين وخمسمئة قال: أخبرنا والدي الإمام العالم الفقيه رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني (رحمه الله) قراءة عليه وأنا أسمع في مدة آخرها شهر الله الأصم رجب سنة اثنتين وستين وخمسمئة في آخرين رحمهم الله، قال: أخبرنا الإمام العالم ناصح السنة أبو القاسم عبد الملك بن معافى التنوخي (رحمه الله)، قال: أخبرنا الإمام العالم الأستاذ الفقيه أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (رحمه الله) قال: أخبرنا الإمام العالم الفقيه الواعظ أبو سعد: عبد الملك بن الإمام أبي عثمان محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي قال:

الحمد لله الذي تجلى لقلوب أهل الولاية بأنوار الهداية، وحفظهم بدوام الكلاءة، والحمد لله الحي المعبود الواحد الموجود، والحمد لله الحميد المحبب الفعَّال لما يريد، ذي الفضل العظيم والطول الكريم، ناصر الحق وأهله، وقامع الباطل وحزبه، وجاعل العاقبة للمتقين، والحمد لله الذي أظهر من بدائع آثار سلطانه آيات ألوهيته، والحمد لله الذي أنعم فأجزل، وأعطى فأكثر، والحمد لله الذي خلق فأتقن، وصنع فأحكم، وحكم فعدل، وقال فصدق، ووعد فأنجز، وأنعم فأسبغ، والحمد لله الذي اصطفى محمدًا (ﷺ) صفوته، وساق

إلى الجنة زمرته، وفرض الإسلام ملَّته، والكعبة قبلته، وجعل خير الناس أمته، وأنزل عليه صلاته ورحمته وبركته.

فصلى الله على محمد الهادي إلى الجنة ومسالكها، والمحذر من النار ومخاوفها، والمتحنن على أمته، والرؤوف بهم، المبعوث من جبال تهامة، بالأنوار التامة، والحجج الباهرة، والبراهين الزاهرة، والآيات الظاهرة، فصلوات الله على النبي الأمي، والرسول العربي، الهادي المهدي، الطاهر الزكي، النقي الوفي، التقي السمح السخي، الجواد، الأريحي الألمعي، الهاشمي القرش، المكي المدني، السيد السني، الأبطحي العربي، صفيّ ربه، وخازن وحيه، ونجي سرّه، وأليف محبته، وربيب نعمته، وخطيب توحيده، وشمس رسله، وقمر أنبيائه، وسراج دينه، خير من علا المنبر، ولبَّى وكبّر، وسعى ونحر، وطاف وجمَّر، ومن أعطى الكوثر: محمد بن عبد الله، صلى الله عليه أفضل وأكمل وأجمل، وأعلى وأعظم، وأجلّ وأطيب، وأظهر وأطهر، وأنمى وأزكى، وأشرف وأتم، وأعم وأكفى، وأكبر وأكثر، وأنفع وأرفع، وأبلغ ما صلى على أحد من خلقه، وعلى الطيبين الطاهرين الأخيار، المنتخبين المباركين الأبرار، وسلم تسليمًا.

قال الأستاذ الفقيه أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان محمد الواعظ (رحمه الله): قد حداني إلى جمع شرف المصطفى محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) حبه والأنس بذكره، لأن من أحب شيئًا أكثر ذكره، ولأنه (صلى الله عليه وسلم) حكم «أن المرء مع من أحب»[1]،

---

(١) قوله: «أن المرء مع من أحب»:

أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وأبي موسى، وأنس بن مالك.

فأما حديث ابن مسعود، فأخرجه البخاري في الأدب: باب علامة حب الله، رقم ٦١٦٨، ٦١٦٩، ومسلم في البر والصلة، رقم ٢٦٤٠ (١٦٥). وأما حديث أبي موسى، فأخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم ٣٦٨٨، وفي الأدب: باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، رقم ٦١٦٧، وفي باب علامة الحب في الله، رقم ٦١٧١ وفي الأحكام: باب القضاء والفتيا، رقم ٧١٥٣، وأخرجه مسلم في البر والصلة برقم ٢٦٣٩ (١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤).

ولكي أكثر الصلاة عليه رسمًا ونطقًا، فإن الدعاء بين الصلاتين لا يرد.

وكأن المصنف في قوله «فإن الدعاء بين الصلاتين لا يرد» يشير إلى قول أبي سليمان الداراني (رحمه الله): من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي (ﷺ) وليسأل الله حاجته، وليختم بالصلاة على النبي (ﷺ) فإن الصلاة على النبي مقبولة، والله أكرم أن يرد بينهما.

وذكره الشيخ ابن القيم في جلاء الأفهام وقال: الصلاة على النبي (ﷺ) للدعاء مثل الفاتحة من الصلاة، وللصلاة عليه (ﷺ) مواطن تشرع فيها أمام الدعاء، لأن مفتاح الدعاء الصلاة على النبي (ﷺ) كما أن مفتاح الصلاة الطهور، وله ثلاث مراتب:

إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمده الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

وأما المرتبة الأولى: فالدليل عليها حديث فضالة بن عبيد وقول النبي (ﷺ) فيه: إذا دعا أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي (ﷺ) ثم ليدع ما يشاء.

وقال الترمذي: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: كنت أصلي والنبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر معه، فلما جلسا بدأت بالثناء على الله، ثم بالصلاة على النبي (ﷺ)، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي (ﷺ) سل تعطه.

وقال عبد الرازق: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل الله فليبدأ بحمده والثناء

عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي (ﷺ) ثم يسأل بعده، فإنه أجدر أن ينجح أو يصيب.

وأما المرتبة الثانية: فقال عبد الرزاق: عن الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا تجعلوني كقدح الراكب» - فذكر الحديث - وقال: «اجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره».

أما المرتبة الثالثة: في حديث علي: ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد (ﷺ). فإذا صلى على النبي (ﷺ) انخرق الحجاب، واستجيب الدعاء، وإذا لم يصل على النبي (ﷺ) لم يستجب الدعاء.

وفي حديث عمرو بن عمرو قال: سمعت عبد الله بن بشر يقول: قال رسول الله (ﷺ): «الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله (عز وجل) وصلاة على النبي (ﷺ) ثم يدعو يستجاب لدعائه».

والحديث الآخر الذي رواه عمرو بن عمرو الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير عنه عن النبي (ﷺ): «من استفتح أول النهار بخير وختمه بالخير قال الله (عز وجل) لملائكته: لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب» فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا ولله در القائل:

أدم الصلاة على النبي محمد ... فقبولها حتمًا بغير تردد
أعمالنا بين القبول وردها ... إلا الصلاة على النبي محمد



جامع أبواب بشائره (ﷺ) من أخبار الأحبار والرهبان والكهنة وما سمع من الهواتف وأجواف الأصنام ومن آمن وصدَّق به قبل ولادته وبعثته (ﷺ)

باب: في شأن من آمن برسول الله (ﷺ)
قبل بعثته (ﷺ) بألف سنة

عن محمد بن إسحاق قال: سار تبع الأول إلى الكعبة وأراد هدمها وكان من خمسة سادوا الدنيا بأسرها لا يسير إلا بوزرائه وجيوشه، إذا دخل بلدة عظموه وأجلّوه وكان يختار منها عشر أنفس من حكمائها، جاء مكة ومعه أربعة آلاف من الحكماء والعلماء، فلم يتحرك أهل مكة، ولم يهابوه فغضب فقال له أحد وزرائه ويدعى عماريس: إنهم جاهلون، ولهم بيت يقال له: الكعبة، وإنهم معجبون به، ويسجدون للأصنام دون الله، فعزم تبع الأول على هدم هذا البيت وقتل الرجال وسبي النساء وذراريهم، فأخذه الله بالصداع وفتح من عينيه وأذنيه وأنفه وفمه ماء منتنًا، فحار الأطباء والحكماء في مداواته ولم يطيقوا الاقتراب منه، فنصحه أحد العلماء بأن عزمه على هدم هذا البيت وخرابه هو سبب ما فيه، فإن أخرج ما في قلبه من عزم على تخريب هذا البيت وقتل رجاله فله خير الدنيا والآخرة، ففعل تبع الأول فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من العلة، وعافاه الله جل جلاله بقدرته فآمن وخلع على الكعبة سبعة أثواب، فهو أول من كسا الكعبة، ودعا أهل مملكته وأمرهم بحفظها ثم خرج إلى يثرب وعسكر فيها فاجتمع وتشاور أربعمئة من بين الأربعة آلاف عالم وحكيم؛ ورفضوا الخروج منها ومنهم العالم الناصح له بترك هدم الكعبة، فأعلموه -أي تبع- بأن شرف هذا البيت من شرف الرجل الذي يخرج يقال له: محمد صاحب قول لا إله إلا الله مولده بمكة وهجرته إلى يثرب، فطوبى لمن أدركه وآمن به وهم على رجاء أن يدركوه أو يدركه أولادهم، ففتح الله قلب تبع فأنصت وأصغى وتفكر أن يقيم معهم سنته رجاء أن يدرك محمدًا (ﷺ) وبنى لهم ديارًا وزوجهم، وأمرهم أن يقيموا في ذلك

الموضع إلى وقت محمد (ﷺ) وكتب كتابًا وختمه بالذهب ودفعه إلى العالم الذي نصحه في شأن الكعبة وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد (ﷺ) إن أدركه ثم إلى أولاده وأولاد أولاده أبدًا ما تناسلوا حتى يخرج محمد (ﷺ) وكان في الكتاب:

أما بعد، يا محمد -صلى الله عليك- إني آمنت بك، وبكتابك الذي أنزل الله عليك وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء وبكل ماجاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، وأنا قبلت ذلك فإن أدركتك فبها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك، وقبل إرسال الله إياك، وأنا على ملتك وملة إبراهيم أبيك خليل الله (ﷺ) وختم الكتاب بالذهب ونقش عليه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ (الروم: ٤، ٥) وكتب على عنوان الكتاب: إلى محمد بن عبد الله خاتم النبيين، ورسول رب العالمين -صلوات الله عليه- من تبع الأول بن وردع أمانة الله في يد من وقع إليه أن يوصله إلى صاحبه، ودفع الكتاب إلى من نصحه في شأن الكعبة وأمره أن يحفظه وأنشد يقول:

حدثتُ أن رسول المليك ... يخرج حقًّا بأرض الحرم
ولو مُدَّ دهري إلى دهره ... لكنت وزيرًا له وابن عم

وخرج تبع من يثرب حيث أقام العلماء الأربعمئة حتى مات في الهند ومن يوم وفاته حتى مولد الرسول (ﷺ) ألف سنة لا زيادة فيها ولا نقصان، وكان أهل المدينة من أولئك العلماء الأربعمئة الذين سكنوا دور تبع.

ولما هاجر رسول الله اختاروا أبا ليلى رجلاً ثقة ليوصل كتاب تبع إلى رسول الله (ﷺ) فخرج من المدينة على طريق مكة فوجد محمدًا (ﷺ) في قبيلة

بني سليم، فعرفه رسول الله (ﷺ) فدعاه فقال: أنت أبو ليلى؟ قال: نعم، قال (ﷺ) ومعك كتاب تبع الأول؟ فتعجب الرجل فقال: من أنت فإني لست أعرف في وجهك أثر السحر؟ فقال (ﷺ): لا بل أنا محمد رسول الله، هات الكتاب، ففتح الرجل رحله، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله (ﷺ) فأعطاه عليًا بن أبي طالب فقرأه وسمع رسول الله (ﷺ) كلام تبع وقال (ﷺ): مرحبًا بالأخ الصالح -ثلاث مرات- وأمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة؛ فرجع وبشر القوم.

وجاء رسول الله (ﷺ) المدينة ونزل في دار أبي أيوب، وأبو أيوب كان من أولاد العالم الناصح لتبع في شأن الكعبة، فكانوا ينتظرونه، وهم من أولاد العلماء الذين سكنوا يثرب في دور تبع التي بنى لهم والدار التي نزل رسول الله (ﷺ) فيها هي الدار التي بنى تبع لرسول الله (ﷺ).

فصل: ذكر حديث نمرود وسبب هلاكه

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

هو نمرود الذي حشر جنوده في صعيد أربعمئة فرسخ في أربعمئة فرسخ عندما سأل إبراهيم ربه في محاربته فطغى وسأل إبراهيم: قل لربك حتى يبرز إلينا، فقال إبراهيم (عليه السلام): أي ربِّ أنت أعلم بما يقول الكافر فأرسل الله (عز وجل) جبريل (عليه السلام) لمبارزة نمرود فغُشي على جميع خلق الله ما عدا إبراهيم والنمرود الذي زاد طغيانًا، فسأل إبراهيم أن يبرز ربه إليه وحده حتى لا يفسد الخلق فأرسل الله إليه أضعف خلقه ألا وهي البعوضة التي وقعت على شفته السفلى فلدغتها ثم لدغت العليا حتى دخلت منخره فوصلت إلى دماغه، فصار يضرب رأسه في الحائط تارة، وتارة أخرى يأمر أعز خدمه ليضرب رأسه

بالمرزبة حتى مات، فشق رأسه بعد ذلك فطارت البعوضة بعد أن مكثت في رأسه أربعين يومًا وليلة.

فصل: في ذكر حديث سطيح بن ربيعة الغسانيّ حين أتى مكة

عن ابن عباس أن رجلاً أتاه فقال: بلغنا أنك تذكر سطيحا، تزعم أن الله لم يخلق من ولد آدم شيئًا يشبهه.

قال: نعم إن الله خلق سطيحًا الغساني لحمًا على وضم - والوضم شرايح من جرائد النخل - وكان يحمل ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة والكفان والعنق، وكان يطوى من رجله إلى ترقوته كما يطوى الثوب، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه، فلما أراد الخروج إلى مكة حمل، فأتي به مكة فلقيه أربعة نفر من قريش: عبد شمس، وعبد مناف ابنا قصي، والأحوص ابن فهر، وعقيل ابن أبي وقاص، فانتموا إلى غير نسبهم، وقالوا: نحن أناس من جمح، أتيناك لنزورك لما بلغنا قدومك، ورأينا إتياننا إياك حقًا لك واجبًا علينا، وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية وصعدة ردينية فوضعتا على باب البيت الحرام لينظروا هل يراهما سطيح أم لا.

فقال: يا عقيل ناولني يدك، فناوله يده، فقال: يا عقيل والعالم الخفية، والغافر الخطية، والذمة الوفية، والكعبة المبنية، إنك الجائي بالهدية، بالصفيحة الهندية، والصعدة الردينية.

فقالوا: صدقت يا سطيح.

فقال: والآتي بالفرج، وقوس قزح، وسائق القُرَح، واللطيم المنبطح، والنخل والرطب، والبلح، إن الغراب حيث مرَّ سح، أخبر أن القوم ليسوا من جمح، وأن نسبهم في قريش ذي البطح.

قالوا: صدقت يا سطيح، نحن أهل البلد، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك، فأخبرنا عما يكون في زماننا، وما يكون بعده إن يكن عندك علم.

قال: الآن صدقتم، خذوا مني ومن إلهام الله إياي اليوم: يا معشر العرب في زمان الهرم، سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، ينشؤ من عقبكم دهم، يطلبون أنواع العلم، يكسرون الصنم، يبلغون الروم، يقتلون العجم، يطلبون الغنم.

قالوا: يا سطيح.. ممن يكون أولئك؟

قال لهم: والبيت ذي الأركان، والآمن والسكان، لينشأون من عقبكم ولدان، يكسرون الأوثان، ويتركون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، ويستنون دين الديان، يشرفون البنيان، ويسقون العميان.

قالوا: يا سطيح فمن نسل من يكون أولئك؟

قال: وأشرف الأشراف، والمحصي الأسراف، والمزعزع الأحقاف، والمضعف الأضعاف، لينشأن آلاف، من عبد شمس وعبد مناف، نشوءًا يكون فيه اختلاف.

قالوا: يا سوءتاه مما تخبر به من العلم بأمرهم، ومن أي بلد يخرج؟

قال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد، ليخرجن من خير البلد، نبي مهتد، يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث والفند، يبرأ من عبادة الضد، ويعبد ربًا انفرد، ثم يتوفاه الله محمودًا، ومن الأرض مفقودًا، وفي السماء مشهودًا، ثم يلي أمره الصديق، إذا قضى صدق، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، مجرَّب غطريف، ويترك قول الرجل اللقيف، قد ضاق المضيف، وأحكم التحنيف، ثم يلي أمره دارعًا لأمره مجربًا، فيجمع له جموعًا وعصبًا، فيقتلونه نقمة عليه

وغضبًا، فيؤخذ فيذبح إربًا، فيقوم له رجال خُطباء، ثم يلي أمره الناصر، يعني معاوية، يخلط الرأي برأي ماكر، يظهر في الأرض العساكر، ثم يلي أمره من بعده ابنه، يأخذ جمعه، ويقل حمده، ويأخذ المال فيأكل وحده، ويكثر المال لعقبه من بعده، ثم يلي من بعده ملوك، لا شك الدم فيهم مسفوك، ثم يلي أمره من بعده الصعلوك، ويطأهم كوطأة الدرنوك، ثم يلي عضوضٌ: أبو جعفر، يقضي الحق، ويدني مضر، ويفتح الأرض افتتاحًا منكرًا، ثم يلي قصير القامة، يظهر علامة يموت موتة سلامة، ثم يلي قليلاً ماكرًا، يترك الملك بائرًا، ثم يلي أخوه، لسنته سائر، يختص بالأموال والمنابر، ثم يلي من بعده أهوج، صاحب دنيا ونعيم غنجا، يتأوه معاشره وذووه، ينهضون إليه ويخلعونه، يأخذون الملك ويقتلونه، ثم يلي من بعده السابع، فيترك الملك مخلى ضائع، يبور في ملكه مشوه جائع، عند ذلك يطمع في الأمر كل غرثان، ويلي أمر الناس اللهفان، يوطن نزار جميع قحطان، إذ التقى بدمشق جمعان، بين بيسان ولبنان، فصنف اليمن يومئذ صنفان، صنف المشوه، وصنف المخذول، لا ترى إلا خبأ مجلولا، ولواء محلولاً، وأسيرًا مغلولاً، بين الفرات والجبول، عند ذلك تخرب المنازل، وتسلب الأرامل، وتسقط الحوامل، وتظهر الزلازل، ويطلب الخلافة وائل، فيغضب نزار ويدني العبيد والأشرار، ويقصي النسَّاك والأخيار، يجوع الناس وتغلو الأسعار، وفي صفر الأصفار يقتل كل جبار، يسوق إلى جنادل وأنهار، ذات أسهال وأشجار، يصمد له الأغمار، يهزمهم أول النهار، يظهر لأمره الأخيار، فلا ينفعهم نوم ولا قرار، حتى يدخل مصرًا من الأمصار، فيدركه القضاء والأقدار، ثم تجيء الرماة، بزحف مشاة، لقتل الكماة، وأسر الحماة، ومهل الغواة، هنالك يدرك في أعلى المياه، ثم يبور الدين، وتقلب الأمور، وتكفر الزبور، وتقطع الجسور، ولا يفلت من كان في جزائر البحور، ثم تبور الحبوب، وتظهر الأعايب، ليس فيهم معيب، على أهل الفسوق والريب، في زمان عصيب،

لو كان للقوم حياء - لو يغني الحياء..

قالوا: ثم ماذا يا سطيح؟

قال: ثم يظهر رجل من اليمن، أبيض كالشطن، يخرج من بين صنعاء وعدن، يسمى حسين أو حسن، يذهب الله على رأسه الفتن.

قال أبو محمد: عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عن هذا الحديث فقال: حدثنا محمد الشامي، عن إسماعيل بن عياش قال: فقلنا: من محمد الشامي؟

قال: واليًا كان علينا.

وسطيح اسمه: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن ابن غسان، وجهه في صدره، إذا غضب انتفخ وجلس، وقال ابن كثير: ظاهر عباراته في الحديث تدل على علم واسع جيد فيها روائح التصديق ولكنه لم يدرك الإسلام.

فصل: في ذكر حديث سطيح بن ربيعة في رؤيا المُوبذان وخمود النيران ليلة مولده (ﷺ)

عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه قال: ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس - ولم تخمد منذ ألف عام وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان في نومه إبلا صعابًا تقود خيلاً عرابًا، قطعت دجلة وانتشرت في بلاده، فلما أصبح قص الرؤيا على الملك الذي أرسل لوزرائه ومرازبته ليسألهم عن رؤياه، وبيْناهم كذلك أتاه كتاب بخمود النار، فازداد غمًا إلى غم، ثم أخبرهم بما هاله، فقال أعلمهم: حدث يكون ناحية العرب، فكتب كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، فبعث إليه برجل عالم هو

عبد المسيح بن عمرو الغساني، فلما قدم سأله الملك عما أحب، فأشار عليه عبد المسيح بخال له يسكن مشارق الشام يقال له: سطيح فأتاه وقد أشفى على الضريح، وسأله تأويل رؤيا كسرى شعرًا فرد عليه سطيح نثرًا بكل ما حدث في بلاد فارس، وأن الذي أرسله ملك ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ثم أخبره بزوال ملك فارس وأنه سيملكهم ملوك على عدد الشرفات التي سقطت، ثم قضى سطيح مكانه، ولما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

فصل: في ذكر حديث آخر لسطيح وشِقٍّ

عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا فهالته ولم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا منجمًا، إلا رفعها إليه واشترط أن يعرفها الذي يؤوِّلها قبل أن يخبره بها فأرشدوه إلى سطيح، وشق، ولم يكن في زمانهما مثلهما، فلما قدم عليه سطيح دعاه فقال له: يا سطيح إني قد رأيت رؤيا هالتني وأفزعتني، فأخبرني بها فإنك إن أجبتها، أصبت تأويلها قال: أفعل، رأيت حممة خرجت من ظلمه، فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة. قال الملك ما أخطأت منها شيئًا، سطيح فما عندك من تأويلها؟ قال: أحلف مما بين الحرتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين إلى جرش.

فقال الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟

فقال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين.

قال: فهل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع لبضع وأربعين من السنين، ثم يقتلون بها أجمعين، ويخرجون منها هاربين.

قال الملك: ومن الذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

قال: ثلاثة: إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أحدًا باليمن.

قال: فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بنْ فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قوله إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر يا سطيح؟

قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرنا يا سطيح.

قال: نعم والشفق، والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به الحق.

فلما فرغ منه قدم عليه شق، فدعاه فقال له: يا شق إني قد رأيت رؤيا هالتني وأفزعتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها - كما قال لسطيح، وقد كتمه ما قاله له سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان؟

قال: نعم، رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

فلما رأى ذلك الملك - من قولهم شيئًا واحدًا- قال: ما أخطأت يا شق منها شيئًا، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

قال له الملك: وأبيك يا شق إن هذا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟

أفي زماني أم بعده؟

قال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن، يذيقهم أشد الهوان.

قال: ومن هذا عظيم الشأن؟

قال: غلام ليس بدنيء، ولامدن، يخرج من بيت ذي يزن.

قال: هل يدوم سلطانه؟ أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم يجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء دعوات، يسمع منه الأحياء والأموات، ويجمع الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تقول يا شق؟

قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض وإن ما نبأتك لحق، وما فيه أمت ولا أمض.

فلما فرغ من مسألتهما وقع في نفسه أن الذي قالا له كائن من أمر الحبشة، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى الملك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة.

وقال ابن إسحاق: فمن بقية ولد ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة وهي النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم.

وروى أن أبرويز بن هرمز المعروف بكسرى -وهو ابن شيرويه- كان في منزله ليلا، فنام على مركبه، وطال حتى ثقل فمال، وخاف من وراءه من قواده سقوطه، فأتاه رجل منهم فأيقظه فانتبه مذعورًا لرؤيا رآها قطعها عليه الموقظ، قال: رأيت كأني عرضت على الله (عز وجل) فقال لي: غيرتم فغير ما بكم، سلِّم ما بيدك إلى صاحب الهراوة.

قال: ثم لم يزالوا يتوقعون حادثة حتى كتب النعمان بن المنذر بظهور رسول الله وما يدعو إليه.

وفي بعض الكتب: أن كتاب النعمان بن المنذر ورد بذلك في يوم كان كسرى خاليًا فيه بلذته ولهوه، وأمرهم أن لا ينهوا إليه خبرًا يسوؤه، ولا يوصلوا إليه كتابًا من أحد أعماله ليأمن على سروره فبينا هو كذلك إذ سمع صوت البريد فسأل عنه فقالوا: كتاب عامل السواد، فتعلق قلبه به، وقال لهم: ما أرى إلا قلبي تعلق بما ورد به، حتى أعلمه، أعظم عليّ مما أنا فيه، فأوصلوا الكتاب إليه فقرأه فإذا العامل يخبره فيه بأن الفرات أتى بما لم يسمع بمثله، وأنه فاض فغرّق زروع الناس ومنازلهم، وأفسد ثمارهم، فغمَّه ما نال رعيته من الضرر في

أموالهم، وما نال جنوده بنهاب الخراج الذي كان يجبى من السواد لهم، فسهل عليه وزراؤه ذلك، وسيبوا للجنود أموالاً من وجوه كثيرة، وعاد إلى لهوه.

ثم سمع صوت بريد آخر، فسأل عنه، فقالوا: كتاب العامل على ثغر أرمينية فتعلق قلبه به، ثم أمر بإيصال الكتاب فإذا فيه: أن الجنود قد انشقوا على عاملهم فقتلوه، واستباحوا ما قبله من المال، فغمه ذلك، ثم سهل عليه وزراؤه وضمنوا له إصلاح الناحية، فعاد إلى لهوه.

ثم سمع صوت بريد آخر، فأمر بأخذ كتابه وقراءته، فإذا كتاب النعمان ابن المنذر يخبره فيه بأنه خرج نجم بتهامة يخبره بأنه رسول إله السماء والأرض إلى أهل الأرض كافة، فاستعظم ذلك وأكبره، وعلم أنه الذي كان يتوقعه ورآه في منامه.

فصل: ذكر ما ظهر في بني إسرائيل من أمارات نبوة رسول الله (ﷺ)

عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي قال: كان في بني إسرائيل رجل يقال له: أوشا، وكان من علمائهم وكان كثير المال وإمام بني إسرائيل، قرأ الكتب وعرف نعت النبي (ﷺ) وأمته من التوراة، لكنه خبأ ذلك في خزانته وخلفه بعد موته ابنه بلوقيا في بني إسرائيل، وكان ذلك بعد موت النبي سليمان بن داود، ففتش بلوقيا خزائن والده فوجد فيها تابوتًا من حديد مقفلاً فكسر القفل، فوجد فيه درجًا من فضة وفيها حقة من فضل عليها قفل من ذهب، مختوم بخاتم من مسك، ففك الخاتم، فإذا فيه رق مكتوب ملفوف في حرير قد رش عليه مسك وعنبر فنشر الرق، فإذا فيه نعت محمد وأمته وصفته وأنه خاتم النبيين، وأنه الشفيع يوم القيامة وأن له الشفاعة التامة وأمته شهود على الأنبياء وأن الجنة محرمة على جميع الأنبياء والأمم حتى يدخلها هو وأمته،

وأخرج الرق، وتلاه على بني إسرائيل فاستنكروا ذلك وأرادوا نبش قبر والده وامتنعوا إكرامًا له، وأعلم بلوقيا أمه أنه سيطوف الدنيا يطلب أثر محمد، فسألت الله أن يعينه ويمن عليه بلقائه، فسار إلى الشام حتى انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر، فرأى فيها حيات عظامًا يقلن: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال مثلهن فسألته عن اسمه وأعلمته أنهن من جهنم يعذب بهن الكفار يوم القيامة، وأنهن عرفن اسم محمد من أبواب جهنم التي كتب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم سلم عليهن حتى انتهى إلى جزيرة أخرى، فوجد بها حيات سودًا كأنهن جذوع على متن إحداهن حية صفراء، يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما سألها عن اسمها قالت: بليخا وإن ربها أوكلها بحفظ هذه الحيات ولولاه لقتلت الحيات بني آدم كلهم، وسألته عن وجهته فأخبرها أنه خرج إلى الأرض التي تكلمت بنبوة محمد فرجته إن لقى محمدًا فليقرئه منها السلام، ويقول له: إن بليخا تقرئك السلام ثم قدم بيت المقدس فوجد به حبرًا يسمى عفان الذي سأله فيما جاء فأخبره بلوقيا بكل ما لقيه حتى ملكة الحيات بليخا، فأخبره عفان أنه بينه وبين محمد قرون كثيرة ثم اتجها بعد ذلك إلى مكان الحيات رجاء الملك العظيم واستطاعا صيد بليخا في صندوق، وكانا لا يمران بشجر ولا حجر ولا مدر ولا زيتونة إلا كلمتهما بإذن الله ووصفت ما فيهن من النفع والضر والداء والدواء، ثم لقيا شجرة تسمى الفريصة فدقا وعصرا منها الدهن فطارت الحية بين السماء والأرض وسارا حتى أتيا البحر الأول ثم الثاني فإذا بجبل وسط البحر فيه كهف عليه سرير به شاب مستلق على ظهره ميت أنه سليمان بن داود يحرسه تنينان، فأراد عفان أن يأخذ خاتم سليمان، فنزل جبريل، فاضطربت الأرض وما عليها فسقط بلوقيا وعفان مغشيًا عليهما ونفخ التنينان نيرانهما فاحترق عفان حتى صار رمادًا، ونجا بلوقيا باسم الله الأعظم، ثم سأله جبريل، فقال بلوقيا إنه خرج محبة

لمحمد وشوقًا إليه، فقال له جبريل: فبذلك نجوت، ومضى بلوقيا فاجتاز سبعة بحار حتى بلغت به الحيرة، مبلغها لا يدري في أي بلاد الله هو لكنه دائمًا ما يقرؤ اسم الله الأعظم فحفظه الله من الجوع والعطش والإعياء حتى وصل إلى جزيرة من ذهب أحمر بها أشجار الفواكه حشيشها الورس والزعفران فرأى الأشجار فرسانا يتراكضون بأيديهم السيوف شاهرة، كأنهم يطيرون فأحطن به وأغمدن سيوفهم ثم قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم سألوه عن اسمه ووجهته فلما أخبرهم وقص عليهم قصته أخبروه أنه أخطأ الطريق، وأنهم من الجن المؤمنين، وأمروا بقتال كفرة الجن وسألهم عن محمد، فأجابوا بالنفي وأنهم أمروا فقط، وأخذوه إلى ملكهم صحريا الذي أخبره عن خلق الجن وأعطاه فرسًا له جناحان فسار به مسيرة مئة وعشرين سنة بينما هو في سيره إذا بملك إحدى يديه في المشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسلم عليه بلوقيا فأخبره أنه ملك موكل بضوء النهار وظلمة الليل، ثم سار فلقي ملكًا موكلاً بحبس الريح بيمينه والبحر بشماله عن الخلق، فتركه بلوقيا، ومضى فإذا هو بأربعة أملاك على أشكال الأسد والثور والنسر والإنسان تدعو للسباع والبهائم والطيور والمسلمين ويتركهم بلوقيا وينصرف حتى يصل إلى ملك قائم على جبل قاف وهو من ياقوته خضراء، فسأله الملك عن اسمه فأخبره بلوقيا عن بغيته فقال الملك: لا إله إلا الله محمد رسول الله أمر ربنا (عَزَّوَجَلَّ) بالصلاة على محمد وأنه عروق الأرض كلها مشدودة على الوتر الذي بكفه ويأمره الله بتحريك عروق الأرض فتهتز وترجف وذلك عند كثرة المعاصي والزنا واللواط فإذا ظهرت تكون الزلازل والهلاك، وأن وراء قاف أربعين ألف دنيا غير دنيانا كلها نور وأرضها من ذهب وعليها حجاب من نور وسكانها ملائكة مطيعون للرب (عَزَّوَجَلَّ) ما عصوه قط وأخبره عن قاف وأنه موضوع على قرن ثور بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف

سنة، ثم خرج حتى انتهى إلى البحر المالح والبحر العذب، ورأى عندهما خلقًا كثيرًا كأمثال الغزلان وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله وشاهد ملائكة تمنع البحرين أن يختلطا أو يبغيا ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩، ٢٠) ثم انتهى إلى بحر عظيم به حيتان يقلن: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسألهن عن محمد فقلن: لو أنك لقيت محمدًا فأقرئه منا السلام كثيرًا وأطعمه الحوت الذي يقضي، بينهن قرصة بيضاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فأكلها بلوقيا حتى بلغ العمران فرأى شابين يسيران على الماء هما إسرافيل وميكائيل الأول صاحب الصور والثاني صاحب الطور والمطر وأرزاق العباد، ثم لقي جبريل (عليه السلام) فسلَّم عليه، ثم سار إلى جزيرة فوجد فيها غلامًا أمرد بين قبرين لأبيه وأمه، فكان النبي صالحًا، فسلم عليه وتركه إلى جزيرة بها شجرة عليها طير من ذهب أحمر وعيناه من ياقوتتين حمراوين وبقية أعضائه من أحجار كريمة وتحت تلك الشجرة مائدة عليها طعام وحوت مشوي، وهذا الطير من طيور الجنة وكان معه الخضر (عليه السلام) الذي حضر عليه ثياب بيض كلما خطا خطوة نبت في موضع قدميه الحشيش واخضرَّ، وكلما جلس أخضر مكانه وحول قدميه فسلم على بلوقيا فرد (عليه السلام)، فسأله الخضر عن حاله فأخبره بكل أموره وما رأى من العجائب فيما طلب من أثر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم أراد بلوقيا أن يعود لأمه فأعاده الخضر لأمه، وكان بينه وبين أمه مسيرة خمسمائة عام، فقال بلوقيا لأمه: من جاء بي ها هنا؟ قالت: جيء بك على متن طير أبيض، فوضعك قدامي ثم خرج فحدث بني إسرائيل إلى أن كتبوا عنه تلك العجائب.

فصل: في ما جاء في الكتب المتقدمة من التنويه بشرفه (ﷺ) والتعريف بفضله وفضل أمته

عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: إن محمدًا (ﷺ) مكتوب في الإنجيل: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويغفر.

وقالت أم الدرداء لكعب: يا كعب كيف تجدون رسول الله (ﷺ) في التوراة؟ فقال: نجده محمد رسول الله، ليس بفظ ولا غليظ، ولا بصخاب في الأسواق أعطي الفواتح ليبصر الله به أعينًا عورًا، ويسمع به آذانًا وقرًا، ويقيم ألسنة معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه، لا يتزين بالفحش ولا بقول الخنا، بكل جميل ذاهب، له خلق كريم، جعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبعه، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به من الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمول، وأسمى به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة، أجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يوحدونني إيمانًا وإخلاصًا، يصلون لي قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا، ويقاتلون في سبيلي صفوفًا وزحوفًا، يخرجون من أموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتحميد والتمجيد والمدحة والتهجد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، يكبرون ويهللون ويقدسون رؤس الأشراف ويظهرون لي الوجوه والأطراف، ويقصرون الثياب في الأنصاف قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث

بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

وروي رُوح، عن سعيد، عن قتادة في قوله (عز وجل) ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ (الأعراف: ١٥٦) قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فأنزل الله (عز وجل) ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) قال: فتمنتها اليهود والنصارى، فأنزل الله (عز وجل) - شرطًا وثيقًا قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ (الأعراف: ١٥٧) وهو نبيكم (صلى الله عليه وسلم) كان أميًا لا يكتب، قال الله (عز وجل): ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ (الأعراف: ١٥٧) أي: يجدون نعته وأمره مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

روى زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لما اقترف آدم الخطيئة رفع رأسه إلى العرش، وقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيِّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على ساق عرشك مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقلت: إنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق لديك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): قال لما أعطى الله تعالى موسى (عليه السلام) الألواح نظر فيها، فقال: إلهي لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحدًا قبلي، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أتدري لم فعلت؟ قال: لا يا رب، قال: لأني نظرت إلى قلوب خلقي فلم أر قلبًا أشد تواضعًا لي من قلبك، فلذلك اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي، فخذ ما أتيتك بجد ومواظبة وكن من الشاكرين أي: مت على التوحيد وعلى حب محمد (ﷺ).

قال موسى (ﷺ) ومن محمد يا رب؟ قال: الذي كتبت اسمه على ساق العرش قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي عام، محمد رسولي وحبيبي وخيرتي من خلقي وقال الله تعالى لموسى: يا موسى بلغ بني إسرائيل أنه من رد على أحمد شيئًا - وإن كان حرفًا- أدخلته النار مسحوبًا، يا موسى ركعتان يصليهما محمد (ﷺ) وأمته بين طلوع الفجر وطلوع الشمس أغفر لهم ما أصابوا في يومهم وليلتهم، ويكون في ذلك اليوم في ذمتي، ومن مات وهو في ذمتي فلا ضيعة عليه.

ولما أخذ موسى الألواح قال: رب أرى في اللوح صفة محمد وأمته فمن هم؟

قال: كيف رأيت صفتهم يا موسى؟

قال: رأيت أمة تثيبهم بحسن نياتهم من غير أن يفعلوا شيئًا!

قال تعالى: هي أمة في آخر الأمم.

قال موسى: فأرى أمة السيئة منهم تجزى بواحدة، والحسنة بعشرة.

قال: يا موسى هي أمة في آخر الزمان.

قال: اللهم أرى صفة أمة تغفر ذنوبهم ما بين فريضة إلى فريضة، قال الله: يا موسى هي هذه الأمة في آخر الزمان.

قال: إلهي أرى أمة يغزون قال: هي أمة في آخر الأمم قال: إلهي أرى صفة أمة أن الجنة حرام على سائر الأمم حتى تدخلها تلك الأمة، قال: يا موسى هي هذه الأمة في آخر الزمان.

قال: إلهي لمن هذه الأمة؟ قال: لنبي يقال له محمد (ﷺ).

قال موسى: إلهي اجعل هذه الأمة من أمتي، قال الله: يا موسى إن محمدًا أولى بهذه الأمة، قال موسى: إلهي محمد أفضل مني؟ قال الله: يا موسى إن منزلة علماء أمة محمد (ﷺ) كمنزلة الأنبياء، وإن منزلة عامة أمته كمنزلة علماء الأمم، وإن فضل محمد عليك كفضلك على أمتك.

قال وهب بن منبه: لما أخذ موسى الألواح من ربه نظر فيها فإذا فيها صفة محمد (ﷺ) وأمته فقال موسى (عليه السلام): أي رب كيف أقرأ الألواح على أمتي وفيها فضل محمد (ﷺ) وأمته؟ كيف أمن عليهم بفضل غيرهم؟

قال الله تبارك وتعالى: يا موسى وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني فوق خلقي إني لا أرضى عن عبد لا يقبل فضل محمد (ﷺ) ولا يقر به، ولا يعلم أنه أفضل الخلائق عندي، وأقسم بعزتي لأظهرن ما كتبت لكم في التوراة أن محمدًا عبدي ورسولي، وما أعطي عيسى في الإنجيل، فإن أقر جميع خلقي بذلك، وإلا سلطت على المنكرين لفضله وفضل أمته ملائكتي ولأضربنهم بالصواعق وكان ذلك نكالي عليهم.

يا موسى إن فاتحة التوراة بصفة محمد (ﷺ) ونبوته، وإن خاتمة الإنجيل بصفة أصحابه، وإن فاتحة الزبور: محمد رسول الله خير من تظله السماء، وأنه صاحب الملحمة، ونبي الرحمة، قائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، ونور العباد، وربيع البلاد، ومعدن الخير، وكهف العلم، ومعدن الحكمة، واعلم يا موسى أن محمدًا عبدي المختار لافظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ملكه بالشام ومولده بمكة، وداره بالمدينة، وجنده الأنصار، يركب الناقة العضباء، من اتبعه اهتدى، ومن خالفه ضل.

ومما فضله الله تعالى به أنه (عَزَّوَجَلَّ) نعته في التوراة إلى موسى فقال سبحانه: يا موسى احمدني إذ مننت عليك بالإيمان بأحمد، فوعزتي لو لم تقبل الإيمان بأحمد ما جاورتني في داري ولا تنعمت في جنتي.

وقال الله تبارك وتعالى لموسى بن عمران: يا موسى إن أمة محمد (ﷺ) أمة مرحومة، يرحم بعضهم بعضًا، ورحمتي عليهم واسعة وعذابي عنهم بعيد، ونعمائي عليهم باسطة، وذنوبهم مغفورة، وحسناتهم مقبولة وسعيهم مشكور، ومن أوفى بالعهد مني يا موسى؟

من آمن بمحمد (ﷺ) وصدقه أولئك هم الفائزون، ومن كفر بمحمد (ﷺ) وكذبه من جميع خلقي أولئك هم الخاسرون، أولئك هم النادمون، أولئك هم الغافلون.

ومما فضله الله تعالى به أنه أوحى في الإنجيل إلى عيسى: يا ابن مريم البكر البتول إني موصيك بسيد المرسلين - وحبيبي منهم- أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المشرف الأنور بالنور الظاهر والقلب الطاهر، سيد الناس، الحي المكرم، فإنه رحمة للعالمين، سيد ولد آدم عندي أمرك أن تخبر بني إسرائيل أن يصدقوا به، ويؤمنوا به، ويتبعوه وينصروه يا عيسى أرضه فإن لك الرضا فقال: اللهم رضيت.

ويقال: إنه مكتوب في زبور داود (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اللهم ابعث إلينا مقيم السنة ليعلم الناس أنه بشر. وهذا إخبار عن المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعن محمد (ﷺ) يريد: ابعث لنا محمدًا حتى يعلم الناس أن المسيح بشر.

وروى أن هاجر لما هربت من سارة، نزلها ملك فقال لها: يا هاجر أمة سارة ارجعي إلى سيدتك، واخضعي لها فإن الله سيكثر ذريتك، إنك تلدين غلامًا وتسمينه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع خشوعك، وخضوعك، وتكون يده فوق

الجميع، وأيدي الجميع مبسوطة إليه بالخضوع.

وكانت النبوة والرسالة في ولد إسحاق، فلما بعث الله محمدًا (ﷺ) انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل، فدانت له الجبابرة، وخضعت له الملوك، وانقادت لشريعته الأمم، فصارت يده فوق أيدي الجميع وأيدي الجميع مبسوطة إليه بالخضوع.

ويقال: إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) قال: يا رب قد أعطيت النبوة والملك لشعب إسحاق، فما أنت صانع لإسماعيل؟ قال: أخلق من ظهر إسماعيل عدد كواكب السماوات ورمل الفلوات، وأبعث من ولد إسماعيل نبيًا أرفع ذكره، فلم يُدر ما رفع ذكره حتى بعث الله محمدًا (ﷺ) وجاء بالأذان فقرن اسمه باسمه فقال عز ذكره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤).

ويروى عن المسيح أيضًا أنه قال: الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة - ولا يقول من تلقاء نفسه شيئًا ولكنه بما يسمع به يكلمكم - ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب - يعني مثل: خروج الدجال، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك.

وقال وهب بن منبه: كان إبراهيم خليل الرحمن، كثير الصيام والصلاة وذكر الحديث إلى أن قال: خرج إبراهيم (عليه السلام) يومًا يرتاد لماشيته الكلأ، فإذا هو برجل في جبل من جبال إيليا يقدس الله ويهلله ويمجده ويسبحه ويكبره، فقصده وسلم عليه وقال له: من ربك؟ قال: الذي في السماء، قال: فمن رب الأرض؟ قال: الذي في السماء، قال: ألها رب غيره؟ قال: لا، ونظر إلى قبلته، فإذا قبلته قبلة إبراهيم، فقال له إبراهيم: يا عبد الله أي الأيام أشد هولاً وعظمًا؟ قال: يوم الدين، يوم يضع الله الكرسي للحساب ثم أمر جهنم في ذلك اليوم فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مصطفى إلا خرَّ لوجهه

صعقًا تهمه نفسه غير النبي العربي الأمي صاحب الرداء والإزار، والسيف، والسوط، والعصا، والبعير، والحمار والفرش، فقال له إبراهيم: من تعني؟ قال: أعني نبيًا بينك وبينه زمان بعيد، ذلك خير الأنبياء والرسل، وخاتم الأنبياء، اسم: أحمد ومحمد وفارقليط، يفرق بين الحق والباطل، ومحمود وأمين ويتيم، وصادق، له أسماء كثيرة، لا يضرب بسيفه ولا بعصاه إلا في سبيل الله، به يظهر التوحيد في الأرض، ويكثر ويفشو، أمته الحمادون لله.

وقال وهب بن منبه: ذكر الله تعالى نبينا (ﷺ) بأحسن الذكر، وأثنى عليه بأفضل الثناء، فقال: وضّاح الجبين، براق الثنايا، يتلألؤ لونه تلالؤ الذهب الأحمر، أكحل العينين، كأن جمان الماء حين يتحدر من وجهه اللؤلؤ المنظوم... بأصل الحكمة، وتعطى أمته فروعها، ويأمر بني إسرائيل بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم آصارهم التي آصروا فيها أنفسهم والأغلال التي كانت عليهم، صلاته رأفة وحكمة وحلم وعلم، يملؤ الأرض خيرًا، ويعمها نفعًا ولا يضرها، ولا يقرع بعصاه ولا بسوطه ولا بسيفه إلا في سبيل الله، اسمه: أحمد العربي الأمي، الذي مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، يظهر التوحيد في الأرض، والتسبيح والتكبير والتحميد، وبه يكثر ويفشو، أمته الحمادون، الموحدون، خير أمة أخرجت للناس.

وروى عن سهل بن عبد الله أنه قال: لما أراد الله تعالى أن ينفخ في آدم الروح نفخه باسم محمد، وكناه أبا محمد، وليس في الجنة ورقة من أوراق الجنة إلا مكتوب عليها اسم محمد، ولا غرست شجرة في الجنة إلا باسم محمد وبه الابتدا.

وقال الله تبارك وتعالى: يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك، ومن وساوس قلبك إلى قلبك، ومن روحك إلى بدنك، ومن نور بصرك إلى عينيك؟ قال: نعم يا رب، قال: فأكثر الصلاة على محمد (ﷺ)،

وأبلغ جميع بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد لأحمد سلطت عليه الزبانية في الموقف، وجعلت بيني وبينه حجابًا لا يراني، يا موسى بلغ بني إسرائيل أن أحمد بركة ورحمة ونور لمن صدقه -رآه أو لم يره- أحببته أيام حياته، ولم أوحشه في قبره، ولم أخذله في القيامة، ولم أناقشه الحساب في الموقف، ولم تزل قدمه على الصراط، يا موسى إن أحب الخلق إليّ من لم يكذب أحمد ولم يبغضه، يا موسى إني آليت على نفسي قبل أن أخلق السماوات والأرض والدنيا والآخرة أنه من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قبله كتبت له براءة من النار قبل أن يموت بعشرين ساعة، وأوصيت ملك الموت بقبض روحه، وأن يكون أرفق به من والدة رحيمة، وأوصيت به منكرًا ونكيرًا إذا دخلا عليه فسألاه بعد موته أن لا يروعاه. يا موسى قل لبني إسرائيل: لا ينفعكم إيمانكم بالتوراة وموسى وبالإنجيل وعيسى حتى تقروا لمحمد (ﷺ) لأنه من القبيلة المباركة بني هاشم، وأنه المبعوث إلى الأمة المرحومة، وأنه خطيب من وافى يوم القيامة، وشفيع من لم تكن له وسيلة، وأن الرحمة تنزل في زمانه ودولته، وتنزل البركات، ومولده في أفضل الأيام، ومتوسده عند فراقه الدنيا روضة من رياض الجنة، وأن دينه خير الأديان، على دين المرسلين قبله، وشرائعه أسهل الشرائع، وأتباعه خير أتباع المرسلين، وأن بين كتفيه خاتم النبوة، وأن شعاره البر والصدق، والعدل والإنصاف، وأن لباسه التقوى، ودار هجرته طيبة -وهي يثرب- وأن وزيره الصديق والفاروق وأن حواريه طلحة والزبير، وأني جعلت خليفته أبا بكر الصديق صدّيقًا في علم الغيب، صدِّيقًا في السماء والأرض، وأن عمر بن الخطاب تزف إليه الشهادة، وعثمان بن عفان يمشي شهيدًا على وجه الأرض، وستفتح خلافة محمد (ﷺ) بأبي بكر، وتختم خلافته بعلي بن أبي طالب.

وقال الله تبارك وتعالى لموسى بن عمران: يا موسى إن أمة محمد (ﷺ) أمة

مرحومة يرحم بعضها بعضًا، ورحمتي عليهم واسعة وعذابي عنهم بعيد باعدة، ونعمائي عليهم باسطة، وذنوبهم مغفورة وحسناتهم مقبولة، وسعيهم مشكور، ومن أوفى بالعهد مني يا موسى؟

من آمن بمحمد (ﷺ) وصدَّقه أولئك هم الفائزون، ومن كفر بمحمد (ﷺ) وكذبه من جميع خلقي أولئك هم الخاسرون، أولئك هم النادمون، أولئك هم الغافلون.

فصل: في قصة الفيل وما جرى بين عبد المطلب وأبرهة الأشرم

قال أبو سعد (رحمه الله): ولقد رأى عبد المطلب من نور محمد (ﷺ) عجبًا عجيبًا يوم قدم أبرهة بن الصباح لهدم بيت الله الحرام فبلغ ذلك عبد المطلب فقال: معاشر قريش لا يصل إلى هدم هذا البيت أحد، لأن لهذا البيت في السماء ربًا يحفظه، وجاء أبرهة ونزل بمكة ودفع إبلاً وغنمًا لقريش وعبد المطلب الذي ركب إلى جبل ثبير فاستدارت غرة رسول الله (ﷺ) على جبينه كالهلال، وردت شعاعها على بيت الله الحرام فرأى ذلك عبد المطلب فأخبر قريشًا بالنصر، وبلغ ذلك أبرهة فغضب فأرسل رجلاً من قومه ليلقى عبد المطلب فخر مغشيًا عليه فلما أفاق خر ساجدًا لعبد المطلب وشهد أنه سيد قريش حقًا.

وقيل إن أبرهة ذهب للقاء عبد المطلب ليخلي بينه وبين البيت فأعلمه أن للبيت ربًا يحميه، وعندما دخل عبد المطلب على الملك رأي الملك نورًا وجمالاً على عبد المطلب، فسأله عن وجود مثل هذا النور في آبائه وأجداده فقال عبد المطلب، ذلك في كل آبائي فقال أبرهة: أنتم قوم فاخرتم الملوك، وحق لك أن تكون سيد قومك وقيل إن عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة وقال:

يا رب إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدًا محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

ولئن فعلت فإنه أمر تتم به فعالك

بعدما عرض ثلث أموال تهامة على أبرهة ليرجع، ثم انصرف وقريش إلى شعف الجبال، وقدم أبرهة لهدم البيت بجيشه وفيله، لكن الفيل أبى جهة الكعبة وأقبل على الجهات الأخرى مبتعدًا وهذا الفيل سجد للنور الذي يخرج من ظهره في آخر الزمان ألا وهو محمد ثم أرسل الله الطير الأبابيل فقتلت وأصابت جنود أبرهة وأهلكتهم فخرجوا يبحثون عن الطريق إلى اليمن.

وقيل: إنه لما دخل عبد المطلب على أبرهة ملك الحبشة التفت إلى سايس الفيل - وكان فيلاً عظيمًا، أبيض له نابان مرصعان بأنواع الجواهر والدر، وكان يباهي بذلك الفيل ملوك الأرض، وكان ذلك الفيل لا يسجد للملك أبرهة بن الصباح كما يسجد له سائر الفيلة - فقال الملك لسايس الفيل: أخرجه، فأخرجه وقد زُين بكل زينة على وجه الأرض، فلما نظر الفيل إلى وجه عبد المطلب خرّ ساجدًا ونادى بلسان الآدميين: السلام عليك أيها النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب، معك العز والشرف، لن تذل ولن تغلب، فلما نظر الملك إلى ذلك وقعت عليه الرعدة وظن أن ذلك سحر، فبعث إلى كل ساحر في مملكته فجمعهم وقال: الويل لكم، حدثوني عن هذا الفيل، لِمَ سجد لعبد المطلب؟ قالوا: إنه لم يسجد له، وإنما سجد لنور يخرج من ظهره في آخر الزمان يقال له: محمد (ﷺ) يملك الدنيا ويذل ملوك الأرض ويدين بدين صاحب هذا البيت -إله إبراهيم- وملكه أعظم من ملك أهل الدنيا، فائذن لنا أن نقبل يديه ورجليه، فأذن لهم، فقامت السحرة فقبلوا يدي عبد المطلب ورجليه، وقام الملك وحيدًا متواضعًا فقبل رأس عبد المطلب، وأمر له بجزيل

الجائزة، ورد عليه وعلى قريش ما أخذ منهم، فأرسل الله تعالى عليه وعلى عسكره طيرًا أبابيل جاءت من نحو البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقارة، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، فرمت القوم بحصى أذن الله (عَزَّوَجَلَّ) أن تأخذه بمناقيرها وأرجلها من قعر جهنم وترمي بها، فكانت الحصى تقع على رأس الرجل وتخرج من دبره، ويصل إلى ظهر فرسه ويخرج من بطنه، ويصل إلى الأرض فلا يزال يخرق الأرضين إلى السابعة، ودمر الله قومه أجمعين.

فأصيب بعضهم وخرج بعضهم يهلكون في الطرق، يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على طريق اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله تعالى بهم من النقمة.

أين المفر والإله الطالب   والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضًا:

حمدت الله إذ عاينت طيرًا   وخفت حجارة تلقى علينا
وكل الناس يسأل عن نفيل   كأن عليّ للحبشان دينا

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط منه أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مِدَّة وصديد وقيح حتى سقطت منه كلها، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

ويقال: إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب، ذلك العام وأنه أول ما رؤي بها من الشجر: الحنظل والحرمل، ويقال: إن حمام اليمامة من نسل ذلك الطير.

وقيل: إن الحر الذي بقي بالحجاز من حرارة ذلك.

وروى عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رأيت قائد الفيل وسايسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان.

فصل: في بشارة سيف بن ذي يزن بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وإخباره عبد المطلب بأمره

فلما هلك أبرهة ملك الحبشة، ملك يكسوم، ثم بعد يكسوم أخوه مسروق ابن أبرهة فقتله الفرس، وملك سيف بن ذي يزن، فكان بعد ذلك أن عظَّمت العرب قريشًا وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عددهم.

فخرجت وفود العرب لتهنئة سيف بن ذي يزن، فأكرمهم وفضل قريشًا عليهم وذلك بعد مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسنتين، وكان فيهم عبد المطلب بن هاشم فدخلوا عليه، فدنا عبد المطلب فاستأذن للكلام فقال له: إن كنت ممن تتكلم بين يدي الملوك فتكلم، فابتدأ الكلام فقال:

إن الله جل جلاله أحلَّك أيها الملك محلاً رفيقًا، صعبًا منيعًا، شامخًا باذخًا، وأنبتك من مبنت من عزت أرومته، وخابت جرثومته، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يهلك من أنت خلفه، ولن يتحمل ذكر من أنت سلفه، أخرجنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب، فنحن وفد التهدئة لا وفد المرزئة.

قال: فأيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

قال: ابن أختنا؟ قال: نعم.

فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال:

مرحبًا وأهلًا، وناقة ورحلاً، ومستناخًا سهلاً، وملكًا ربحلا، تعطى عطاء جزلًا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم، والحبا إذا ظعنتم.

ثم أُنْهِضُوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا شهرًا لا يصلون إليه، ولا يأذن لهم في الانصراف، قال: وأجريت عليهم الأموال، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه وأخلى مجلسه ثم قال:

يا عبد المطلب إني مفوض إليك من سر علمي أمرًا لو كان غيرك لم أبح به لكني وجدتك معدنه فأطلعتُك طلْعه،.وليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ فيه أمره، إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المكنون، والعلم المخزون، الذي اختزناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبرًا جسيمًا، وخطبًا عظيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الممات للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة، فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سرٌّ وبر، فما هو فداك أهل المدر زمرًا بعد زمر؟، قال: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، كانت له الإمامة، ولكم به الدعاية، إلى يوم القيامة، فقال عبد المطلب له: أبيت اللعن، لقد أُوْبتُ بخير ما آب بمثله وافد قوم، ولولا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله لأخبرتك من شأنه ما زاد به سرورًا، قال الملك: هذا حينه الذي يُوْلَد فيه أو قد ولد اسمه محمد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمه ويكلفه جده وعمه، وأعداؤه يكيدونه مرارًا، والله باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم الأرض، يعبد الرحمن، ويدحض الشيطان، ويكسر الأوثان، ويخمد النيران، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال له عبد المطلب: أيها الملك عز جدك، ودام ملكك، وعلا كعبك، فهل الملك سارَّني بإفصاح، فقد وضح لي بعض الإيضاح؟

قال الملك سيف بن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب.

قال: فخرَّ عبد المطلب ساجدًا، فقال الملك: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا كعبك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك؟

قال: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن، وكنت به معجبًا، وعليه رفيقًا وإن زوجته كريمة من كرائم قومي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام فسميته محمدًا، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

قال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحفظه، واحذر عليه من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تتداخل بهم النفاسة من أن تكون لكم الرئاسة، فينصبون الحبائل، ويبغون له الغوائل، وإنهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أقيه من الآفات، واحذر عليه من العاهات لأوطأت أسنان العرب كعبة، ولأعليت على حداثة سنه أمره، ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك، ثم أمر لكل واحد منهم بمئة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوءة عنبرًا، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك ثم قال: ائتني بخبره وما يكون من أمره عند رأس الحول، فكان عبد المطلب يقول أيها الناس لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي شرفه وذكره وفخره فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: لتعلمن ولو بعد حين.

فصل: في ذكر من تسمى في الجاهلية باسمه
رجاء أن تدركه النبوة لما سمعوا من بشائر خروجه (ﷺ)

سمَّى قوم من العرب أبناءهم رجاء أن يكون أحدهم منهم: محمد بن أحيحة، محمد بن سلمة الأنصاري، محمد بن براء البكري، محمد بن سفيان بن مجاشع، محمد الجعفي، محمد السلمي، فقد خرج محمد بن عدي بن ربيعة ابن جشم، وسفيان بن مجاشع بن دارم، يزيد بن عمرو بن خاينة بن حرقوص، وأسامة بن مالك، وسبب ذلك مقالة سمعوها من راهب دير في الشام عن بعث نبي فيهم اسمه محمد (ﷺ) فلما انصرفوا إلى أهليهم وُلِدِ لكل رجل منهم غلام فسموه محمدًا وقيل عند السهيلي في كتاب «ليس» إنه جمع أسماء من تسمى باسم محمد في جزء مفرد فبلغوا عشرين اسما، وقال أبو سعد: وإنما حملهم على هذه التسمية أما تبركًا وتيمنًا، وإما تمنيًا أن يكون هو ذلك الرجل لما علموا أن هذا اسم ليس له في العالم سمي، فبادروا إليه تأويلاً لأحد الأمرين اللذين ذكرنا.

فصل: ذكر حديث سواد بن قارب الأزدي
في سبب إسلامه وقدومه على رسول الله (ﷺ)

كان كاهنًا في الجاهلية، وكان شاعرًا ثم أسلم، وكان نائمًا على جبل من جبال السراة، فأتاه آتٍ فأيقظه بضربة في رجله وقال له: قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول الله (ﷺ) من لؤى بن غالب فاستوى قاعدًا وأدبر وهو يقول:

عجبت للجن وأرجاسها ... ورحلها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صالحوها مثل أنجاسها
فارحل إلى الصفوة من بني هاشم ... واسم بعينيك إلى رأسها

ثم أيقظه مرتين وفي كل مرة تتكرر الإجابة الأولى مع تغيير أبيات الشعر،

وعندما أتى سوادٌ مكة فإذا برسول قد ظهر بها، فأخبره الخبر وبايعه (ﷺ) ولقى عمر بن الخطاب سواد بن قارب، فسأله، فأخبره بما سبق، وبينما عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) ذات يوم جالس، إذ مر به رجل، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: ومن هذا؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الذي أتاه رئيه بظهور رسول الله (ﷺ) قال فأرسل إليه عمر، فقال له: أنت الذي أتاك رئيك بظهور رسول الله (ﷺ)؟ قال: نعم، قال: أخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله (ﷺ)، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان أتاني آت فضربني برحله.. وذكر الحديث السابق.

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي أن رجلاً مر على مجلس بالمدينة فيه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فنظر إليه عمر فقال: أكاهن أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين قد هدى الله بالإسلام كل جاهل، ورفع بالحق كل باطل، وأقام بالقرآن كل مائل، وأغنى بمحمد (ﷺ) كل عائل.

فقال عمر (رضي الله عنه): متى عهدك بها؟ يعني صاحبته. قال: قبيل الإسلام، أتتني فصرخت يا إسلام، يا إسلام، الحق المبين، والخير الدائم، غير حلم النائم، الله أكبر.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين أنا أحدثك مثل هذا، والله إنا لنسير في دوية ملساء، لا يسمع فيها إلا الصدى، إذ نظرنا فإذا راكب مقبل أسرع من الفرس، حتى كان منا على قدر ما يسمعنا صوته فقال. يا أحمد يا أحمد، الله أعلى وأمجد، أتاك ما وعدك من الخير يا أحمد، ثم ضرب راحلته حتى أتى من ورائنا. فقال عمر: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا به.

فقال رجل من الأنصار: أنا أحدثك يا أمير المؤمنين بمثل هذا وأعجب، قال عمر: حدّثه، قال: انطلقت أنا وصاحبان لي نريد الشام، حتى إذا كنا بقفرة من الأرض فنزلناها، فبينا نحن كذلك إذ لحقنا راكب فكنا أربعة، وقد أصابنا

سغب شديد، فالتفت فإذا أنا بظبية عضباء ترتع قريبًا منا، فوثبت إليها، فقال الرجل الذي لحقنا، خل سبيلها لا أب لك، والله لقد رأيتها ونحن نسلك هذا الطريق ونحن عشرة أو أكثر من ذلك، فتخطف بعضنا، فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فيما يهاج بها فأبيت، فقلت: لا لعمرو الله لا أخليها، فارتحلناوقد شددتها معي حتى إذا ذهب سدفة من الليل إذا هاتف يهتف بنا ويقول:

يا أيها الركب السراع الأربعة　　خلُّوا سبيل النافر المفزعة
خلُّوا عن العضباء في الوادي سعة　　لا تذبحن الظبية المروعة
فيها لأيتام صغار منفعة

قال: فخلّيت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام، فقضينا حوائجنا، ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف هاتف من خلفنا.

إياك لا تعجل وخذها مرفقه　　فإن شر السير سير الحقحقهْ
قد لاح نجم فأضاء مشرقهْ　　يخرج من ظلماء نار موثقهْ
ذاك رسول مفلح من صدقهْ　　الله أعلى أمره وحققهْ

ويرى أن سواد بن قارب لما لقي رسول الله (ﷺ) أنشأ بقول:

أتاني نجيبي بعد هدء ورقدة　　ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة: أتاك　　رسول الله من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت　　بي الزعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا إله غيره　　وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة　　إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى　　وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة　　سواك بمغن عن سواد بن قارب

فصل: ذكر الكاهنة التي تعرضت لعثمان بن عفان (رضي الله عنه)

يروى عن عمر بن قتادة قال: قال عثمان بن عفان: خرجنا في عير إلى الشام قبل أن يبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلما كنا بأفواه الشام -وبها كاهنة فتعرضتنا، فقالت: أتاني صاحبي فوقف عليّ، فقلت: ألا تدخل؟

فقال: لا سبيل للدخول، خرج أحمد، وجاء أمر لا يطاق، قال: ثم انصرفت ورجعت إلى مكة، فوجدت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد خرج بمكة يدعو إلى الله (عز وجل)، ففرض علينا الإسلام، وقرأ علينا القرآن وأنبأنا بحقوق الإسلام، ووعدنا بالكرامة من الله فآمنا وصدقنا.

فصل: ذكر إسلام عمرو الهذلي

عن سعيد بن عمرو الهذلي، عن أبيه قال:

حضرت مع رجال من قومي صنمًا ببوانة وقد سقنا الذبائح، فكنت أول من قرب إليه بقرة سمينة، فذبحتها على الصنم، فسمعنا من جوفها العجب العجاب: خرج نبي من الأجناب، يحرم الزنا، ويحرم الذبائح الأصنام، وحرست السماء، ورمينا بالشهب.

قال: فتفرقنا وقدمنا مكة، فسألنا حتى لقينا أبا بكر الصديق رضوان الله عليه. فقلنا: يا أبا بكر أخرج أحد بمكة يدعو إلى الله (عز وجل) يقال له: أحمد؟ قال: وما ذاك؟ فاخبرته الخبر قال: نعم، هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم دعانا إلى الإسلام، فقلنا: حتى ننظر ما يصنع قومنا، ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ فأسلمنا بعد.

فصل: ذكر حديث قسّ بن ساعِدَة

عن ابن عباس: أن وفد بكر بن وائل قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما فرغوا من حوائجهم قال: هل فيكم أحد يعرف قسَّ بن ساعدة الأيادي؟ قالوا:

كلنا نعرفه قال (ﷺ) فما فعل؟ قالوا: هلك، قال (ﷺ): كأني به على جمل أحمر بعكاظ يقول: أيها الناس اجتمعوا واستمعوا، وعوا: كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، بحار تموج، وتجارة لن نبور، لئن كان في الأمر رضى ليكونن سخطًا، فإن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر.
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر.
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر.
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر.

قال رسول الله (ﷺ): من يزيدنا في إيمان قس بن ساعدة؟ فوثب رجل فقال: بينا نحن في ملاعبنا إذا بقي بن ساعدة الأيادي واقف على عين ماء وهو يقول: لا وإله السماء، لا يشرب القوى من الوحش قبل الضعيف، بل يشرب الضعيف قبل القوى، ولا يشرب القوى من الطير قبل الضعيف قال: فرأيت يا رسول الله القوي من الوحش يتأخر حتى يشرب الضعيف، فلما انصرف ما حوله جئته فإذا به واقف يصلي بين قبرين، فلما انفتل من صلاته، قلت: انعم صباحك يا قس ما هذه الصلاة التي لا تعرفها العرب؟ قال: أصليها لإله السماء قلت: وهل للسماء إله سوى اللات والعزى؟ قال: فانتفض وانتقع لونه قال: إليك عني يا أخا إياد، إن للسماء إلهًا عظيم الشأن، زخرفها وكوكبها، وبالشمس أشرقها، وبالأرض صميم الأديم الزاخر سطحها، ليس له كيفية ولا أبنية ولا كيموسية ولا كيفوية، أظلم الليل، وأضاء النهار، يسلك بعضهم في بعض كيف يشاء، فقلت له: لم تجد موضعًا تصلي فيه إلا في هذا الموضع؟

قال: ما أجد أحدًا يقول لا إله إلا الله إلا صاحبي هذين القبرين، وإنما أنتظر ما أصابهما، ثم ذكر أيامهما وبكى ثم أنشد شعرًا يبكيهما فيه، ثم قال له: إنه سيعمكم من هذا الوادي -وأشار إلى مكة - رجل أدعج، أحور، أقنى، لا بالطويل الذاهب، ولا بالقصير اللازم، من ولد لؤي بن غالب، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، وعيش الأبد، ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه، ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من أناوله صفحة كفي فأتقدم بين يديه بحكم ربي، ولقد وصف فيك يا محمد علامات شتى ما أحفظها، فقال رسول الله (ﷺ): حسبك حسبك، أما إن قس بن ساعدة يبعث يوم القيامة أمة وحده.

فصل: في ذكر قصة يوشع اليهودي

كان في بني عبد الأشهل يهودي اسمه يوشع في صومعة كانوا يأتونه فسمعوه يقول كثيرًا: إن بعد الموت بعثًا وجنة ونارًا، فيضحكون منه وينكرون أي شيء بعد الموت، إلا أنه أخبرهم عن ظهور كوكب أحمد وهو لا يطلع إلا بالنبوة ولم يبق من الأنبياء سواه فكانوا يضحكون منه، لكنه قال إن بعد الموت جنة ونارًا وإنهم أهل أوثان، فلما قدم رسول الله (ﷺ) آمنت بنو عبد الأشهل كلها غيره، وتحول إلى بني قينقاع وكان أخبثهم وأشدهم على النبي (ﷺ) فأظهروا له العداوة فتحول إلى بني النضير ثم إلى بني قريظة حتى فر إلى خيبر حتى سمع بمسير رسول الله (ﷺ) إلى خيبر لفتحها هرب إلى تيماء ومات في خلافة عمر (رضي الله عنه) وكان يوشع يقول بخروج أحمد من الحرم وهو رحل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، يركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد -أي المدينة- مهاجره فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة مهاجرًا أخبره أبيٌّ بهذا الخبر، فقال (ﷺ): لو أسلم الزبير وذووه من رؤسائه لأسلمت اليهود كلها. والزبير قال بطلوع الكوكب الأحمر وهو علامة خروج محمد (ﷺ).

فصل: ذكر حديث عمرو بن مُرَّة بن قيس بن جُهَينة

كان من غطفان خرج حاجًا في الجاهلية، فنام، فرأى نورًا سطع في الكعبة أضاء نخل يثرب وأشعر جبل جهينة فانتبه فسمع صوتًا يقول:

انقشعت الظلماء وسطع الضياء
وبعث خاتم الأنبياء

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظر إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن وسمع صوتًا يقول:

أقبل حق فسطع ودمغ باطل فانقمع

فانتبه فزعًا فقال لقومه: والله ليحدُثَنَّ في هذا الحي من قريش حدث وأخبرهم بما رأى! فلما انتهينا إلى بلادنا قيل: إن رجلاً يقال له أحمد قد بعث، فخرجت حتى أتيته فأخبرته فقال لي: يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله (عَزَّوَجَلَّ) ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان -شهر من اثني عشر شهرًا- من أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، فآمن بالله يا عمرو بن مرة! يؤمنك الله من هول جهنم، فقلت: يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، آمنت بما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيرًا من الأقوام، وأنشدته أبياتًا قلتها حين سمعت به، وكان لنا صنم وكان أبي سادنه، فقمت إليه فكسرته حتى لحقت بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وأنني لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساقي الإزار مهاجرًا أجوب إليه الوعث بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفسًا وولدًا رسول مليك الناس فوق الحبائك

فقال رسول الله (ﷺ): مرحبًا بك يا عمرو!

قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ابعثني إلى قومي لعل الله أن يمنَّ عليهم بي كما منَّ عليّ بك، فبعثني إليهم فقال (ﷺ): عليك بالرفق، القول السديد، ولا تك فظًا، ولا متكبرًا، ولا حسودًا.

فأتيت قومي، فقلت: يا بني رفاعة: بل يا معشر جهينة إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم من النار، وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان -شهر من اثني عشر شهرًا- من أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، يا معشر جهينة: إن الله ولله الحمد -جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبُّب إلى غيركم من العرب: كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والغزاة في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، وسارعوا في ذلك يكن لكم فضيلة عند الله، فأجابوا إلا رجلاً منهم، فقال: يا عمر أمرَّ الله عيشك! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا، ونفارق جماعتنا، ونخالف دين آبائنا إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تهامة؟ لا، ولا حبًا وكرامة فقال عمر: الكاذب مني ومنك أمرّ الله عيشه وأبكم لسانه وأَكْمَه أسنانه قال عمرو: والله ما مات حتى سقط فوه، وكان لا يجد طعم الطعام وخرس.

فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه، حتى أتوا النبي (ﷺ) فكتب لهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمان من الله على لسان رسول الله (ﷺ) بكتاب صادق، ولسان ناطق مع عمرو بن مرة لجهينة بن زيد، إن لكم بطون الأرض، وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، ترعون نباته، وتشربون ما فيه على أن تقروا بالخمس، وتصلوا صلاة الخمس، وفي التيعة والصريمة شاتان

إذا اجتمعتا، وإن فرقتا شاة شاة، ليس على أهل الميرة صدقة، وليس للوارد التيعة، والله يشهد على ما بيننا، ومن حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس فهذا حين يقول عمرو بن مرة:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وبين برهان القرآن لعامر
كتاب من الرحمن نور لجمعنا ... وأحلافنا في كل باد وحاضر
إلى خير من يمشي على الأرض كلها ... وأفضلها عند اعتكال الضرائر
أطعنا رسول الله لما تقطعت ... بطون الأعادي بالظماء الخواطر
فنحن قبيل قد بنى المجد حولنا ... إذا اختليت بالحرب هام الأكابر
بنو الحرب نفريها (ببيض كأنها) ... وميض تلالا في أكف المغاور
ترى حوله الأنصار يحمون سربهم ... بسمر العوالي والصفيح البواتر

ثم انتبه وأخبر قومه وقال لهم: والله ليحدثن بمكة حدث في هذا الحي من قريش فلما عاد لبلاده عرف ببعث رسول الله (ﷺ) فقدم وأسلم.

فصل: ذكر إسلام خُفاف بن نَضْلَة

قدم على رسول الله (ﷺ) في مسجده فأنشد لرسول الله (ﷺ) شعرًا منه

إنـي أتـانـي فـي المنـام مخبر ... من جن وجرة في الأمور موات
يـدعـو إلـيـك ليـالـي وليـاليـا ... ثـم احـزأل وقـال: لست بآتي
فركبت ناجية أضر بنفسها ... جـمـز تـخـب عـلـى الأكـمـات
حتى وردت إلى المدينة جاهدا ... كيما أراك فتفرج الكربات

فاستحسنها رسول الله (ﷺ) وقال: إن من البيان كالسحر وإن من الشعر كالحكم.

فصل: ذكر قصة إسلام عباس بن مِرداس

كان سبب إسلامه كان يغبر في لقاح له نصف النهار، إذا طلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب وعليه ثياب بيض مثل اللبن فقال له:

يا عباس بن مرداس، ألم تر أن السماء كفت أحراسها كفت أحراسها، والحرب قد صرعت أنفاسها، وأن الخيل قد وضعت أحلاسها، وأن الدين نزل بالبرِّ والتقوى، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة القصوى، فعاد عباس مرعوبًا فلاذ بصنم يقال له الضِّماد فسمع صوتًا من جوفه يقول:

هلك الضماد وكان يعبد مرة قبل الصلاة على النبي محمد
إن الذي جاء بالنبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

فخرج مرعوبًا ثم أتى قومه بني حارثة، فخرجوا معه إلى رسول الله (ﷺ) بالمدينة فوجدوه بالمسجد، فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال له: يا عباس كيف كان سبب إسلامك؟ فقص عليه (ﷺ) القصة، فقال: صدقت، وأسلمت أنا والقوم، وسر النبي (ﷺ) بإسلامه معهم.

فصل: ذكر إسلام زَمْل بن رَبيعَة

قال زَمْل بن ربيعة: كان لبني عذرة صنم يقال له حُمام يذبحون له، وكان سادنه رجلاً يقال له: طارق، قال زمل بن ربيعة: فلما ظهر النبي (ﷺ) سمعنا من جوفه منطقًا يقول:

يا بني هند بن حرام ظهر الحق وأوذي الحُمام
ودُفع الشرك بالإسلام

قال: ففزعوا لذلك وهالهم ثم سمعوا بعد أيام صوتًا من الصنم يقول لسادنه طارق:

يـــا طـــــارق يـــا طـــارق بـعـث الـنـبـي الـصـــادق
جـــــاء بـــوحـــي نـــاطـــق

قال: ثم وقع الصنم لوجهه فتكسر وخرجوا إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره، فقال رسول الله (ﷺ): ذلك كلام الجن المؤمن ثم دعانا (ﷺ) إلى الإسلام فأسلمنا وعقد له لزمل لواء شهد به صفين مع معاوية وقتل يوم مرج راهط.

فصل: ذكر قصة أكثم بن صيفي

كان كبير قومه، طاعنًا في السن أراد إتيان النبي (ﷺ) فمنعوه وخافوا عليه فانتدب رجلين أتيا النبي (ﷺ) فسألاه وسمعا منه (ﷺ) من أنت؟ وما أنت؟ وما جئت به؟ فقال (ﷺ): أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠) ثم حفظوا ما قال وجاءوا أكثم فلما سمع كلام النبي (ﷺ) قال:

إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا كونوا فيه أولاً، ولا تكونوا فيه آخرًا، فلم يلبث أن حضرته الوفاة.

فصل: ذكر قصة إسلام عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بنِ جَبَلَة وعِصام بنِ عامرِ الكَلْبي

قال عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل الجلاح الكلبي: كان لنا صنم يقال له -عمرة- وكنا نذبح له في كل أيامنا، وكان جميعُ بني عامر يعظمونه، وله سادن اسمه عصام، فسمعوا صوتًا من جوف الصنم يقول:

يــا عــصــام يــا عــصــام جاء الإسلام وذهبت الأصنام
وحقنت الـدمـاء ووصـلـت الأرحـام

قال: ففزعت لذلك وقلت: ما هذا؟

فمكثوا أيامًا وأرادوا أن يذبحوا فسمعوا منطقًا آخر من جوف الصنم يقول: لابن جبلة وكان يسمى بكرًا.

يا بـكـر يا بـكـر بـن جبل جـــاء الــنــبــي المــرســل
يصدقه المطمعون في المحل أربـــاب يــثــرب ذات نـخـل
ويـكـذبـه أهـل نجـد وتهامة وأهـــل فــلــج والــيــمــامــة

فجاء عبد بن عمرو بن جبلة وعصام إلى النبي (ﷺ) وأخبراه ثم دعاهم إلى الإسلام فأسلموا.

فصل: ذكر قصة إسلام جَنْدل بن نَضْلة

كان شاعرًا راجزًا وكان له صاحب من الجن فأتاه فدهمه وقال:

هـب فـقـد لاح سـراج الـديـن بــصـــادق مــهــذب أمــين
فـارحـل عـلـى نـاجـيـة أمـون تمشي على الصحصح الحزون

فانتبه مذعورًا فقال: ماذا؟ فقال صاحبه من الجن:

وســـــاطــــــح الأرض وفــــــــارض الــــفــــرض
لـــقـــد بـــعـــث مـحـمـد فـــي الــطــول والــعــرض
نــشــأ فــي الحـــرمــات الـعـظـام
وهــاجــر إلـــى طـيـبـة الأمـيـنـة

ثم سار إلى رسول الله، فإذا بهاتف يقول له:

يا أيها الراكب المزجّي مطيته   نحو الرسول لقد وفقت للرشد

فكان صاحبه من الجن، فذكر القصة للنبي (ﷺ) فعرض عليه الإسلام فأسلم.

فصل: ذكر قصة مازن أبي حَيَّان، وسبب إسلامه ووفوده على النبي (ﷺ)

كان بأرض عمان بقرية تدعى سنابل، يسدن الأصنام لأهله وكان له صنم يقال له: ناجز فذبح ذات يوم فسمع صوتا من الصنم يقول:

يا مازن أقبل إليّ أقبل   تسمع ما لا يجهل
هذا نبي مرسل   جاء بحق منزل
فآمن به كي تعدل   عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فتعجب ثم أراد أن يذبح بعد ذلك فسمع من جوف الصنم صوتًا أبين من الأول يخبره شعرًا بخروج نبي من مضر بدين الله الأكبر وقدم عليهم رجل من الحجاز فقال له: ما الخبر وراءك فأجابه بخروج رجل اسمه أحمد، فعرف أن ذلك تصديق لما سمع فحطم الصنم، ورحل حتى أتى رسول الله (ﷺ) فأسلم ودعا له رسول الله (ﷺ) بأن يبدله الله بالطرب القرآن، وبالحرام الحلال، وأن يأتيه الحياء، ويهب له ولدًا فأذهب الله عنه ما يجد وأخصبت عمان وتزوج أربع حرائر ووهب الله له الحياء، ولما رجع إلى قومه أنبوه وشتموه، وأمروا شاعرهم بهجائه.

فصل: ذكر قصة الجعد بن قيس المُرادي

بلغ مئة سنة وخرج مع ثلاثة نفر للحج في الجاهلية، فسمع بواد من أودية اليمن ليلًا بعد أن عقلوا رواحلهم ونام أصحابه هاتفًا يقول:

ألا أيها الراكب المعرس بلغوا ... إذا ما وقفتم بالحطيم وزمزما
محمدًا المبعوث منا تحية ... تُشيعه من حيث سار ويمما
وقولا له إنا لدينك شيعة ... بذلك أوصانا المسيح ابن مريما

فصل: ذكر قصة إسلام ذُباب بن الحارث

كان لسعد العشيرة صنم يقال له: قراص يعظمونه وله سادن اسمه ابن وقشة له رئيٌّ من الجن يخبره بما يكون، فقال له ذات يوم شعرًا أخبرني به يقول:

يا ذباب يا ذباب ... اسمع العجب العجاب
بعث محمد بالكتاب ... يدعو بمكة ولا يُجاب

فقال: ما هذا؟ فقال: لا أدري، كذا قيل لي، قال: فلم يكن إلا قليل حتى سمع بخروج النبي (ﷺ) فكسر الصنم ثم أتى رسول الله (ﷺ) فأسلم.

فصل: ذكر إسلام رافع بن خَداش

كان له ابن عم اسمه جندع بن الصُّميل أتاه آتٍ فقال له:

يا جندع بن صميل أسلم تسلم ... وتغنم من حر نار تضرم

فقال: ما الإسلام؟ قال:

البراء من الأصنام ... الإخلاص للملك العلام

قال: وكيف السبيل؟ فأخبره بظهور نبي يطلع من الحرم.

فذهب رافع وابن عمه جندع إلى رسول الله (ﷺ) لكن جندعًا مات بنجران ولقى رافع النبي (ﷺ) وأسلم.

فصل ذكر قصة إسلام أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)

هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار الغفاري، خامس خمسة أسلموا، خرج أبو ذر هو وأخوه أنيس وأمه من قومهم غفار فنزلوا على خال لهم أكرمهم ثم نزلوا مكة وكان لأنيس حاجة، فسعى إليها ثم جاء لأخيه أبي ذر بعد فترة وأخبره بظهور رجل بمكة يزعم أنه مرسل من عند الله وأن الناس يقولون عنه إنه شاعر -وكان أنيس شاعرًا- فقال: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على حد الشعر فما يلتئم على لسان أحد، إنه مبعوث، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، فذهب أبو ذر ليسأل عنه أهل مكة فأوسعوه ضربًا حتى دمي وأغشي عليه، فأتى زمزمًا وغسل عن نفسه الدماء ومكث ثلاثين يومًا لا طعام له إلا ماء زمزم فسمن وفي ليلة قمراء وما يطوف بالبيت أحد إذا امرأتان تدعوان إساف ونائلة قال أبو ذر: فأتيا عليّ في طوافهما فقلت: أنكحا إحداهما الآخر فما تناهيا عن قولهما فأبيا عليّ فقلت: هنًا مثل الخشبة - غير أني لا أكني - فانطلقتا تولولان، تستغيثان فاستقبلهما رسول الله (ﷺ) وأبو بكر فأشارتا على أبي ذر بأنه الصابئ بين أستار الكعبة وأنه قال كلمة تملؤ الفم، فجاء رسول الله فطاف هو وصاحبه فلما انتهى حياه بتحية أهل الإسلام فرد الرسول (ﷺ) عليه وسأله عن قبيلته وعن وقت مجيئه فأخبره أنه من غفار وأنه في مكة منذ ثلاثين يومًا لا طعام له إلا ماء زمزم فاستأذن أبو بكر رسول الله (ﷺ) في إطعامي، فأطعمني من زبيب الطائف، فكان أول طعام أكله أبو ذر منذ ثلاثين يومًا ثم أتى رسول الله (ﷺ) فقال (ﷺ): إنه قد وجِّه إلى أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك وبأجرك فيهم؟ وتوجه أبو ذر

إلى أخيه وأمه فوجدهما قد أسلما فأتوا قومهم فأسلم نصفهم وقال نصفهم الآخر: إذا قدم رسول الله (ﷺ) المدينة أسلمنا فقدم، فقالوا: يا رسول الله إخواننا يسلمون على الذي أسلمنا عليه فأسلموا فقال رسول الله (ﷺ): غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله.

فصل ذكر قصة إسلام سلمان الفارسي

عن ابن عباس، يقول سلمان –حدثه من فيه– أنه كان رجلاً مجوسيًا من أهل أصبهان وأبوه دهقان قرية، حبسه في البيت حبًا فيه وكأنه جارية واجتهد حتى صار قاطن النار وأرسله أبوه؛ ليعمل بضيعته، فمر بكنيسة للنصارى، فسمع صلاتهم فأعجبته، وما عاد لأبيه ثم سألهم عن أصل هذا الدين فقالوا: بالشام، فلما جاء أباه وسأله فعرف ما وقع فيه سفه من دين النصارى، وحبسه، فأرسل سلمان إلى النصارى، أن يخبروه إذا قدم عليهم ركب من الشام، فأخبروه ففر من محبسه وفي الشام أسقف في كنيسة وبعدما سأل عن عالمهم –فكان يخدمه ويصلي معه ويتعلم منه فلما أقام معه ليتفقه في النصرانية– رآه فاجرًا سوافًا ثم مات الأسقف وجاء النصارى ليدفنوه فأعلمهم سلمان بكذبه ودلهم على الأموال التي اكتنزها لنفسه ولم يكن يعطي المساكين، فصلبوه ورجموه وجاؤا بآخر رآه سلمان أفضل من سابقه.فلما حضرته الوفاة سأله سلمان عمن يوصي به فدله على رجل بالموصل فذهب إليه سلمان فوجده صالحًا كصاحبه ثم حضرته الوفاة فأوصاه أن يذهب إلى رجل بنصيبين فلحق به سلمان فوجده كصاحبه فلما حضرته الوفاة أوصاه أن يذهب إلى صاحب له بعمورية وذهب إليه سلمان فوجده على مثل ما كان أصحابه فلما حضرته الوفاة أوصاه أن يذهب إلى أرض العرب حيث سيخرج فيها نبي يبعث بدين إبراهيم الحنيفية يكون مهاجره حرَّة، وقراره إلى أرض بها نخل بين حرتين، بظهره خاتم النبوة إذا رأيته عرفته، «يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، ثم

مات، ومر بي ركب من كلب فسألهم عن بلادهم فأخبروه فأعطاهم بقرات وغنمات كانت معه ليذهبوا به إلى وادي القرى فغدروا به وباعوه إلى رجل يهودي ثم اشتراه يهودي من بني قريظة فأخذه وقدم به المدينة فعرفها وكان يعمل لذلك اليهودي في ماله من بني قريظة وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة ونزل بقباء وكان على رأس نخلة يعمل لصاحبه اليهودي حتى جاء ابن عم له فأخبره بقدوم رجل من مكة يزعمون أنه نبي، فنزل وسأل سيده اليهودي فضربه ونهاه وأمره أن يعود لعمله وفي المساء جمع ما كان عنده وأتى رسول الله (ﷺ) وكلمه وقدم له ولأصحابه طعامًا وقربه فقال رسول الله (ﷺ) كلوا وأمسك (ﷺ) وأبى أن يأكل فقال سلمان: هذه واحدة ثم جمع شيئًا وأتى به إلى رسول الله (ﷺ) وأحب أن يهديه إياه قائلاً، هذا شيء كان عندي أحببت أن أكرمك به، وهي هدية، أهديتها لك بكرامة وليس بصدقة فإني رأيتك لا تأكل الصدقة، فأكل رسول الله (ﷺ) وأصحابه وقال سلمان: هاتان اثنتان، ثم مكث سلمان ستًا ثم جاء رسول الله (ﷺ) فوجده ببقيع الغرقد في جنازة، وقال سلمان: فسلمت عليه ثم تحولت حتى قمت وراءه لأنظر في ظهره، فعرف (ﷺ) فألقى بردائه، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فانكببت أقبل موضع الخاتم وبكيت ثم تحولت وجلست بين يديه وقصصت عليه شأني وحديثي فأعجبه ذلك ثم أسلمت وشغلني الرق فأمرني رسول الله (ﷺ) بمكاتبة صاحبي فكاتبته على ثلاثمئة نخلة وبأربعين أوقية ورق فأمر الرسول (ﷺ) أصحابه على معاونتي ففعلوا وكان يتقدمهم رسول الله قلنا نحمل إليه الودية فيضعها بيده ثم يسوي عليها ترابها ويبرك حتى فرغنا وبقيت عليه الدراهم فأمهلني رسول الله (ﷺ) حتى يوسع الله عليه، وبينا رسول الله (ﷺ) في أصحابه ذات يوم، إذ أتاه رجل من أصحابه بتبر من ذهب كبيضة الديك، فدعاني رسول الله، فخشيت ألا تؤدي ما عليَّ لكن الرسول أعلمني أنها ستؤدى عني فذهبت فوفيت حقهم، وكان سلمان قد قرأ في الكتب

نجوم الأنبياء والمرسلين: فما رأيت شيئًا أحسن من نجم تلألأ نورًا ولمعانًا له أربع كأنها مصابيح إلى الجهات الأربع تزداد كل ساعة لمعانًا فلما رجع إلى حائطه رأى النخل والرمان والسدر والزيتون وكل الشجر ساجدة لحق محمد (ﷺ) حتى مالت الحيطان فسجدت فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فصل: ذكر قصة أبي عُمَير بن الهيِّبان

كان يهوديًا من يهود الشام، قدم المدينة قبل الإسلام بسنتين، كان إذا حبس المطر خرج يستسقي لهم بعد أن يأخذ من كل واحد صاعًا من تمر أو مُدَّين من شعير، فلما حضرته الوفاة قال: يا معشر يهود ما الذي ترون أنه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم يا ابن الهيّبان قال: إنما قدمتها أتوكف خروج نبي قد أطلعكم زمانه، هذا البلد مهاجره، وكنت أرجو أن أدركه فأتبعه، فإن سمعتم به فلا تُسْبَقُنَّ إليه، فإنه يسفك الدماء، ويسبي الذراري والنساء فلا يمنعنكم هذا منه ثم مات.

فصل: ذكر إسلام عَمرو بن عَبَسَةَ (رضي الله عنه)

رغب عن آلهة قومه، فلقيه رجل من أهل الكتاب فسأله عن أفضل الدين فأخبره عن رجل يخرج من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها ويأتي بأفضل الدين، ونصحه بأن يتبعه إذا سمع به، فجاء عمرو مكة حتى عرف بخروج النبي (ﷺ) فجاء إليه وسأله عنه وعمن أرسله وبم أرسله فأجابه الرسول (ﷺ) أنه مرسل من عند الله، بصلة الأرحام، وحقن الدماء وأمن السبل وكسر الأوثان وعبادة الله وألا نشرك به شيئًا، فآمن به وأمره الرسول (ﷺ) أن يمكث في أهله حتى إذا سمع بخروجه اتبعه فما أن سمع حتى جاء رسول الله (ﷺ) فعرفه وأعلمه أن جوف الليل الآخر أسمع للدعاء.

فصل: ذكر إسلام كَعْب الأحبار

هو كعب بن مانع الحميري اليماني، العلامة، الحبر، كان يهوديًا، وله إدراك، أخذ السنن عن الصحابة، إسلامه كان في قدوم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الشام، وكان أبوه أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران (عليه السلام) ولم يكن يدخر عنه شيئًا، فلم حضرته الوفاة، أعلمه أنه حبس عنه ورقتين فيهما ذكر نبي مبعوث قد أظل زمانه خوفًا عليهم من إطاعته للكذابين، وجعلها في كوة -أشار عليها أمامه -طين عليهما، ونصحه باتباع ذلك النبي فهذا خير أراده الله به، وبعد موته دفنه وبعد انقضاء المأتم نظر في الورقتين فإذا فيهما: أن محمدًا خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومهاجره بالمدينة، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، يجزئ بالسيئة الحسنة ويعفو ويصفح وكذلك فيهما ذكر عن أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) أمته الحمَّادُون الذين يحمدون الله على كل حال، تدلل ألسنتهم بالتكبير، ينصر نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم، ويأتزرون على أوساطهم، أناجيلهم في صدورهم، وتراحمهم بينهم كتراحم بني الأم، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم.

فعرف أنه ما علمه أبوه خير من هذا، وبلغه خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) بمكة ثم دخوله المدينة، فأتى المدينة، فكان يتابع وقائعه، مرة له ومرة عليه حتى بلغه أنه توفي فظن أنه ليس الذي كان يظنه، ثم عرف أن خليفته قد قام مقامه، ثم جاءتهم جنوده فلم يدخل هذا الدين حتى يرى أعمالهم فوجدهم أفعالهم طيبة من وفاء بالعهد وما فعل الله لهم على الأعداء، فعلم أنهم الذين ينتظرونهم وسمع ذات ليلة الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (النساء: ٤٧) فخشي أن لا يصبح

حتى يحول وجهه في قفاه، فما كان شيء إليه أحب من الصباح، فغدا على المسلمين، ثم ذكر لعمر بن الخطاب أنه مكتوب في الكتب أن هذه البلاد مفتوحة على يد رجل من الصالحين صفاته صفات عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، فحمد عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ربه وترحم على نبيه ثم أقبل كعب إلى المدينة.

فصل: ذكر قصة النجاشي وإسلامه (رَحِمَهُ اللَّهُ)

قال جعفر بن أبي طالب: يا رسول الله، ائذن لي آت أرضًا أعبد الله بها لا أخاف أحدًا، فأذن له، فبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بالهدايا للنجاشي فقبلها، ثم سجدوا له ليسلمهم المهاجرين المسلمين من مكة وأنهم لا يشهدون أن عيسى بن الله، ولا يسجدون لك فلما أحضر المسلمون زجرهم القسيسون والرهبان ليسجدوا فرد جعفر بن أبي طالب بأنهم لا يسجدون إلا لله وأن الله بعث فيهم محمدًا رسولاً وهو الذي بشر به عيسى بن مريم ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦) وأمرنا بعبادة الله ولا نشرك به شيئًا ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، فأعجب النجاشي بكلام جعفر الذي واصل رده على عمرو بن العاص بأن عيني روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول فتمنى النجاشي أن يخدم رسول الله (ﷺ) ويحمل نعليه ثم أمر للمسلمين بطعام وسمح لهم بحرية الإقامة في أرضه ورد الهدايا على عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ثم قرأ عليه جعفر سورة مريم، فلما سمعها النجاشي عرف أنه الحق وصدق عليهم وعلى نبيهم (ﷺ).

وكان رسول الله (ﷺ) بعث عمرو بن أمية الضمري في شأن جعفر وأصحابه، وكتب معه كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى
النجاشي أصحمة ملك الحبشة سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، فإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله (عز وجل)، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب النجاشي إلى رسول الله (ﷺ):

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله (ﷺ) من النجاشي أصحمة
ابن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة
الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني
إلى الإسلام، أما بعد:

فقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت حرفًا، وإنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك مبايعة ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ويروى أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد غيره، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فعدت الحبشة على أب النجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه، ومكثوا على ذلك حينًا،

ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبًا حازمًا فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالوا: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا نتخوف أن يملكه علينا، ولئن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، وقد عرف أنا قتلنا أباه، فمشوا إلى عمه وقالوا له: إما أن تقتل وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فإنا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم قتلتم أباه بالأمس، وأنا أقتله اليوم؟ بل أخرجوه من بلادكم، فخرجوا به إلى السوق فباعوه إلى رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه في السفينة، فانطلق به حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هم حمقى ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه حتى أدركوه فأخذوه من التاجر وعقدوا عليه التاج وملكوه، وجاءهم التاجر وقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلم الملك في ذلك، فقالوا: لا نعطيك شيئًا، جاء إلى الملك فجلس بين يديه، قال: أيها الملك ابتعت غلامًا من السوق بستمائة درهم، فأخذوا دراهمي وسلموا الغلام إليّ حتى إذا سرت بغلامي أدركوني فأخذوا غلامي ومنعوني دراهمي، فقال لهم النجاشي: لتعطينه دراهمه أو ليسلمن إليه غلامه ليذهب به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه، وكان ذلك أول ما علم من صلابته في دينه وعدله في حكمه.



جامع أبواب ظهوره (صلى الله عليه وسلم)
ومولده الشريف

باب ظهور النبي (ﷺ) وانقلابه في أصلاب آبائه

روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): حملت في خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.

وسئل رسول الله (ﷺ) متى كنت نبيًا؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد وعن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال: إنه صحب كعب الأحبار وهو يريد الإسلام فوجده أوصف رجل لرسول الله (ﷺ) ولم يره وأنه في ليلة استعبر باكيًا وقال: قبض محمد (ﷺ) في هذه الليلة ولقد رأيت أبواب الجنان فتحت، ثم قدم بعد ذلك كعب مدينة الرسول (ﷺ).

ولما وصف سعيد ما ذكر له كعب قالوا: إن كعبًا لساحر، فلما سمع كعب مقالتهم قال: الله أكبر ما أنا بساحر ثم أخرج لهم حريرة خضراء مطوية طيًا شديدًا من مزود عليه قفل مختوم، أعلمهم أن فيها صفة رسول الله (ﷺ)، وأن الله -تبارك وتعالى- لما أراد أن يخلق محمدًا (ﷺ) أمر جبريل أن يقبض قبضة من موضع قبره، وهي بيضاء نقية فعجنت حتى جعلت كالدرة البيضاء، ثم غمست في كل أنهار الجنة، وطيف بها في السموات والأرضين والبحار فعرفت الملائكة محمدًا قبل أن تعرف آدم (عليه السلام) وكان نور محمد (ﷺ) يرى في دائرة غرة جبين آدم (عليه السلام) كالشمس في دوران فلكها وسمع منها كنشيش الذر في وجهه وكان هذا تسبيح سيد ولدك، فخذه بعهدي وميثاقي ولا تودعه إلا في الأصلاب الطاهرين، ثم انتقل النور من آدم إلى حواء بعدما حملت بشيث فكانت الطيور والسباع تشير إلى حسنها، فلما وضعته ضرب بينها وبين إبليس بحجاب من النور غلظ خمسمئة عام ولما بلغ شيث سبع سنوات، قال له أبوه آدم: إن الله أمرني أن آخذ عليك عهدًا، ثم سأل الله شهودًا

من الملائكة، فنزل جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة معهم حريرة بيضاء وقلم من أقلام الجنة فكتب بنور من أنوار الجنة وشهدت الملائكة ولما بلغ الأمر إلى إدريس النبي (ﷺ) أوصى بهذا النور إلى نوح (عليه السلام) ثم إلى سام ثم إلى هود، ولما ولد إبراهيم (عليه السلام) صارت الدنيا كلها نورًا، فضرب له عمودان من نور وسط الدنيا حتى لحقا بأعنان السماء بإشراق، وحسن تهتز الملائكة من حسنه، فقالت: ربنا ما هذا؟ فنودي: هذا نور محمد، وقال ابن عباس: إن قريشًا كانت نورًا بين يدي الله (عز وجل) قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق الله آدم أبقى ذلك النور في آدم (عليه السلام) فقال رسول الله (ﷺ): فأهبطني الله تعالى الأرض في صلب آدم، فحملني في صلب نوح (عليه السلام) في السفينة، ثم قذف بي في النار في صلب إبراهيم (عليه السلام) ولم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويين لم يلتقيا على سفاح قط.

وعن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ) قال: لما خلق الله (عز وجل) آدم خير لبنيه، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض، قال: فرآني نورًا ساطعًا في أسفلهم، فقال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك أحمد (ﷺ) هو الأول والآخر، وهو أول شافع ورأى عبد المطلب في منامه في الحجر كأنه خرجت من ظهره شجرة خضراء حتى بلغت عنان السماء، وإذا أغصانها نور في نور، وإذا بقوم بيض الوجوه، وإذا القوم متعلقون بها من لدن ظهري إلى السماء، فلما أتى كهنة قريش أخبروه بأن الله (عز وجل) صرف إليه العز والكرامة، وأنه قد خص بحسب وسؤدد، لم يخص بها أحدًا من العالمين، فأعطاه الله (عز وجل) ذلك وسأل الله ملائكته عن أكرم أهل الأرض -وهو أعلم بذلك- فلم تر الملائكة إلا نورًا واحدًا في ظهر رجل من ولد إسماعيل فقال الله (عز وجل) فاشهدوا أني قد أكرمته لنطفة حبيبي محمد (ﷺ) فكانت نطفة مالك، وإنما سُمِّي مالكًا؛

لأنه ملك العرب -وأوصى مالك ابنه فهرًا وأوصى فهر غالبًا، وأوصى غالبًا لؤيًا، وأوصى لؤيٌّ كعبًا، وأوصى كعب مرَّة، وأوصى مرَّة كلابًا فولدت له قصي واسمه:

زيد ويسمَّى مجمِّعًا، وإنما سمِّي بذلك؛ لأنه جمع أولاد آبائه أقصاهم وأدناهم وأنزلهم مكة وأقطعهم شعابها فسمُّوا قريشًا لاجتماعهم، وإلى ذلك أشار حذافة بن غانم العدوي بقوله لأبي لهب:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

ولأنه كان يقصي الباطل ويدني الحق، والعرب كانوا يتحاكمون إليه.

قال ابن إسحاق: ولي قصي أمر مكة والبيت، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينا عليه لا ينبغي تغييره، فكان قصي أول بني كعب بن لؤي. أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم الناس أن قريشًا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعًا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء حرب قوم من غيرهم إلا في داره يعقده لهم بعض ولده، قال: وكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته، كالدين المتبع لا يعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت تقضى أمورها، ثم ولد له عبد مناف، وكان بيده لواء نزار وقوس إسماعيل وسقاية الحجاج ومفاتيح الأصنام، وإنما سُمِّي عبد مناف، لأن أباه قصي قرَّبه إلى

أهله، وكان يعبد صنمًا يقال له: مناف، فوهبه له وأقامه لخدمته فسُمِّي: عبد مناف، ثم ولد له هاشم، وإنما سمي هاشمًا لأنه أول من هشم الثريد لقومه، وقيل: إنما سمي هاشمًا لأن أهل مكة أصابهم جدب شديد ومجاعة فهشم لهم الخبز وأطعم الثريد، والهشم: الكسر الصغار، وكان هاشم جوادًا سريًا سخيًا لا يفتر من الأضياف، وكان يغل عنده ما يكفي جميع الناس من الخبز فيكسره وهو هنا الطعام الذي يطعمه الأضياف، ويثرده في الجفان ويقدمه إليهم، فكان ذلك أعمل لجماعتهم وأستر عليهم إذ لا يعلم كل واحد منهم قدر ما يأكله صاحبه وصار سنة للعرب فلذلك سمي هاشمًا.

وعن ابن عباس قال: كان اسم هاشم عمروًا، وكان صاحب إيلاف قريش، وإيلاف قريش دأب قريش، وكان أول من سن الرحلتين لقريش، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه، فأصابت قريشًا سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له، فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز -يعني كسره- وثرد ونحر تلك الإبل، ثم أمر الطهاة فطبخوا، ثم كفأ القدور على الجفان فأشبع أهل مكة فكان ذلك أول الحياة بعد السنة التي أصابتهم فسمي بذلك هاشمًا.

ويقال: إن أول من أطعم الثريد: إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأول من هشم الخبز: هاشم وفيه يقول ابن الزبعرى:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

الخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكاف

وكان الناس في شدة وضير من الزمان، وكان النور على وجهه كالهلال

يتوقد شعاعه، لا يمر بشيء إلا سجد له، ولا يراه أحد إلا أقبل نحوه، وبعث إليه قيصر حفيد هرقل ملك الروم، وطلب إليه أن يزوج ابنته منه لما وجد في الإنجيل من قصته، وهو أن النور الذي كان في وجهه ظاهرًا فأبى، فأري في المنام: أن تزوج بنت زيد بن عمرو فتزوج بها فولدت له عبد المطلب واسمه: شيبة الحمد، وإنما سمي عبد المطلب لأن جده عبد مناف لما مات خلف ابنه هاشمًا فقام مقامه في العز والشرف في قريش وجمع العرب والسقاية والرفادة، ثم لما مات هاشم وخلف ابنه عبد المطلب -وكان صغيرًا- فقام أخوه المطلبي ابن عبد مناف مقام هاشم، وكان أخوال عبد المطلب من أهل المدينة فحملوه إليهم مع أمه، فلما ترعرع وطعن عم عبد المطلب في السن وقارب أجله خرج إلى المدينة يطلب ابن أخيه فوجده مع غلمان يلعبون فدعاه إليه وخلا به رغبة في الخروج إلى مكة ليقيمه مقام أبيه وليحصل له الشرف والعز في قريش دونه ودون ولده، فقبل منه واستكتمه كيلا يمنع أخواله عن حمله وفي رواية أخرى أنه أخذه بإذنهم فبعد أن رآه وعرفه وعرفت سلمى أمه بقدومه دعته إلى النزول عليهم فقال: شأني أخف من ذلك وما أريد أن أحل عقدة حتى أقبض ابن أخي وألحقه ببلده وقومه، فقالت: لست بمرسلته معك، وأغلظت له القول، فقال المطلب: لا تفعلي، فإني غير منصرف حتى أخرج به معي، ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف قومنا، والمقام ببلده خير له من المقام ها هنا، وهو ابنك حيث كان، فلما رأت أنه غير مقصر حتى يخرج به استنظرته ثلاثة أيام، وتحول إليهم فنزل عندهم فأقام ثلاثًا ثم احتمله وانطلقا جميعًا، فأنشأ المطلب يقول:

أبلغ بني النجار إن جئتهم ... أني منهم وابنهم والخميس
رأيتهم قومًا إذا جئتهم ... هووا لقائي وأحبوا حسيسي

وعهد له على ذلك، فلما وجد خلوة حمله معه إلى مكة فاستقبله الناس وكانوا يطلبونه في كل يوم لا يعلمون إلى أين قصده، فلما نظروا إليه راكبًا على البعير وخلفه الصبي وكان أسود اللون، قالوا: هذا عبد المطلب اشتراه في سفره أو أغار على بعض الأحياء فأخذه، إلى أن أخبرهم بقصته، وأعطاه جميع ما وعده فغلب عليه عبد المطلب لذلك، فلما أدرك عبد المطلب نام يومًا في الحجر فانتبه من نومه وقد كسي حلة الجمال والبهاء فبقي متحيرًا لا يدري من فعل ذلك به فأخذ أبوه بيده فانطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك، فقالوا: أعلم أن إله السماء قد أذن لهذا الغلام بالتزويج، فزوجه فاطمة بنت عمرو، وحضرت المطلب الوفاة فدعا بعبد المطلب فقال: يا بني اجمع لي بني النضر: عبد قيسها، وعبد شمسها ومخزومها وفهرها، ولؤيها، وغالبها، وهاشمها، وعبد المطلب يومئذ غلام ابن خمس وعشرين سنة أطول قريش باعًا، وأشدهم قوة، تفوح منه ريح كريح المسك، ونور محمد (ﷺ) يسطع في دائرة غرة جبينه، فلما نظر المطلب إلى ذلك قال: معاشر قريش إنكم مخ ولد إسماعيل (عليه السلام) وأنتم الذين اختاركم الله لنفسه، فجعلكم سكان حرمه، وسدنة بيته، وأنا اليوم رئيسكم وسيدكم، وهذا لواء نزار، وقوس إسماعيل، وسقاية الحاج، ومفاتيح الأصنام، قد سلمتها إلى ابني هذا عبد المطلب فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا سمعنا، قال: فوثبت قريش فقبلت رأس عبد المطلب ونثروا عليه الدراهم والدنانير وقالوا: قد سمعنا وأطعنا، وكان لواء نزار وقوس إسماعيل (عليه السلام) في يده وكانت قريش بعد ذلك إذا أصابهم قحط وشدة يأخذون بيد عبد المطلب فيخرجونه إلى ثبير فيتقربون به إلى الله (عز وجل) ويسألونه أن يسقيهم بنور محمد (ﷺ) فيسقيهم الله جل جلاله به.

فصل: في زواج عبد المطلب بن عبد مناف
وولادة عبد الله أبي المصطفى (ﷺ)

ورجع عبد المطلب إلى مكة، فتزوج بها، فولد له ابنه الحارث، وتزوج أم أبي لهب وهي: لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن خاطر بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن خزاعة فولدت له أبا لهب، واسمه: عبد العزى، وماتت، فتزوج بعدها نتيلة بنت جناب وهي بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو ابن عامر بن زيد مناة بن عامر وهو الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله ابن النمر بن قاسط بن ربيعة بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فولد له منها: العباس بن عبد المطلب أبو الخلفاء، وصفية بنت عبد المطلب والمشهور أن صفية شقيقة حمزة وأما أشقاء العباس من نتيلة: ضرار بن عبد المطلب مات أيام أوحى الله إلى النبي (ﷺ) ولا عقب له، وقثم بن عبد المطلب لا عقب له ثم تزوج بعدها أم حمزة وهي هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، والأشقاء منها سوى حمزة: المقوَّم بن عبد المطلب، وحجْلا واسمه المغيرة، وصفية بنت عبد المطلب أسلمت وبايعت النبي (ﷺ) وهاجرت إلى المدينة ودفنت بالبقيع -وروي أن عبد المطلب نام في الحجر، فرأى كأنه خرج منه سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف: طرف قد بلغ مشارق الأرض، وطرف بلغ مغاربها، وطرف لحق بأعنان السماء، ثم رجع حتى صار كشجرة خضراء، وإذا بشيخين بهيين قد وقفا، قال: فقلت لأحدهما: من أنت؟ فقال: لا تعرفني؟ أنا نوح رسول رب العالمين، قال عبد المطلب: فسألت السحرة والكهنة، فقالوا: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السماوات والأرض، ثم قال: رأيت في المنام أن تزوج بفاطمة بنت عمرو، فتزوجها وأمهرها مئة ناقة حمراء، ومئة رطل من الذهب الأحمر، وتزوج عبد المطلب- وهو ابن خمس وعشرين سنة وهو أطول قريش باعا وأشدهم قوة،

تفوح منه ريح كريح المسك- بفاطمة بنت عمرو فولدت له أبا طالب وأميمة وبرَّة وعبد الله وهو أصغر أولاد عبد المطلب، وعلم أحبار الشام كلهم بمولده، فقد كانت لديهم جبة من صوف بيضاء، مغموسة في دم يحيى بن زكريا (ﷺ) وكان في كتبهم إذا رأيتم الجبة البيضاء والدم يقطر منها فاعلموا أنه قد ولد عبد الله بن عبد المطلب، ولما ترعرع قدموا عليه ليقتلوه، فصرف الله كيدهم، فرجعوا إلى الشام وكانوا يسألون من يقدم إلى الشام فيقولون: تركنا عبد الله نورًا يتلألأ، وكان عبد الله إذا خرج إلى البطحاء يخرج من ظهره نوران أحدهما يأخذ شرق الأرض، والآخر غربها، ثم يستديران في ظهره أسرع من طرفة العين، قال: وقدم عليه بعد ذلك سبعون حبرًا من أحبار الشام ليقتلوه ومعهم سبعون سيفًا شاهرة مسمومة، ويسيرون بالليل ويكمنون بالنهار، حتى نزلوا بفناء مكة، فلما خرج عبد الله إلى صيده وحيدًا أحدقوا به ليقتلوه، ورأى ذلك وهب بن عبد مناف الزهري وهو أبو آمنة جد النبي (ﷺ) فأدركته الحمية وأراد أن ينصره على هؤلاء اليهود فالتفت نحو الهواء فرأى رجالاً لا يشبهون رجال الدنيا ينزلون من السماء ومالوا على الأحبار فقطعوهم وهزموهم، فلما نظر وهب إلى ذلك رجع مبادرًا إلى أهله فأخبرها بما رأى من عبد الله فقال: انطلقي إلى عبد المطلب فأعرضي عليه ابنتك قبل أن يسبقنا إليه أحد غيرنا، فامتثلت ما أمرها فقال عبد المطلب: لقد عرضت عليّ امرأة لا يصلح لابني غيرها، فزوجها إياه وابتنى بها.

وقيل: إن عبد المطلب جاء بابنه عبد الله أبي رسول الله (ﷺ) فتزوج عبد الله آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله (ﷺ) وكانت آمنة يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبًا وموضعًا وكان وهب سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا وقالت قريش حين تزوج عبد الله آمنة: فلج عبد الله على أبيه.

فصل: في قصة زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب وقصة حملها بالمصطفى (ﷺ) وولادته

عن محمد بن إسحاق قال: لما فُدي عبد الله بن عبد المطلب من الذبح بمئة من الإبل ونحرت عنه انصرف عبد المطلب آخذًا بيد ابنه عبد الله، فمر عند الكعبة على امرأة من بني أسد، طلبت منه أن يقع عليها وله مئة من الإبل فقال لها: أنا مع أبي لا استطيع خلافه ولا فراقه، فخرج به عبد المطلب حتى زوجه آمنة أفضل امرأة في قريش نسبًا، ودخل عليها فحملت برسول الله (ﷺ) ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت علي بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك أمس فليس لي بك اليوم حاجة.

وروى عن أم سلمة: أن عبد الله بن عبد المطلب كان في بناء فخرج وعليه أثر الطين والغبار، فمر بيهودية كاهنة من خثعم، فرأت نور النبوة في وجهه فقالت: هل لك أن تواقعني وأعطيك مئة من الإبل؟ فقال عبد الله بن عبد المطلب حتى أغسل ما عليَّ وأخرج إليك، فدخل على آمنة ثم اغتسل وخرج إلى الخثعمية فقال لها: هل لك في الذي قلت؟ قالت: يا فتى ما صنعت بعدي قال: زوجني أبي آمنة، فأقمت عندها ثلاثًا، قالت: لا حاجة لي بذلك فقال: ولم لا؟ قالت: لأنك ذهبت من عندي وبين عينيك نور، ورجعت إليَّ وقد أفرغت في آمنة ذلك النور.

وخرج عبد المطلب إلى اليمن، فلقيه يهودي له علم فنظر في أنفه وكفيه فقال: أما في كفيك فملك، وأما أنفك فإنه فيه النبوة، ولا يتم ذلك إلا ببني زهرة، فلما رجع عبد المطلب تزوج هالة بنت وهيب وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب فلما ابتنى بها مرض نساء قريش وبقي عبد الله على ذلك ونور رسول الله

(ﷺ) بين عينيه، حتى أذن الله تعالى له أن ينتقل، فانتقل عشية عرفة وليلة الجمعة فأمر الله خازن الجنة بفتح أبواب الجنان للنور المكنون، فاستقر عند آمنة، فأصبحت أصنام الدنيا كلها منكوسة وأصبح عرض إبليس عدو الله منكوسًا أربعين يومًا ففر إلى جبل أبي قبيس واجتمع إليه الشياطين من كل ناحية ليسألوه عما دهاه فأجابهم أن محمدًا (ﷺ) مبعوث بالسيف القاطع الذي لا حياة بعده، يغير الأديان، ويبطل اللات والعزى وأن الوحدانية ستكون في كل مواضع الدنيا وهذه أمته لعنني الله من أجلها وجعلني شيطانًا رجيمًا، فأجمعوا أمرهم على إضلال بني آدم من خلال خصالهم الجميلة وبالأهواء الضالة والظلم والبخل.

ولما كانت السنة التي حمل فيها برسول الله (ﷺ) أخصبت قريش بعد جدب واخضرت الأرض وحملت لهم الأشجار، وسميت تلك السنة سنة الفتح وقال ابن عباس: إن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك السنة وقالت: حمل بمحمد (ﷺ) ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراجها، وانتزع علم الكهانة وزعزعت عروش القياصرة. وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كُمَّلاً لا تشكو وجعًا ولا ضعفًا ولا ريحًا، ولم يعرض لأمه ما يعرض للنساء، وقالت آمنة: ما شعرت أني حملت بمحمد (ﷺ) لأني لم أجد ما تجد الحبلى إلا أني أنكرت رفع حيضتي وأتاني آتٍ بين النوم واليقظة فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنك حملت سيد هذه الأمة؛ فإذا وقع بالأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه أحمد.

ومات عبد الله والنبي (ﷺ) ابن سبعة أشهر وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيمًا فقال الله (عَزَّوَجَلَّ). أنا له وليٌّ وحافظ ومعين وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آتٍ حين مر من حملي

ستة أشهر فوكزني في المنام برجله وقال: يا آمنة إنك قد حملت خير العالمين طرًا فإذا ولدته فسميه محمدًا واكتمي شأنك وقالت آمنة: لما ولدت محمدًا (ﷺ) وفصل عني خرج معه نور أضاءت له قصور الشام، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى وأسواقها، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل للنصف من المحرم، فبين الفيل ومولده (ﷺ) خمس وخمسون ليلة.

ومما فضله الله (عز وجل) به أنه (ﷺ) حين وقع من بطن أمه آمنة سطع نور أضاء ما بين الشام إلى اليمن ووقع على أربع رافعًا رأسه إلى السماء يشير بإصبعه وكان يناغي القمر في رضاعه.

وأرسل الله لآمنة ثلاثة نفر ظنت أن الشمس تطلع من خلال وجوههم، أمسك الأول في يده إبريق من الفضة داخله ريح كريح المسك، والثاني طست من زمردة خضراء عليها نواح من لآلئ بيضاء وإذا بقائل يقول: هذه الدنيا شرقها وغربها وبرها وبحرها فاقبض يا حبيب الله علي ما شئت فسمعت قائلاً يقول: قبض على الكعبة ورب الكعبة، إن الله جعلها قبلة له ورأت في يد الثالث صريرة بيضاء مطوية طيًا شديدًا فنشرها وأخرج منها خاتمًا تحار الأبصار دونه فغسله بذلك الماء دون الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ختمًا واحدًا ولفه بالحرير واستدار عليه بالخيط وهو خيط من المسك الإذفر، ثم أدخله بين أجنحته ساعة، قال ابن عباس: كان ذلك رضوان خازن الجنة، وقال في أذنه كلامًا كثيرًا لم أفهمه وقبل بين عينيه وقال: أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيت، فأنت أكثرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا، معك مفاتيح النصر، وألبست الخوف والرعب، لا يسمع أحد بذكرك إلا وجل فؤاده، وخاف قلبه ثم رأت رجلاً يضع على فيه وكنت أنظر ابني يشير بإصبعه ويقول: زدني زدني فزقه ساعة وقال: أبشر يا حبيبي فما بقي لنبي حلم

إلا وقد أعطيت، ثم احتمله فغيبه عني فجزعت وذهل قلبي، فبينما أنا كذلك إذ أنا به قد رده علي كالبدر، ريحه يسطع كالمسك وهو يقول: خذيه فقد طافوا به المشرق والمغرب وعلى مواليد النبيين أجمعين، والساعة كان عند أبيه آدم (عليه السلام) فضمه إليه وقبل بين عينيه، وقال: أبشر يا حبيبي فإنك سيد ولدي من الأولين والآخرين فناولنيه ومضى، وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشر يا عز الدنيا وشرف الآخرة، فقد استمسكت بالعروة الوثقى، فمن قال بمقالتك وشهد بشهادتك حشر يوم القيامة تحت لوائك، وفي زمرتك، فناولنيه ومضى، ولم أره بعد تلك المرة.

قال عبد المطلب: كانت تلك الليلة في الكعبة، فلما انتصف الليل إذا أنا بالبيت الحرام قد استمال بجوانبه الأربع، وخر ساجدًا في مقام إبراهيم، ثم استوى البيت قائمًا أسمع منه تكبيرًا عجيبًا: الله أكبر الله أكبر، رب المصطفى الآن قد طهرني به ربي من أنجاس المشركين، ورجسات الجاهلية، ثم انقضت الأصنام، وانكب هبل على وجهه وسمعت مناديًا ينادي: ألا إن آمنة قد ولدت محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وقد انكشفت عنها سحائب الرحمة، هذا طست الفردوس قد أنزل ليُغسل فيه الثانية وظن عبد المطلب أنه نائم، ثم خرج إلى البطحاء فإذا بالصفا يتطاول والمروة ترتج، وإذا بسحابة بيضاء إزاء حجرة آمنة وكان يفوح من بابها المسك ويخرج منه نور، فدنا عبد المطلب فإذا هو بآمنة قد أغلقت بابها على نفسها ليس بها أثر النفاس والولادة فدق الباب بعنف فأجابت آمنة بصوت خفي ثم فتح الباب ليرى محمدًا ولكن آمنة حالت بينه وبين محمد (صلى الله عليه وسلم) لأن من أتاها ساعة ولادتها أمرها ألا تخرجه لثلاثة أيام، لكن عبد المطلب هددها بالقتل حتى تخرج محمدًا ليراه، فإذا برجل أهول المنظر في يديه سيف مشهور فأبعده حتى تنتهي زيارة الملائكة فارتعد عبد المطلب، وخرج مبادرًا قريشًا، فأخذ الله لسانه سبعة أيام فلم ينطق بكلمة.

وتنازعت الطير والسحاب في رضاعه، فقالت الطير: نحن أحق برضاعه، فضجت السحاب إلى الله (عَزَّوَجَلَّ): نحن المسخرات من السماء والأرض نحمله إلى براري الدنيا وزواياها، ونعرف كل شجرة طيبة فنطعمه الثمر منها، وكل عين باردة نسقيه منها، ونغذوه بماء المزن من تحت العرش حولين كاملين، فنوديت كلها: أن كفوا عن رضاع محمد (ﷺ) فقد أجرى الله ذلك على أيدي الإنس، فأجرى الله ذلك لحليمة السعدية.

باب في ذكر رضاع رسول الله (ﷺ)

عن حليمة السعدية من بني سعد بن بكر بن هوازن: أصابتهم سنة شهباء لم يبق لهم شيء، فخرجت في نسوة من بني سعد بن بكر إلى مكة، لم يبق منهن امرأة إلا عرض عليها رسول الله (ﷺ) فأبينه، وكنا في سنة شديدة وكانت امرأة طوافة تطوف في البراري والجبال تطلب حشائش الأرض، فخرجت يومًا إلى بطحاء مكة فمرت بالحشائش والنبات فرأتها استطالت إليها فرحًا، وأقامت بذلك أيامًا، ثم ولدت مولودًا في بعض الليالي، ولم تكن قد ذاقت شيئًا منذ سبعة أيام، فكانت تلتوي كما تلتوي الحية من شدة الجوع والجهد، فبينما هي ذات ليلة راقدة أتاها آت في المنام، فحملها فقذف بها في نهر فيه ماء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فقال: أكثري من شرب هذا الماء يكثر لبنك وخيرك قالت: فشربت، ثم قال: ازدادي، فازددت ثم قال: أروي، فرويت، ثم قال: أتعرفينني؟ قالت: لا، قال: أنا الحمد الذي كنت تحمدين ربك في سرائك وضرائك وعلى أمورك وحالاتك، انطلقي إلى بطحاء مكة، فإن لك فيها رزقاً واسعًا فستأتين بالنور الساطع، والهلال البدري، واكتمي شأنك ما استطعت، ثم ضرب بيده على صدرها وقال: اذهبي أحل الله لك الرزق، وأجرى لك اللبن، قالت: فانتبهت من المنام وأنا أجمل نساء بني سعد قاطبة، لا أطيق أن أنقل ثديي كأنهما الجرة -كالجرة العظيمة- وإن الناس من بني سعد لفي

ضيق وكنا نسمع من كل دار أنينا كأنين المرض من شدة الجهد والجوع، لا نرى في الجبال الراسيات شيئًا قائمًا، ولا على وجه الأرض شجرًا زاهرًا، وتعجبت النساء منها وشبهنها ببنات الملوك وهي لا تنطق طاعة لما أُمِرتْ به في المنام، ثم صعدن على بطحاء مكة يطلبن البنات كعادتهم فسمعن مناديًا ينادي: ألا إن الله تبارك وتعالى حرم في هذه السنة على نساء الجن والإنس يلدن بنات لأجل مولود يولد في قريش، طوبى لثدي أرضعته، ألا فبادرن يا نساء بني سعد، فأخبرت النساء أزواجهن بما سمعن، وعزمن الخروج إلى مكة، فخرجن -وكانوا في جهد جهيد - وخرجت حليمة على أتان بدت عظامها من سوء حالها، وصاحبها معها يقول: ألا ترين النساء قد سبقننا؟ وكانت تجدُّ وتسوق الأتان وهي لا تكاد ترفع رحليها من شدة الضعف وكانت لا تمر بشيء إلا استطال فرحًا ونادتها الأشياء في كل مكان: هنيئًا هنيئًا لك ورأت في الشعب بين الجبلين رجلاً كالنخلة الباسقة وبيده حربة فضرب بطن حمارها ونادى: مري يا حليمة بكل سلاماتك، فقد أنزل الله بشارتك، مري فقد أمرني الرحمن أن أدفع عنك اليوم كل شيطان مريد وجبار عنيد، وصاحبها لا يسمع من ذلك شيئًا، وسبقتها النساء إلى كل رضيع بمكة وكادت حليمة تعود خاوية لكن عبد المطلب جد الرسول (ﷺ) وأعظم الناس نذرًا وخطرًا يسأل عن مرضعة؛ فقصدته حليمة فسألها عن قومها وعندما أجابته سر وسعد ثم عرض عليها الغلام اليتيم محمدًا وكانت المرضعات ترفض اليتيم فليس عنده خير يرتجى، فاستشارت صاحبها، ففرح وسألها أن تعود لتأخذه، وعادت لعبد المطلب وهو قاعد وقالت: هلم الصبي، فسعد وأخذها إلى دار آمنة فدخلت على الحبيب محمد، يفوح من مهده ريح المسك راقد على قفاه، فلما نظرت إليه وضعت يدها على صدره، فتبسم ضاحكًا وفتح عينيه فخرج منهما نور دخل خلال السماء فغطت وجهه بردائها وقبلت بين عينيه، واحتملته وأعطته (ﷺ)

ثديها الأيمن فشرب ثم حولته إلى الأيسر فأبى وكما يقول ابن عباس: إنما أبى لأن الله (عَزَّوَجَلَّ) ألهمه العدل في الرضاعة، وعلم أن له فيه شريكًا فناصفه عدلاً، فكان الأيمن له والأيسر لابنها ضمرة، وفي الليلة الثالثة في مكة انتبهت لتقضي حاجة لها، فرأت عند رأس محمد (ﷺ) رجلاً عليه ثياب خضر يتألق نورًا قاعدًا عند رأسه يقبل بين عينيه، فأيقظت صاحبها فأشار عليها بالسكوت وفي اليوم الثالث حملت النبي (ﷺ) وركبت أتانها مودعة مكة، فسجدت الأتان ثلاث سجدات نحو الكعبة وسبقت دواب القوم ورحالهم، فتعجبت الناس من أتانها التي كانت تقول مؤكدة على قولهن: والله إن لها لشأنًا عظيمًا، إي والله إن لي لشأنًا، فأنعشني الله بعد موتي، ورد علي سمتي بعد هزالي ويحكن نساء بني سعد أتدرون من عليّ؟ عليّ خاتم النبيين، وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكلما مرت حليمة بمنزل من منازل بني سعد أنبت الله فيه العشب والخير وعم الخير الكثير أغنام ومواشي حليمة وزادت البركة في بني سعد، فلما قرب النبي (ﷺ) على الكلام، سمعت منه كلامًا عجيبًا ينادي: الله أكبر الله أكبر، الحمد لله رب العالمين، وكان رضاعه (ﷺ) يسرًا وسهولة ودعة وسرورًا، ما غسلت له بولًا قط طهارة ونظافة إنما كان له في كل يوم وقت واحد يتوضأ فيه ولا يعود إلا في وقته من الغد، فلما ترعرع طلب أن يخرج مع إخوته ليشاركهم رعي الغنم فكان يخرج مسرورًا ويرجع مبرورًا فلما كان يوم من الأيام، إذا بابنها ضمرة يعدو يعلوه العرق ينادي حليمة أمه لتدرك أخاه محمدًا فقد اختطفه رجل من بينهم وهم يلعبون، وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره، فأقبلت وزوجها فإذا به قاعدًا على ذروة الجبل متربعًا شاخصًا بعينيه نحو السماء يبتسم ويضحك، فانكبت عليه وقبلت بين عينيه وقالت: فدتك نفسي ما الذي دهاك؟ فقال (ﷺ) خيرًا يا أماه، بينا أنا الساعة قائم مع إخوتي نتقاذف بيننا بالجلة إذ أتاني رهط ثلاثة في يد أحدهم

إبريق فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد خضر مليء ثلجًا فأخذوني من بين أصحابي وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل، فأضجعني بعضهم على الجبل إضجاعًا لطيفًا ثم شق من صدري إلى عانتي، وأنا أنظر فلم أجد لذلك حسًا ولا ألمًا، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها، وقام الثاني فقال للأول: تَنَحَّ فقد أنجزت ما أمرك الله، فدنا مني فأدخل يده في جوفي، فانتزع قلبي وشقه باثنين فأخرج منه نكتة سوداء ملتوية بالدم فرمى بها وقال: هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله، ثم حشا بشيء كان معه، ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور، وأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي فقام الثالث إليهما فقال: تنحيا فقد أنجزتما ما أمر الله به (عَزَّوَجَلَّ)، ثم دنا الثالث مني فأمرَّ يده على ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم الشق وأنا أنظر إليه، ثم قال زنوه بعشرة من أمته، فوزنوني فرجحتهم فقال: زنوه بمئة فوزنوني فرجحتهم، قال: دعوه فلو زنتموه بأمته كلها لرجح بها، ثم أخذ بيدي فأنهضني من الأرض إنهاضًا لطيفًا، وانكبوا علي، وقبَّلوا رأسي وما بين عيني وقالوا: يا حبيباه لا ترع، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك، وتركوني قاعدًا في مكاني هذا، ثم جعلوا يطيرون طيرًا حتى دخلوا خلال السماء وأنا أنظر إليهم، فلو شئت لأريتك موضع دخولهم، فاحتملته حليمة إلى منزل من منازل بني سعد، فأشاروا عليها بأن تأخذه إلى كاهن لينظر ما به والنبي (ﷺ) يقول: ما بي شيء مما تذكرون، وإني أرى نفسي سليمة وفؤادي صحيحًا، فغلبوها فذهبت به وسمع الكاهن منه، فأخبر الناس بأنه سيسفه أحلامهم، ويكذب أديانكم، وليدعونكم إلى رب تعرفونه، ودين تكذبونه ونصحهم بأن يقتلوه والغلام، فانتزعته من يده وعادت به إلى منازل بني سعد التي فاضت منها ريح المسك الإذفر، ونصحوها بأن ترده على عبد المطلب، فجاءت مكة ودخلت

من الباب الأعظم وعليه جماعة مجتمعون فوضعته (ﷺ) لتقضي حاجتها وعندما عادت لم تجده، فسألتهم عنه، فأنكروا أنهم رأوه، فأخذت تبكي بكاء مرًا، وإذا بشيخ فاني ينصحها بأن تطلب رد محمد من هبل، فنهرته، والشيخ يطوف أسبوعًا وعندما سأله أن يرد على السعدية ابنها، انكب هبل على وجهه وقال: إليك عني، إنما هلاكنا على يد محمد (ﷺ) وسمع عبد المطلب بفقدان محمد (ﷺ) فاستل سيفه ودعا قومه فأجابوه وركب وركبت قريش، وآلى ألا يأكل ولا يمس رأسه غسل ولا طيب حتى يظفر بمحمد (ﷺ) فطاف ببطحاء مكة أسبوعًا ثم سمع مناديًا من السماء يقول: معاشر الناس لا تضجوا، فإن لمحمد (ﷺ) ربًا لا يخذله ولا يضيعه وهو بوادي تهامة، عند شجر السمر، فذهب عبد المطلب فوجده وسأله فقال النبي (ﷺ) أنا ابن ابنك من نسلك وذكر نسبه (ﷺ) وكان يومئذ ابن ستة وثمانين شهرًا، فاحتمله عبد المطلب ورده إلى مكة فاطمأنت قريش ثم جهز حليمة بأحسن جهاز وصرفها فانصرفت إلى منزلها بخير الدنيا، وصار محمد (ﷺ) عند جده وروت حليمة أنها وضعته (ﷺ) تحت شجرة يابسة وقت رضاعه فتعلق النبي (ﷺ) ببعض الشجرة، فاخضرت من لمس رسول الله (ﷺ) إياها.

باب: تربية رسول الله (ﷺ) وظهور أمارات نبوته

روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: رُدَّ النبي (ﷺ) وهو ابن خمس سنين. وقيل: ابن أربع سنين - إلى أمه آمنة بنت وهب فكان معها إلى أن بلغ ست سنين، ثم خرجت به إلى أخواله بني النجار بالمدينة ومعها أم أيمن، فنزلت به في دار النابغة -رجل من بني عدي بن النجار- فأقامت به شهرًا حيث أتى أم أيمن يهوديان وطلبا رؤية أحمد، فلما رأياه عرفا أنه نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته وكان رسول الله (ﷺ) يذكر أطم بني عدي بن النجار وذلك اليهودي الذي سأله عن اسمه، ونظر إلى ظهره فسمعه النبي (ﷺ) يقول: هذا نبي هذه الأمة، ثم راح يخبر

أخواله (ﷺ) فأخبروا أمي، فخافت عليّ فخرجنا من المدينة، وتوفيت أمه آمنة بالأبواء فعادت به أم أيمن على البعير وكانت أم أيمن تحضنه.

وقيل: إنها لما وضعته ماتت فاسترضع له جده حليمة بنت أبي ذؤيب وكان في حجرها سنتين ثم ردته، فكان في حجر جده سنتين، ثم مات جده فكفله أبو طالب حتى أتى عليه خمس وعشرون سنة.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه سئل: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم، وأنا ابن ثمان سنين.

وتوفي عبد المطلب وهو ابن عشر ومائة سنة، وقيل: ابن اثنتين وثمانين سنة.

وقيل: لما حضر عبد المطلب الوفاة دعا ابنه أبا طالب فقال له: يا بني قد علمت شدة حبي لمحمد (ﷺ) ووجدي به، انظر كيف تحفظني فيه، قال أبو طالب: يا أبة لا توصني بمحمد (ﷺ) فإنه ابني وابن أخي.

وقال عبد المطلب في وصيته:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بموحد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد ... فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد ... حتى إذا خفت مداد الوعد
أوصيت أرجى أهلنا للتوقد ... بابن الذي غيبته في اللحد
بالكره مني ثم لا بالعمد ... فقال لي والقول ذو مرد
ما ابن أخي ما عشت في معد ... إلا كأذى ولدي في الود
عندي أرى ذلك باب الرشد ... بل أحمد قد يرتجى للرشد
وكل أمر في الأمور ود ... قد عملت علام أهل العهد
إن ابني سيد أهل نجد ... يعلو على ذي البدن الأشد

فلما توفي عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله (ﷺ) إليه، وبقي النبي (ﷺ) يتيمًا في حجر عمه أبي طالب وكان يكون معه، فكان يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميع أهله.

وكان أبو طالب لا مال له، له قطعة من الإبل تكون بعرنة فيبدو إليها فيكون فيها، ويؤتى بلبنها إذا كان حاضرًا بمكة، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعًا أو فرادى لم يشبعوا، فإذا أكل معهم رسول الله (ﷺ) شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يشبعهم أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله (ﷺ) فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، فإن كان لبنًا تناول رسول الله (ﷺ) أولهم، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد.

وعن ابن عباس قال: كان النبي (ﷺ) في حجر أبي طالب بعد جده فيصبح بنو أبي طالب غمصًا، ويصبح رسول الله (ﷺ) دهينا صقيلا.

باب: ذكر حلف المطيبين من قريش وشهوده (ﷺ) حلف الفضول

المطيبون: بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهم: هاشم، والمطلب وعبد شمس ونوفل أخوهم لأبيهم، قدمت لهم امرأة من بني عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فغمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاهدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم أن يأخذوا ما في يد بني عبد الدار بن قصي مما جعل له قصي من الحجابة واللواء والرفادة والسقاية، وأتبعهم بنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تميم، وبنو الحارث بن فهر، فالجميع خمس قبائل، فسموا المطيبين وكان رئيسهم: عبد شمس وقصي، وانضم إلى بني عبد الدار: بنو مخزوم، وبنو عدي، وبنو جمح، وبنو سهم، خمس قبائل فتحالفوا على المعاونة فسموا الأحلاف، وعزموا على القتال، لكنهم مالوا إلى الصلح، فولي السقاية والرفادة هاشم بن

عبد مناف؛ لأن عبد شمس كان سفارًا قلما يقيم بمكة، وكان مقلًا من المال، ذا ولد كثير، وكان هاشم موسرًا، فكان إذا حضر الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل حرمه وإنه يأتيكم هذا الموسم زوَّار الله (عَزَّوَجَلَّ)، وحجاج بيته شعثًا غبرًا من كل بلد، فهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا ما تصنعون به طعامًا لهم أيامهم هذه التي لابدَّ لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان لي مال يسع ذلك ما كلفتكموه، فيخرجون لذلك خرجًا من أموالهم فيصنع لهم طعامهم حتى يصدروا.

وهاشم أول من سنَّ الرحلتين إلى الشام والعراق، ثم تزوج بالمدينة سلمى بنت زيد بن عمرو من بني النجار، فولد له شيبة، وتركه عندها ثم مات، فقام عبد المطلب أخوه مقامه.

وهاشم هذا، كان يحث قريشًا على إكرام زوَّار الله (عَزَّوَجَلَّ) طعامًا وإقامة، فيطيعون وينصاعون لأمره.

فصل: في حلف الفضول

استغاث رجل من بني زيد قريشًا في أهل العاص بن وائل السهمي اشتروا منه بضاعة وماطلوه في الثمن، فلما نزل من جبل أبي قبيس، فاجتمع المطيبون في دار عبد الله بن جدعان التيمي ورسول الله (ﷺ)ابن خمس وعشرين سنة، والمطلب بن عبد مناف، وأسد بن عبد العزي، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فهؤلاء حلف الفضول من المطيبين، فتحالفوا على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه، يأخذون له حقه وعمدوا إلى ماء زمزم، فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا به إلى البيت، فغسلت أركانه فيه، وأتوا به فشربوا ثم تفرقوا، وكان أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، ومشى فيه فضل وفضال وفضيل وفضالة، فلذلك سموا حلفاء الفضول، ويقول الزبير في ذلك:

حلفت لنعقدن حلفًا عليهم وإن كنا جميعًا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

وقال رسول الله (ﷺ): لقد شهدت حلفًا في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت: هاشمًا وزهرة وتيمًا.

وقال إبراهيم بن سعد: حدثني يزيد بن الهاد أنه كان بين الحسين بن علي ابن أبي طالب وبين الوليد بن عتيك بن أبي سفيان، وهو يومئذ أمير المؤمنين، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان -منازعة، ينازعه في مال بينهما بذي المروة، فكأن الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أقسم بالله لتتصفني من حقي، أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله (ﷺ) لأدعون بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير -وهو عند الوليد حين قال الحسين ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو لتموتن جميعًا، وبلغ المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد أنصف الحسين حقه حتى رضي.

ذكر الشافعي أن بني عبد الأسد بن عبد العزى هم من المطيبين، وقال بعضهم: من حلفاء الفضول.

وقال الزهري في روايته عن محمد بن جبير، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي (ﷺ) أنه قال:

«شهدت حلف المطيبين، وما أحب أن أنكثه وأن لي حمر النعم».

وقال شمر: سمعت ابن الأعرابي يقول:

المطيبون هم خمس قبائل:

عبد مناف كلها، وزهرة، وأسد بن العزى، وتيم، والحارث بن فهر.

قال: والأحلاف خمس قبائل: عبد الدار، وجمح، وعدي بن كعب، وسهم، ومخزوم.

سموا بذلك؛ لأن بني عبد مناف لما أرادوا أخذ ما في يدي بني عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية، وأبت بنو عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا على أن لا يتخاذلوا، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فوضعوها لأحلافهم عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، وتعاقدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم فسموا المطيبين.

وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفًا آخر مؤكدًا على أن لا يتخاذلوا، فسموا: الأحلاف.

وقال غير ابن الأعرابي: حلف المطيبين وحلف الفضول واحد، وسمي ذلك الحلف حلف الفضول لأنه قام به رجال من جرهم، كل واحد منهم الفضل، وهم الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة، قال: والفضول جمع فضل، كما يقال: سعد وسعود.

فصل: في ذِكر ما جَرى في رحلتِه (ﷺ)

مع عَمِّه إلى الشام من الإرْهَاصَاتِ

قال: وكانت خزاعة وقريش في ذلك الزمان يختلفون إلى الشام في تجاراتهم ومن الشام إلى مكة، فتهيأ لأبي طالب السفر معهم، فركب راحلته، وأخذ النبي (ﷺ) بزمام ناقة عمه ثم قال: يا عم، إلى من تخلفني بعدك؟ لا أمَّ

لي ولا أب، فرق له أبو طالب وقال: لا أخلّفك ورائي، واحتمل النبي (ﷺ) وجعله على مقدم راحلته وساروا حتى كانوا بواد من الشام نزلوا تحت شجرة، وكان في الوادي دِيرٌ، وفي الدير راهب يقال له: بحيرًا، وكان يشرف في اليوم ثلاث مرات على سطح له، ينظر الجائي والذاهب، قال: فأبصر أقوامًا قد نزلوا تحت الشجرة وإذا غمامة قد أظلت الشجرة وما حولها، قال الراهب: والله لا تظل هذه الغمامة إلّا على رأس نبي من الأنبياء، ثم دعا غلامه فقال: اذهب إلى هذه العير من أهل مكة فقل لهم: يقول لكم بحيرا الراهب: يا أهل مكة، قد علمتم حبي لكم، وإنه لا يمر بي رجل منكم إلا أحسنت قراه، وأنا أحب أن تأتوني جميعًا ولا يتخلف منكم أحد، فأتاهم الغلام فبلغ إليهم قوله، فأقبلوا جميعًا، وخلفوا رسول الله (ﷺ) يحفظ رحالهم وأجيرًا لهم معه.

قال: ففتح الراهب لهم بابًا صغيرًا يدخل الرجل بعد الرجل، فلما صاروا في الدير أشرف الراهب فإذا هو بالغمامة على حالها، فقال: يا قوم هل خلفتم أحدًا؟ قالوا: نعم، أجيرًا لنا ويتيمًا، قال: فابعثوا إلى أجيركم ويتيمكم، قال: فأقبل النبي (ﷺ) والغمامة على رأسه في الهواء تسير معه تظله حتى دخل الدير فبقيت الغمامة تظل الدير وما حوله، قال: فقدم إليهم طعامًا فأكلوا وشربوا، ثم قال لهم بحيرا الراهب: ما يكون هذا الغلام منكم يا أهل مكة؟ قالوا: ابن هذا الشيخ -يعنون أبا طالب-، فقال بحيرا: والله ما ينبغي لأبوي هذا الغلام أن يكونا في الأحياء، اصدقوني أو أصدقكم خبره.

قال أبو طالب: يا بحيرا، هذا ابن أخي، وهو يتيم في حجري، قال: صدقت يا شيخ وسأخبرك: إن هذا نبي من الأنبياء، وهذا خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم رجعوا إلى مكة، فأقام النبي (ﷺ) مع عمه ما شاء الله أن يقيم، وخرج يومًا يلعب مع الغلمان حتى بلغ مواضع بني مدلج، فنظروا إلى قدميه، فخرجوا

في أثره فلقيهم عبد المطلب فاعتنقه، فقالوا لعبد المطلب: ما هذا منكم احتفظ به فإنا لم نر قط قدمًا أشبه بالقدم الذي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء في هذا فكان أبو طالب ويحتفظ به.

فصل: ذكر ابتداء قصته (ﷺ) مع خديجة (رضي الله عنها) وإسلامها ورغبتها فيه

أقام النبي (ﷺ) مع عمه ما شاء الله أن يقيم، ثم عرض عليه أن يذهب به إلى خديجة بنت خويلد لعلها تستأجره ويرزقه الله رزقًا يزوجه عمه به وتقر عينه قبل الفراق، فقد كان أبو طالب فقيرًا ذا عيال فقال النبي (ﷺ): أنا لك سامع مطيع يا عم، فانطلق به إلى خديجة واستأذن عليها فأذنت، فطلب منها أن تستأجر محمد بن عبد الله الأمين ابن أخيه، فرحبت وفرحت وجعلت له (ﷺ) في سفره بكرتين وكانت تجعل لكل أجير في سفرة بكرة واحدة، فقالت: أتخرج يا محمد (ﷺ) فقال النبي (ﷺ): نعم، ونعمى عين وكرامة، ثم دعت ميسرة وأمرته ألا يعصي محمدًا (ﷺ) ولا يخالف له رأيًا، فخرج أبو طالب تاركًا محمدًا (ﷺ) عندها، وخرج ميسرة ومحمد (ﷺ) إلى الشام ومعه تجارات، فلما خرجوا عادت الغمامة إلى رسول الله (ﷺ) فأظلته حتى انتهوا إلى باب بحيرا الراهب وسألهما فأخبراه إلا أنه دنا سرًا من محمد (ﷺ) فقبل رأسه وقدميه وآمن به وقد عرف العلامات كلها إلا ما بين كتفيه فرأى خاتم النبوة فشهد الشهادتين وأنه النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم فإنه قال: لا يتنزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي المدني صاحب الحوض والشفاعة، صاحب لواء الحمد صاحب القضيب والناقة، صاحب التاج والهراوة، قارع باب الجنة، صاحب قول لا إله إلا الله ثم قال بحيرا: يا غلام احفظ على هذا من اليهود، فإنهم أعداؤه، ثم مضيا إلى

الشام فباعوا وربحوا ربحًا لم يربح من قبل منذ أربعين سنة وكل ذلك على يد محمد (ﷺ) وطلب منه (ﷺ) ميسرة أن يبشر خديجة بالرزق الوفير علها تزيده بكرة على بكرتيه، فركب النبي (ﷺ). وإذا بخديجة على سرير أعلى البيت يحملنها الجواري من شدة الحر فكانت لا تمشي على الأرض، ولكنها تحمل فرأت محمدًا (ﷺ) على ناقة وعلى رأسه قبة من ياقوتة حمراء، وعن يمينه ملك شاهر سيفًا وكذا على يساره وفوقه غمامة وطيور حوله يحفونه بأجنحتهم، ولم تعلم أنه محمد (ﷺ) حتى أقبل نحو دارها فوثبت من السرير بسرعة إلى الباب، فإذا بمحمد يبشرها بما ربحا فسألته عن ميسرة فقال (ﷺ) لها: خلفته بالبادية وسيقدم عن قريب، قالت له: عجل إليه وقل له: عجل إلينا بالإقبال، فركب النبي (ﷺ) الناقة وصعدت خديجة واستيقنت أنه أجيرها محمد (ﷺ) وتفكرت في أمره وذهب رسول الله (ﷺ) إلى ميسرة، فأقبلوا فسألت خديجة ميسرة عن محمد (ﷺ) فأخبرها بما قاله بحيرا من أنه نبي من الأنبياء واحتفظ عليه من اليهود، فقالت خديجة: اكتم هذا الحديث يا ميسرة ثم أعتقته وأولاده وكافأته بعشرة آلاف درهم ثم قالت للنبي (ﷺ): اذهب إلى عمك وقل له: عجل علينا أنت بالغداة فأخبر رسول الله (ﷺ) عمه فبات ليلته يلتوي على فراشه من الهم، فقال رسول الله (ﷺ) ياعم يرزقني الله وهو خير الرازقين، أبشر يا عم ولا تهتم لرزقي، فلما أصبح ذهب إلى خديجة فقالت من وراء الستر: ادخل على عمي عمرو بن أسد فكلمه أن يزوجني من ابن أخيك، فظنها أبو طالب تستهزئ به لكنها قالت بل الله صنعه، ادخل علي عمي، ففعل أبو طالب فذهب مع عشرة من صناديد قريش إلى عمها وكان سكران، نفسه طيبة، فرحب بهم وخص النبي (ﷺ) بسؤاله حاجة إلا قضاها له، فقال أبو طالب إني أتيتك لأسلم عليك وتزوج خديجة ابنة أخيك من ابن أخي محمد (ﷺ) وأبو طالب يرغب في ذلك فقال عم خديجة: نعم، اشهدوا

يا معشر قريش أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على مهر كذا، فاشهدوا وخطب أبو طالب فحمد الله وأثنى عليه وعلى الكعبة وقريش وابن أخيه الذي سيكون له شأن وإن كان قليل المال وقد بذل لها من الصداق من ماله أي مال أبي طالب، ثم أمرت خديجة (رضي الله عنها) جواريها أن يرقصن بالدفوف وأرسلت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في المجلس حلة يمانية فأخذها وألقاها على عم خديجة وأراد أن يخرج فأخذت خديجة (رضي الله عنها) بطرف ردائه وقالت: أين تريد يا محمد؟ قال (صلى الله عليه وسلم) إلى منزل عمي، قالت: قل مع أهلك ودع عمك ينحر بكرة، ويطعم الناس، ففعل ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال مع خديجة (رضي الله عنها) ففرح أبو طالب ولما أفاق عمها من سكره استنكر ما فعل بتزويجه محمدًا الفقير من درة سيدات مكة حسبًا وجاهًا وغنى، لكن خديجة الذكية العاقلة أقنعته بسعادتها وأن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) له من الحسب والنسب ما لم ينكره عمها وأن مالها يسعهما، فرضي الشيخ وطابت نفسه.

ويقال: كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في الجاهلية فإذا بيهودي في ذلك العيد، يعلمهن ببعث نبي فيه قد اقترب زمنه، ولم تنس ذلك السيدة خديجة (رضي الله عنها) وكانت تترقب بشغف في شرفتها، حتى رأت النبي (صلى الله عليه وسلم) قادمًا ورأت شيئًا عجيبًا ألا وهو سحابة تظله أينما سار، فعرفت أنه الذي يقول عنه اليهودي، وقد جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد رحلته في الشام والتي كتب الله (عز وجل) له فيها النجاح ليبشرها بالربح الكثير والرزق الوفير، وأخبر ميسرة السيدة خديجة ما كان من أمر محمد (صلى الله عليه وسلم)، فما كان منها إلا أن عرضت عليه الزواج وبعثت إليه، فذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك لعمه الحبيب أبي طالب الذي سُرَّ وقال: إن هذا رزق ساقه الله تعالى إليك وحضر عقد الزواج عمها الذي أرسل إلى رؤساء مضر وكبراء مكة وأشرافها فحضروا وكان أول المتكلمين أبا طالب وتزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السيدة خديجة قبل البعثة بخمسة عشر عامًا.

فصل: في ابتداء الوحي، كيف كان؟

قال: فأقام النبي (ﷺ) مع خديجة (رضي الله عنها) حتى أتى عليه من مولده أربعون سنة.

قال: فخرج عليه الصلاة والسلام ذات يوم إلى جياد الأصغر وهو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل (عليه السلام) وهو بمكة مما يلي الصفا، يقال: وهو موضع خروج الدابة التي ذكر الله في كتابه في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢) وهما أجيادان، صغير وكبير، محلتان، وربما قيل لهما: أجيادين اسمًا واحدًا بالياء في جميع الأحوال ويقول الأعشى بن ميمون بن قيس:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ... ولا لك حق الشرب من ماء زمزم
ولا جعل الرحمن بيتك في العلا ... بأجياد غربي الصفا والمحرم

فهتف به جبريل (عليه السلام).. ولم يبد له، فغشي عليه، فاحتمله ناس من قريش، فأتوا به إلى باب خديجة (رضي الله عنها) وقالوا: دونك يا خديجة، قد تزوجت مجنونًا، فوثبت خديجة من السرير فضمته إلى صدرها، ووضعت رأسه على حجرها وقبلت بين عينيه وقالت: بل تزوجت نبيًا، رسولاً مرسلاً، قال: فلما أفاق قالت: بأبي أنت وأمي جعلني الله فداك، ما الذي أصابك؟ وهل رأيت شيئًا أنكرته؟ قال: ما أصابني إلَّا خير، إلَّا أني سمعت صوتًا أفزعني، ففرحت خديجة واستبشرت ثم قالت: إذا كان من الغد اقعد في الموضع الذي كنت فيه بالأمس فإن يك ملكًا سيرجع إليك، وإن يك من الشيطان فليس براجع.

قال: فلما كان يوم الأحد خرج النبي (ﷺ) حتى أتى جياد الأصغر قال:

فهتف به جبريل (عليه السلام) ولم يبد له، قال: فغشي عليه وحملوه، وفرحت قريش بذلك، وقالوا: إن زوج خديجة يتخبطه الشيطان، وقالوا لها مثل القول الأول، وردّت عليهم مثل الرد الأول، وعملت خديجة (رضي الله عنها) به مثل عملها الأول، فلما أفاق سألته: بأبي أنت وأمي هل رأيت اليوم شيئًا؟! وقصّ عليها القصة، ففرحت خديجة، وقالت له: إذا كان من الغد فارجع إلى الموضع، فانتهى إلى مكانه فبدا له جبريل (عليه السلام) في أحسن صورة، وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقريك السلام ويقول: أنت رسولي إلى الثقلين: الجن والإنس، أن تدعوهم إلى قول لا إله إلا الله، ثم قال: ألا تعرفني؟ قال: لا، قال: أنا جبريل، وأنت محمد النبي صلى الله عليك ولا نبي بعدك، فضرب رجله في الأرض فأنبع عينًا من ماء وأمره أن يتوضأ، وقام جبريل (عليه السلام) يصلي، وأمره أن يتوضأ ليصلي معه، فعلمه الوضوء والصلاة وعلمه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ إلى آخرها.

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأتم بجبريل، وعرج جبريل (عليه السلام) إلى السماء وخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من جياد الأصغر لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو ينادي: السلام عليك يا رسول الله.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن.

حتى أتى خديجة فأخبرها بالكرامة التي أكرمه الله بها -من الرسالة والنبوة- فغشي عليها من الفرح، فنضح عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الماء حتى أفاقت، وآمنت بالله ورسوله، وشهدت شهادة الحق، وكان يسمى محمدًا الأمين وتسميته بالأمين مشهورة من قبل أن يبعث فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث مجاهد عن مولاه يعني السائب أنه كان فيمن يبني في الجاهلية، قال: فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر فقال بطن من قريش: نحن

نضعه، وقال آخرون: نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفج، فجاء النبي (ﷺ) فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواصيه معه فوضعه (ﷺ).

ومن حديث برة بنت أبي تجراة قالت: إن رسول الله (ﷺ) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتًا، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله (ﷺ)، فكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدًا.

وكان رسول الله (ﷺ) يصلي مع خديجة إذا أتاهما علي بن أبي طالب فقال: يا محمد ما هذا الدين الذي أظهرت؟ قال (ﷺ): هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره، فقال علي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله (ﷺ) ودخل في الإسلام.

قال: فأتاهم أبو طالب وهم يصلون فقال: ما هذا الذي أظهرته يا محمد؟ قال (ﷺ): هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره، فإن دخلت معي فيه وإلا فاكتم علي، فقال أبو طالب لعلي: ألا ترى إلى محمد ما يقول؟ قال: يا أبت إن محمدًا (ﷺ) لصادق فيما يقول، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قال أبو طالب: أقيما على ما أنتما عليه، فلن ينالكما أحد بسوء.

وتتابع المسلمون، وأظهر الله (عز وجل) دينه وأعز نبيه (ﷺ) ثم حبب إليه (ﷺ) الخلوة، فكان يأتي حراء وزاد ابن إسحاق: في كل عام شهرًا من السنة ينسك فيه، وكان مَنْ نسك في الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة، حتى إذا

كان الشهر الآخر الذي أراد الله (عَزَّوَجَلَّ) ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها -فذلك في شهر رمضان- فخرج رسول الله (ﷺ) كما كان يخرج لجواره وخرج معه بأهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله (عَزَّوَجَلَّ) فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى.

وفي بعض الأخبار أنه يأتي ثبيرًا ليصعد عليه فكلمه الجبل فقال: لا تصعد إليَّ فإن فيَّ عقارب وحيات، فرجع إلى حراء فقال حراء: اصعد إليَّ فليس في حيَّات ولا عقارب، فصعد عليه، واتخذ فيه غارًا ينتابه أهل الحرم، فكان يصعد إليه وكان (ﷺ) لا يمر بشجر ولا حجر إلا ويقول له: السلام عليك يا محمد، ثم جاءه جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في شهر رمضان بنمط ديباج، فيه كتاب فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ فضمني إلى نفسه، ثم أرسلني -وكدت أن أموت- فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فضمني ثانيًا حتى قلت: إنه الموت، فقال: اقرأ، فخشيت أن أقول لا أقرأ أن يعود إلى مثل فعله، فقلت: ما أقرأ قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (العلق: ١ - ٥). وفي بعض الأخبار: كنت نائمًا فأقرأني في نومي فاستيقظت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتاب.

وقال (ﷺ): لم يكن أحد أبغض إليَّ من شاعر أو مجنون، فقلت: إن الأبعد -يعني نفسه- مجنون، لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي فأموت فأستريح، فخرجت أريد ذلك فلما توسطت الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول:

يا محمد، فوقفت، ثم قال: يا محمد، فإذا أنا بجبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قد سد ما بين الخافقين وبقيت حتى جاءني طلب خديجة.

فرجعت إلى خديجة، وقلت: إن الأبعد -يعني نفسه- لشاعر أو مجنون،

قالت: أعيذك بالله يا أبا القاسم، إنك لتقري الضيف، وتصدق الحديث، وتصل الرحم، وإني لأرجو أن يكون هذا ناموسًا مما كان لموسى، وأن تكون نبي هذه الأمة، ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل -وكان قد قرأ الكتب- فأخبرته بما أخبرها به (ﷺ) فقال ورقة: قدوس، قدوس، فإن كنت صدقتني لقد جاءه الناموس الأكبر -يعني: جبريل (عليه السلام)، وإنه لنبي هذه الأمة، ولئن أنا أدركت زمانه لأنصرن الله فيه، ثم قبل بين عينيه.

قد صحت الرواية عن عائشة (رضي الله عنها): أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتعبد الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى خديجة فيزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال قلت: ما أنا بقارئ قال (ﷺ): فأخذني فغطني إلى نفسه اثنتين حتى قلت: إنه الموت، ثم أخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١-٣)، فرجع بها رسول الله (ﷺ) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، حتى ذهب الروع عنه فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، قالت خديجة: كلا، والله ما يحزنك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل ابن عمها الذي قرأ في الكتب فسمع من محمد (ﷺ) فأخبره أن هذا الناموس الذي أنزل الله (عز وجل) على موسى وتمنى لو كان حيًا حين يخرجه قومه لينصره نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي.

وأنزل على رسول الله (ﷺ) في شهر رمضان ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١، ٢)، وقيل أول آية نزلت في شهر رمضان: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ (البقرة: ١٨٥) وأُمِرَ أن

يبشر خديجة ببيت في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب، وفتر الوحي عنه (ﷺ)؛ لأن امرأة سألته (ﷺ) فقال (ﷺ): أجيب غدًا، فرجعت إليه فلم يجبها (ﷺ) فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد قلاك، فقال (ﷺ): قد قلاني ربي، فجاءه جبريل (عليه السلام) بسورة الضحى إلى قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضك منذ أن أحبك وجاءه جبريل (عليه السلام) بأعلى مكة، فانفجرت من الوادي عين حتى توضأ جبريل بين يدي رسول الله (ﷺ) وتعلم رسول الله (ﷺ) منه الطهارة، وآمن به علي بن أبي طالب وكان يصلي معه خفية، فيدخل عليهما أبو طالب، فسأل فأخبره النبي (ﷺ) أنه دين الله وملائكته وأبينا إبراهيم، ورفض أبو طالب مفارقة دين آبائه، وعند بناء البيت كانوا يرفعون الأزر على المناكب إلا رسول الله (ﷺ) إذ وقع وهو يمشي وكان شاخصًا ببصره للسماء وكان معه العباس فسأله (رضي الله عنه) فقال (ﷺ): نهيت أن أمشي عريانًا، وعن ابن عباس يوم زمزم، كان النبي (ﷺ) غلامًا ينقل الحجارة وأخذ أبو طالب إزاره، فغشي عليه، فقد أتاه آت عليه ثياب بيض فأمره أن يستتر، فكان ذلك أول شيء رأى من النبوة حين قال له: استتر، فما رُئيت عورته من يومها.

وعن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله غسله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) والفضل، وكان العباس يناول الماء من وراء الستر، وقال العباس: ما منعني أن أغسله إلا أنا كنا صبيانًا نحمل الحجارة إلى المسجد -يعني لبناء الكعبة- ننزع أزرنا ونضعها على أكتفانا، ونضع الحجارة، فبينا نحن كذلك أنا ورسول الله (ﷺ) إذ وقع (ﷺ)، وسقط الحجر وأنا قائم، فقلت: يا ابن أخي قم فإني لا أرى بك بأسًا، ولا أرى الحجر ضرّك، فنظر إلى السماء، ثم نظر إليّ فقال: اشدد عليّ، فإني نهيت أن أتعرى بعد هذا اليوم، قال العباس: فهذا أول ما رأيت منه.

وقيل: فبينا رسول الله (ﷺ) ينقلها إذ انكشفت عورته، فنودي: يامحمد عورتك، فذلك أول ما نودي، والله أعلم.

باب: في ذكر عصمة الله نبيه (ﷺ) من التدين بغير الحق، وحراسته قبل المبعث وبعده من مردة الشياطين والإنس أن ينالوه بسوء

أتى عامر بن الطفيل النبي (ﷺ) فقال له: يا عامر أسلم، قال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال (ﷺ): لا، ثم تولى وهو يتوعد رسول الله (ﷺ) بالقتال، قال النبي (ﷺ): اللهم اكفني عامرًا واهد قومه، وأماته الله بعد ما أصابه بغدة في حلقه، يحول بفرسه فيسقط عنها ميتًا، ولم يعبد رسول الله وثنًا ولم يشرب خمرًا، كما قال (ﷺ): وما هم بشيء مما هم به أهل الجاهلية إلا ليلتين عصمه الله منهما، مرة كان يرعى الغنم، فأراد أن يسمر كما يسمر الفتيان، فيسمع العزف بالغرابيل والمزامير في زواج فلان وفلانة، فضرب الله على أذنه حتى أيقظه مس الشمس وفي الليلة الثانية تكرر معه الذي كان في الأولى، فما عاد بعدها حتى أكرمه الله (عز وجل) بنبوته وقال (ﷺ):

«فلما نشأت بغض إليَّ الأوثان، وبغض إليّ الشعر»، وكان (ﷺ) يعيب أكل ما ذبح لغير الله، فما ذاق منها شيئًا حتى أكرمه الله بالرسالة.

وقبل أن ينزل عليه الوحي قُدِّمت إليه سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل شيئًا ثم قال (ﷺ): «إني لا أكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وغضب منه (ﷺ) عمه وعماته وقومه فقد كان يرفض الذهاب إلى صنم تعظمه قريش ببوانة وكان كلما دنا من صنم تمثل له رجل أبيض يصيح به: وراءك يا محمد، يا محمد لا تمسه. فما عاد رسول الله (ﷺ) حتى نُبِّئ، وكان رسول الله (ﷺ) إذا مشى مع أصحابه مشوا أمامه، وتركوا ظهره للملائكة وكان المسلمون ينامون حوله مخافة الغوائل حتى نزلت آية العصمة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ (المائدة: ٦٧).

وعن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١) أقبلت أروى أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًّا أبينا، ودينه قلينا وأمره عصينا - ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس، ومعه أبو بكر ولما رآها قال: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنها لن تراني، وقرأ قرآنا اعتصم به وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥) فأقبلت حتى وقفتْ على أبي بكر (رضي الله عنه) ولم تر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك وعن أنس بن مالك قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) ساجدًا بمكة، فجاء إبليس فأراد أن يطأ عنقه (صلى الله عليه وسلم) فنفحه جبريل (عليه السلام) نفحة بجناحه فوقع في الأردن وأمسك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الشيطان عندما أراد أن يفتنه عن صلاته ورعبه لكنه (صلى الله عليه وسلم) تذكر دعوة أخيه سليمان فتركه ولولا ذلك لربطه بإحدى سواري المسجد يلعب به ولدان أهل المدينة، واجتمعت الشياطين عليه (صلى الله عليه وسلم) من الجبال والأدوية، وفيهم شيطان معه شعلة نار ليحرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففزع منهم، فجاءه جبريل وعلمه: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله (عز وجل).

فصل: في حراسة الله (عز وجل) السماء، ومنعه الجان ومردة الشياطين من استراق السمع عند بعثته (صلى الله عليه وسلم)

رُوي: أن الجن لم تكن تمنع من مقاعدها فعن ابن عباس قال:

كانت الجن تصعد إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة تكون حقًا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله (ﷺ) منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس -ولم تكن النجوم تُرمى قبل ذلك -فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله (ﷺ) قائمًا يصلي فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض، فلما بعث النبي (ﷺ) منعت عن مقاعدها، وحرست السماء بالشهب، وأن النجوم لم تكن ترمى بها في أول الدهر إلى أن وُلدِ النبي (ﷺ) فرُمي بها حيث بعث.

قوله: «لم تكن ترمى بها في أول الدهر»:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٨، ٩)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ (الملك: ٥)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ (الحجر: ١٨)، أخرج الشيخان من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله (ﷺ) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلّا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله

(ﷺ) بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن: ١، ٢)، وأنزل الله (عز وجل) على نبيه (ﷺ): ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الجن: ١).



جامع أبواب نسبه الشريف (ﷺ)

وما جاء في طهارة أصله

وكرامة محتده (ﷺ)

باب: نسب النبي (ﷺ)

عن جبير بن مطعم، عن أبي بكر الصديق، قال: محمد رسول الله (ﷺ) بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب: شيبة- ابن هاشم: وسمي هاشمًا؛ لأنه أول من هشم الثريد لقومه قرش بمكة، وإنما سمِّي عمرو العلي بن عبد مناف بن قصي وكان يدعى مجمِّعًا -وله يقول الشاعر:

أبوه قصي كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

وهو: قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة -واسمه: عامر- ابن خندف، وهو: إلياس بن مضر -وإنما خندف أم غلبت على نسب ولدها، وهو مضر بن نزار معد بن عدنان بن أدد بن يولع بن سالف بن عابر بن منين بن الصاح بن العوام بن أمين ابن يشجب بن نبت بن حمل بن قيذار، وهو ابن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن آزر واسمه بالسريانية تارح -ابن ناحور بن ساروعوا بن أرغوا، وهو بالعربية: هود بن فالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن المتوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم صلى الله عليهم أجمعين.

روى أن رسول الله (ﷺ) انتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) ثم قال: كذب النسابون، ولم يذكر ما بعد إبراهيم من النسب فثبت من ذلك أن رسول الله (ﷺ) هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ابن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم صلاة الله عليهم أجمعين.

فصل: في شرف أصله (ﷺ) وكرامة محتده

قال رسول الله (ﷺ): «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وروى: أن النبي (ﷺ) خرج إلى الناس فخطبهم، فقال: إن الله (عز وجل) نظر إلى أهل الأرض فاختار منها قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار، وبلغ النبي (ﷺ) أن قومًا نالوا منه وقالوا: إن مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناس، فغضب رسول الله (ﷺ) ثم قال (ﷺ): أيها الناس إن الله -تعالى- لما خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرقهم جعلني في خير الفريقين، ثم لما جعلهم قبائل جعلني في خيرهم قبيلة، ثم لما جعلهم بيوتًا جعلني من خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) إن جبريل (عليه السلام) أتاني فقال: يا محمد إن الله أمرني أن آتي مشارق الأرض ومغاربها، برها وبحرها، سهلها وجبلها، فأتيه بخير أهل الدنيا، فأتيتها فوجدت خيرها قريشًا، ثم أمرني أن أتيه بخير قريش، فوجدت خير قريش بني هاشم، وما كنت يا محمد في صف من الناس إلا كانوا خيار الناس.

وروى عمرو بن دينار، عن ابن عمر أنه قال: إنا لقعود بفناء بيت رسول الله (ﷺ)، فخرج النبي (ﷺ) يعرف في وجهه الغضب حتى قام على القوم فقال (ﷺ): ما بال أقوام تبلغني عن أقوام؟ إن الله تبارك وتعالى خلق السموات سبعًا، فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، فاختار من الخلق

بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

وروي: أن رسول الله (ﷺ) قال: جاءني جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أن قومًا نالوا منه وقالوا: إن مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناس، فغضب رسول الله (ﷺ) ثم قال: أيها الناس إن الله تعالى خلق خلقه فجعلهم فريقين.. الحديث وعن العباس قال: قلت يا رسول الله، إن قريشًا إذا التقوا لقي بعضهم بعضًا بالبشاشة، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب رسول الله (ﷺ) عند ذلك غضبًا شديدًا ثم قال:

والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله، فقلت: يا رسول الله: إن قريشًا جلسوا تذاكروا أحسابهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض فقال رسول الله (ﷺ) إن الله (عز وجل) يوم خلق الخلق.. الحديث.

وعن ابن عباس مرفوعًا: إن الله (عز وجل) قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسمًا وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧)، ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ (الواقعة: ٤١)، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين.

باب: جدات النبي (ﷺ) وأجداده لأمه

أم رسول الله التي ولدته: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وأمها برَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن مرة، وأمها: أم سفيان بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة، فأمها: برَّة بنت عوف

ابن عبيد بن عويج من بني عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وأمها: قلابة بنت الحارث بن صعصعة من بني عائذ بن لحيان بن هذيل، وأمها: بنت مالك بن غنم من بني لحيان بن هذيل، وجدة رسول الله (ﷺ) أم وهب بن عبد مناف اسمها عمرة بنت وجز بن غالب - وهو أبو كبشة من خزاعة، وهي وأم الحارث بن عبد المطلب ابنتا خالة، وتوفيت آمنة أم رسول الله (ﷺ) بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت بمكة، وكان رسول الله (ﷺ) إذا افتخر قال: أنا ابن العواتك، وهن: عاتكة بنت هلال بن فالج فهي أم عبد مناف أبي وهب بن زهرة، وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، من بني سليم فأم هاشم ابن عبد مناف وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، فهي أم وهب أبي آمنة أم النبي (ﷺ)، وأما جدته (ﷺ) أم أبيه عبد الله: فهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأم عبد المطلب: سلمى بنت عمرو، من بني النجار، وأمها منهم، وكذلك أم أمها، وكانت سلمى قبل أن يتزوجها هاشم تحت أحيحة بن الجلاح، فولدت له عمرو بن أحيحة، فهو أخو عبد المطلب لأمه.

باب: ذكر أعمام رسول الله (ﷺ)

كان لرسول الله (ﷺ) تسعة أعمام وهم أولاد عبد المطلب: **الحارث، والزبير، والعباس، وحمزة، وأبو طالب** -واسمه: عبد مناف- **والغيداق**- واسمه: حجل- **وضرار، والمقوم، وأبو لهب** - واسمه: عبد العزى-، ولم يعقب منهم إلا أربعة وهم: الحارث، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب.

أما الحارث فهو أكبر أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى وشهد معه حفر زمزم وولده: أبو سفيان، والمغيرة، ونوفل، وأروى، وربيعة، وعبد شمس.

أما العباس عم النبي (ﷺ) أسر يوم بدر، وكانت له السقاية وزمزم دفعهما

إليه النبي (ﷺ) يوم الفتح، مات بالمدينة أيام عثمان وكف بصره وكان عمره تسعًا وثمانين سنة ومولده قبل الفيل بثلاث سنوات.

أما أبو طالب عم النبي (ﷺ) فاسمه: عبد مناف وولده: علي، جعفر، وعقيل، وطالب، وأم هانئ وتوفي قبل هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة بثلاث سنين وأربعة أشهر. أما أبو لهب عم رسول الله (ﷺ) فاسمه: عبد العزى، يكنى أبا عتبة وهو سارق غزال الكعبة وكان من ذهب وولده: عتبة وعتيبة، ومعتب وأمهم: أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وعمة معاوية وهي حمالة الحطب.

باب: ذكر عمات رسول الله (ﷺ)

لما حضرت عبد المطلب الوفاة قال لبناته: ابكين عليَّ حتى أسمع، وهن ست. **أميمة**، **أم حكيم**، **وبرة**، **وعاتكة**، **وصفية**، **وأروى**، وهن بنات عبد المطلب لأمهات شتى، وأسلم منهن ثلاث: صفية، وأروى، وعاتكة.

باب: ذكر أخواله وخالاته وإخوته وأخواته (ﷺ) من الرضاعة

لم يكن لأمه آمنة بنت وهب أخ ولا أخت فيكون له خالاً أو خالة، إلا أن بني زهرة يقولون: نحن أخواله؛ لأن آمنة منهم، ولم يكن لأبويه: عبد الله وآمنة ولد غيره (ﷺ) فلم يكن له أخ ولا أخت من النسب، وكان له خالة من الرضاعة يقال لها سلمى وهي أخت حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب.

أما إخوته من الرضاعة فعبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وأبوهم: الحارث بن عبد العزى بن سعد بن بكر من هوازن وأمهم: حليمة بنت أبي ذؤيب، فهما أخوا النبي (ﷺ) من الرضاعة، وقال: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر».

باب: ذكر أولاد رسول الله (ﷺ) وأصهاره

ولد له (ﷺ) من خديجة ثلاثة بنين وأربع بنات:

البنون: **القاسم** -وبه كان يُكنى- **وعبد الله** وهو **الطيب**، **والطاهر**، أما **إبراهيم** فهو من مارية القبطية.

والبنات: **فاطمة**، **زينب**، **ورقية**، **وأم كلثوم**، وكلهم ولدوا في الجاهلية إلا فاطمة وإبراهيم، فإنهما ولدا في الإسلام.

أما القاسم والطيب فماتا بمكة بعد سبع ليال، أما إبراهيم فولد بالمدينة بعد ثمان سنين من الهجرة، ومات بها وله سنة وستة أشهر وثمانية أيام، وقبره بالبقيع.

أما زينب، فقد تزوجها أبو العاص بن الربيع واسمه القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأمه هالة بنت خويلد، فهو ابن خالتها، تزوجها وهو مشرك، فطالبته قريش بتطليقها وأبى، ثم قدم المدينة بعد أربع سنين، وكانت زينب قد سبقته فأسلم وحسن إسلامه، ثم ماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة وكان له منها بنت اسمها أمامة كان رسول الله (ﷺ) يحملها في صلاته وتزوجها على بعد فاطمة.

أما رقية فتزوجها عتبة بن أبي لهب وطلقها قبل أن يدخل بها فدعا عليه الرسول (ﷺ) وافترسه الأسد من بين أصحابه، ثم تزوجها عثمان بالمدينة، فولدت عبد الله، ومات صغيرًا وتوفيت بعده بسنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا من الهجرة والنبي (ﷺ) ببدر.

أما أم كلثوم فتزوجها عتيبة بن أبي لهب وأمره أن يطلقها فطلقها، ثم تزوجها عثمان بعد رقية، وتوفيت لثمان سنين وشهر وعشرة أيام من الهجرة.

أما فاطمة فتزوجها عليٌّ بعد سنة من مقدمة المدينة، وابتنى بها بعد سنة أخرى، وماتت بعد النبي (ﷺ) بمئة يوم وولدت له: الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى.

باب: ذكر أسماء رسول الله (ﷺ) من القرآن وصفاته

قوله (عز وجل): ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقال عز من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل: ١).

وقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١).

وسماه عبدًا فقال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر: ٣٦).

وقال عز من قائل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (الفرقان: ١).

وسماه نذيرًا مبينًا، فقال: ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الحجر: ٨٩).

وسماه أحمد في قوله (عز وجل): ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وسماه محمدًا فقال: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (محمد: ٢).

وسماه رحمة فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

سماه مصطفى فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥).

وسماه رؤوفًا رحيمًا فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وسماه صدقًا فقال: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ﴾ (الزمر: ٣٢).

وسماه نبيًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ (الأحزاب: ٥٩).

وسماه رسولاً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ (المائدة: ٦٧).

وسماه كريمًا فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ (التكوير: ١٩).

وسماه نورًا فقال: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ (المائدة: ١٥).

وسماه نعمة فقال: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (النحل: ٨٣).

وسماه عبد الله فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ (الجن: ١٩).

وسماه بأسامي في آية واحدة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

وسماه رجلاً فقال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه: ١، ٢).

وسماه إنسانًا فقال: ﴿يسٓ﴾ (يس: ١).

وسماه مذكرًا فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ (الغاشية: ٢٢).

وسماه الهادي والذكر والشافع.

باب: ذكر أسمائه (ﷺ) التي وردت بها الأخبار

سمَّى رسول الله (ﷺ) نفسه بأسماء فقال (ﷺ): أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفي، نبي الرحمة، والملحمة، وهو: محمد، وأحمد، والحاشر، والماحي، والعاقب، والخاتم ونبي الرحمة، والمتوكل، والغيث.

في كتب إبراهيم: **مومود**، وفي كتب الروم: **التلقيط** وفي مزمور من كتب داود (عليه السلام) أن الله (عز وجل) أظهر من صهيون -أي مكة- إكليلاً محمودًا، فسماه: الإكليل المحمود وقال المسيح (عليه السلام): سيأتيكم روحًا فارقليطًا - يعني: محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وفي الإنجيل: أخرانا -يعني- آخر الأنبياء، مارينوليط وفي التوراة: اسمه: أحيد يعني: أحيد به عن النار ومرحومًا.

واسمه في السريانية: **سرخطيلس**، وبالعبرانية: **موذموذ** واسم في الزبور: **فارق**، أي فرق بين الحق والباطل، **حاط حاط**، بالرومية: **محصياد**، وفي صحف إبراهيم: **طاب طاب** يعني: **طيب طيب**، وفي السموات **محمود**، وفي صحف شيث: آخر **ماح ماح** يعني: صحيح الإسلام.

فصل: فيما خُصَّ به النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأسماء والكُنَى والألقاب

روي أن الله بعث مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي، منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر مرسلاً، وقد ذكر الله (عز وجل) أنبياءه (صلى الله عليه وسلم)، فلم يقسم لأحد منهم اسمًا مشتقًا من أسمائه تعالى، وشق له (صلى الله عليه وسلم) من الحميد والمحمود: محمدًا.

وسمي أحمد (صلى الله عليه وسلم) لأن الأنبياء كلهم حامدون، والنبي (صلى الله عليه وسلم) أحمد منهم أي: أفضل منهم في الثناء عليه (صلى الله عليه وسلم).

وكُنِّي (صلى الله عليه وسلم) بأبي القاسم؛ لأنه يقسم الجنة يوم القيامة بين الخلق. ومن صفاته (صلى الله عليه وسلم) في الكتب: راكب الجمل، وآكل الذراع، وقابل الهدية، ومحرِّم الميتة، وخاتم النبوة، وحامل الهراوة.

ويقال: إن كنيته (صلى الله عليه وسلم) في التوراة: أبو الأرامل، واسمه: صاحب الملحمة، وفي التوراة: إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير، فسماه راكب البعير، وسماه في كتب شعيا: نور الأمم، وفي كتابه أيضًا: هو نور الله الذي

لا يطفأ، وهو ركن المتواضعين (ﷺ).

وقد روي في بعض الأخبار: إن لي عند الله عشرة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي -الذي يمحو الله بي الكفر - وأنا العاقب - الذي ليس بعدي نبي-، وأنا الحاشر- يحشر العباد على قدمي - وأنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، والمقفِّي، ورسول الملإ، قفيت النبيين جميعًا، وأنا قثم - والقثم: الكامل الجامع.

وقال (ﷺ) أنا الأول والآخر، والظاهر والباطن، وقيل: إن هذه تحية الملائكة له ليلة المعراج فسأل رسول الله (ﷺ) جبريل، فقال: ما هذه التحية؟ فقال جبريل (عليه السلام) أنت أول في النبوة، وآخر في البعثة.

فصل: ولقبه (ﷺ) الذبيح

لقوله (ﷺ): أنا ابن الذبيحين -يعني إسماعيل وعبد الله- أما إسماعيل فقد أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم في منامه أن يذبح له ابنه إسماعيل ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢) فلما رمى جمرة العقبة، حمله ثم أضجعه على وجهه كيلا تلحقه رأفة الوالد لولده إذا وقعت عينه في عينه، وأخذ المدية ووضعها على حلقه امتثالاً لأمر ربه، ورضي الغلام فبكت الملائكة لما شهدت، وتحزنت لما عاينت، وسبحت الطيور في الجو وتضرعت، فلما علم الله صدقهما وحسن طاعتهما ناداه ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ (الصافات: ١٠٤-١٠٧).

والثاني: عبد الله، ذلك أن عبد المطلب أري في المنام أن يذبحه، وقيل إنه نذر: إن ولد له عشرة من البنين أن يذبح العاشر وكان العاشر عبد الله،

وهم أن يقتله فزجر عن ذلك، ولم يرض أخوال عبد الله بقتله فقال: إني قد نذرت، فسألوا بعض الكهنة، فأشار عليهم بضرب القداح وتقديم القربان فبدأ بعشرة من الإبل حتى بلغ مئة، فخرجت القداح على الإبل فنحرها عند الكعبة وصارت هي الأصل في الديات، فسمِّي عبد الله: الذبيح.

فصل: ذكر قصة حفر عبد المطلب بن هاشم بئر زمزم

خرجت قريش زمن الفيل فارة من الفيل، وعبد المطلب غلام شاب، ورفض الخروج وجلس عند البيت ثابتًا في الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه، حتى ولد له أكبر بنيه: الحارث، فأتى عبد المطلب في المنام فقيل له: احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم، فاستيقظ فقال: اللهم بين لي، فأتى في المنام مرة أخرى، فقيل له: أحفر تُكْتَم بين الفرث والدم في مبحث الغراب في قرية النمل، مستقبل الأنصاب الحمر، وانتظر عبد المطلب ما سمِّي له من الآيات، فنحرت بقرة، وانفلتت من جازرها حتى غلبها الموت في موضع زمزم، وجزرت في مكانها حتى احتمل لحمها، فأقبل غراب حتى وقع في الفرث، فبحث عن قرية النمل، فحفر عبد المطلب وتعجبت قريش من صنيعه، فقال عبد المطلب: إني لحافر هذه البئر ومجاهد من صدني عنها، فطفق هو وابنه الحارث وليس له غيره يومئذ، فنازعوهما ناس من قريش، وابتعد ناس عنه لما يعلمون من عتق نسبه، وصدقه واجتهاده في دينهم يومئذ، حتى أمكن الحفر، واشتد عليه الأذى فنذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم، وبلغ الحفر مبلغه حتى ظهر الماء، فجعلا حوضًا يملآنه ليشرب منه الحاج، فحسده قوم من قريش فكسروا حوضه مرارًا وأصلحه هو مرارًا فساءه ذلك، فدعا ربه، فأري في المنام أن قيل له: قل: اللهم إني لا أحلها لمغتسل، ولكن هي للشارب حِلٌّ وبل، فلم يفسدوا بعد ذلك حوضه، ورمى كل من حسده بشيء في بدنه، ثم تزوج عبد المطلب النساء، فولد له عشرة رهط، فقال: اللهم إني كنت نذرت لك

ذبح أحدهم، فإني أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت، فأقرع بينهم، فصارت القرعة على عبد الله وكان أحب أولاده إليه.

فصل: ذكر رواية أخرى لرؤيا عبد المطلب في أمر زمزم

كان عبد المطلب نائمًا في الحجر فأتاه آت في المنام فقال له: احفر طيبة فقال: وما طيبة؟ ثم نام فجاءه مرة أخرى وقال له: احفر برة، فقال عبد المطلب وما برة؟ ثم نام فأتاه في الغد وهو نائم وقال: احفر زمزم قال عبد المطلب: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدًا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، عند قرية النمل، ولما عرف موضعها، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث حتى بدا الماء كبر، وأرادت قريش مشاركته في هذا الفضل، فرفض؛ فهو أمر خُص به دونهم ولم يتركوه حتى تحاكموا إلى كاهنة بني سعد بالشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، واستسقوا ممن معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم وقالوا: إنا في مفازة نخشى فيها على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلَّا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل واحد منكم لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته، ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلاً واحدًا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعًا. قالوا: سمعنا ما أردت.

قال: فقام كل رجل منهم يحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا لعجز لا نبتغي

لأنفسنا حيلة، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا. قال: فارتحلوا، حتى إذا فرغوا -ومن معهم من قريش ينظرون إليهم وما هم فاعلون-، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت انفجر من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم شربوا، واستقوا وملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل التي معه من قريش، فشربوا واستقوا، فقالت القبائل التي نازعته: قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدًا، الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فرجعوا ولم يمضوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم.

فصل: ذكر رواية أخرى أيضًا في ذلك

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: أتى عبد المطلب حين أمر بحفر زمزم فقيل له: ادع بالماء الرواء غير الكدر، فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: أتعلمون أني قد أمرت أن أحفر زمزم؟ قالوا: فهل بيِّن لك أين هي؟ قال: لا، قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يكن حقًا من الله بيَّن لك، وإن يكن من الشيطان لم يرجع إليك، فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام، فأُري، فقيل له: احفر زمزم، إن حفرتها لم تذم، وهي تراث أبيك الأعظم، وفي رواية أخرى لعلي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): لا تنزف أبدًا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، مثل نعام حافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثًا وعقدًا محكمًا، ليست كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم، فكما قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قال قيل: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب.

قال: وكان عبد المطلب نذر الله (عَزَّ وَجَلَّ) حين أُمِرَ بحفر زمزم لئن تم له ذلك، وتتم له عشرة من الولد ليذبحن أحدهم، فلما تم له زمزم، وولد له عشرة من الذكور أقرع بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أب رسول

الله (ﷺ) فقام ليذبحه، فقامت إليه أخوال عبد الله وعظماء قريش فقالوا: ووالله لا تذبحه، فإنك إن تفعل ذلك تكن سنة علينا العرب، وقالت قريش: إن بالحجاز عرافة لها تابع فسلْها، فإن أمرتك بذبحه فاذبحه، فجاؤا إلى المدينة، وسألوا المرأة فقالت: حتى يأتيني تابعي، فلما كان الغد غدوا عليها، فقالت: نعم، جاءني الحبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم، وقربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها بالقداح وعلى صاحبكم، فإن خرجت على الإبل فانحروها، وإن خرجت على صاحبكم فزيدوا في الإبل.

فلما رجعوا إلى بلادهم فعلوا فكانت تخرج القرعة على عبد الله، فقالت قريش: يا عبد المطلب زد ربك حتى يرضى، فلم يزل يزيد عشرًا عشرًا حتى تم المئة، فخرجت القداح على الإبل فنحرت قال: فكان رسول الله (ﷺ) يقول: أنا ابن الذبيحين.

باب: في ذكر صفة رسول الله (ﷺ) وخلقه ونعته وحليته

قال علي بن أبي طالب في صفة رسول الله (ﷺ) كان (ﷺ) ليس بالذاهب طولاً، وفوق الرَّبْعة، إذا جاء مع القوم غمرهم، أبيض شديد الوضح، ضخم الهامة، أغر أبلج، أهدب الأشفار، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى يتقلع كأنما يتجدر في حبب، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ لم أر قبله ولا بعده مثله بأبي وأمي (ﷺ) وفي وصف هند خال الحسن بن علي، قال: كان رسول الله (ﷺ) فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له

نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكا سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عار الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا، ويمشي، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدؤ من لقي بالسلام، ويقول هند في وصف رسول الله (ﷺ): كان رسول الله (ﷺ) متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئًا، غير أنه لم يكن يذم ذواقًا ولا يمدحه، لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء إذا تعرض الحق لشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام.

قال علي بن أبي طالب: كان دخوله (ﷺ) لنفسه مأذونًا له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا لله (عَزَّوَجَلَّ)، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزءًا جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا

يدخر عنهم، أما عن مخرجه، كان رسول الله (ﷺ) يخزن لسانه إلا مما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكن حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

أما عن مجلسه: كان رسول الله (ﷺ) لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر الله، ولا يوطن الأماكن، وينهى عند إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطة وخلقه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحُرُم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

وعن سيرته بين جلسائه: كان رسول الله (ﷺ) دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يحب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس في ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك

مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام وقال عن سكوته: كان (ﷺ) سكوته على أربع: الحلم والحذر، والتقدير والتفكر، كان لا يغضبه شيء ولا يستفزه أحد، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة.

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ): كان رسول الله (ﷺ) أحسن الناس قوامًا، وأحسن الناس وجهًا، وأطيب الناس ريحًا، وألين الناس كفًا، ما شممت رائحة قط مسكًا ولا عنبرًا أطيب رائحة منه، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ألين من كفه (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم.

فصل: ذكر الآية في وجهه الشريف وعقله المنيف (ﷺ)

روي أن عائشة (رضي الله عنها) كانت تخيط ثوبًا في وقت السحر، فضلت الإبرة وطفئ السراج، فدخل عليها النبي (ﷺ) فأضاء البيت، ووجدت عائشة الإبرة بضوئه، فضحكت ثم قال النبي (ﷺ): ويل لمن لا يراني يوم القيامة، قالت عائشة: ومن لا يراك يا رسول الله؟ قال (ﷺ): البخيل، قالت: ومن البخيل؟ قال (ﷺ): الذي لا يصلي عليّ إذا سمع اسمي.

قال أبو سعد (رحمه الله): لم يظهر لنا تمام حسنه (ﷺ) لأنه لو ظهر لما طاقت أعيننا رؤيته، وكذلك لم يظهر لنا تمام عقله لأن قلوبنا لا تحتمل ذلك، وهذا معنى قوله (ﷺ): إني أتكلم على قدر عقولكم، وفي حديث عائشة قالت: دخل عليٍّ رسول الله (ﷺ) يومًا فقعد يخصف نعلاً وأنا قاعدة أغزل، فرفعت

بصري إليه فإذا سالفته ذات عرق، وهو يتولد في عيني نورًا، فبهت، فرفع (ﷺ) فقال: إلى ما تنظرين يا عائشة؟ قد بهت، قلت: والله ما أنظر إلى شيء من وجهك إلا تولد في عيني نورًا، وقالت: أما والله لو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره من غيرك، فقال النبي (ﷺ) وما قال أبو كبير:

ومبرأ من كل غير حيضة　　وفساد مرضعة، وذا مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه　　برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فوضع رسول الله ما كان في يده وقام إليّ فقبّل ما بين عيني وقال: جزاك الله خيرًا يا عائشة، فما أعلم أني سررت بشيء كسروري بكلامك.

فصل: ذكر الآية في عينه وقلبه وصفة نومه (ﷺ)

كان (ﷺ) تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكان يقول: إن قلبي ينتظر الوحي، وكان (ﷺ) كثير الرؤيا ولا يرى في منامه إلا الخير، وجاءت الملائكة إلى النبي (ﷺ) وهو نائم، فقال بعضهم: هو نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، وقالت عائشة (﵂) قلت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال (ﷺ) يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي.

فصل: ذكر الآية في خاتمه الشريف (ﷺ) وما جاء في صفته.

روي أن الخاتم الذي كان بين كتفيه (ﷺ) مثل البيضة مكتوب عليه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توجه حيث شئت فإنك منصور.

فصل: ذكر الآية في بوله وغائطه (ﷺ)

عن أم أيمن قالت: قام رسول الله (ﷺ) من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، ثم قمت من الليل وأنا عطشى فأتيت الفخارة فشربت ما فيها، فلما

أصبح ذكرت ذلك للنبي (ﷺ) فضحك وقال: أما أنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قلت: يا رسول الله (ﷺ) إنك تدخل الخلاء، فإذا خرجت دخلت على إثرك فلا أرى شيئًا، إلا أني أجد رائحة المسك؟ فقال (ﷺ): إنا معاشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح الجنة، فما خرج منها شيء ابتلعته الأرض.

ويقول جابر بن عبد الله: رأيت من رسول الله ثلاثة أشياء لو لم يأت بالقرآن لآمنت به، تصحرنا في جبانة تنقطع الطرق دونها، فأخذ النبي (ﷺ) الوضوء ورأى نخلتين متفرقتين، فقال رسول الله (ﷺ): يا جابر اذهب إليهما فقل لهما اجتمعا، فاجتمعتا حتى كأنهما أصل واحد، فتوضأ رسول الله (ﷺ)، فبادرته بالماء، وقلت: لعل الله أن يطلعني على ما خرج من جوفه فأكله، فرأيت الأرض بيضاء، فقلت: يا رسول الله أما كنت توضأت؟ قال (ﷺ) بلى، ولكنا معاشر النبيين أمرت الأرض أن تواري ما يخرج منا من الغائط والبول.

فصل: ذكر الآية في عرقه، وما جاء في طيب رائحته (ﷺ)

عن جابر بن عبد الله: كان في رسول الله (ﷺ) خصال: كان لا يمر في طريق إلا عُرِف أنه مرَّ فيه من طيب عرقه، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه): كان رسول الله (ﷺ) إذا مر في الطريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك، وقالوا: مر رسول الله (ﷺ) في هذا الطريق.

وعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه) قال: صلَّى النبي (ﷺ) الظهر ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فأخذ يمسح خدودهم، فمسح خدي، فوجدت ليده بردًا كأنما أخرجهما من جؤنة عطار.

وكان (ﷺ) إذا نام عرق، فتأتي أم سليم بقطنة فتلتقط عرقه فتخلط به مسكًا في قارورة لها، ثم تجعله للشفاء، وعندما يقيل في بيتها، تأخذ من عرقه فتجعله في مسك، ودخل (ﷺ) بيتها ذات يوم فرأى فيه قربة معلقة فيها ماء فهوى إليها ففتح فاها ثم شرب، فلما خرج أخذت أم سليم الشفرة فقطعت فم القربة ثم لفتها في خرقة، وقالت: هذه مأثرة لكم تدخرونها، وأخرج الشيخان من حديث أنس قال: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي (ﷺ)، ومن حديث أبي جحيفة خرج رسول الله بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة، كان يمر من ورائها المرأة، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا أهي أبرد من الثلج وأطيب من رائحة المسك.

فصل: ذكر الآية في شعره الشريف

عن خالد بن الوليد، قال: اعتمرنا مع رسول الله (ﷺ) في عمرة اعتمرها، فحلق (ﷺ) شعره، فاستبق الناس إلى شعره (ﷺ) فسبقتهم إلى الناصية، فاتخذت قلنسوة، فجعلتها في مقدم القلنسوة، فما توجهت بها في وجهة إلا فتح لي.

فصل: في ابتداء الدعوة وعرض نفسه (ﷺ) على قومه وما لقي في ذلك من الشدة

عن جابر بن عبد الله، قال: مكث رسول الله (ﷺ) عشر سنين يعرض نفسه على الناس بعكاظ ومكة، وفي الموسم يقول (ﷺ): من ينصرني؟ من يؤويني؟ حتى أبلغ رسالة ربي (عَزَّ وَجَلَّ) وله الجنة. فلا يجد أحدًا يؤويه، ولا ينصره، حتى إن الرجل يرحل صاحبه من مصر أو اليمن فيأتيه قومه أو ذوو رحمه فيقولون:

احذر فتى قريش لا يفتننك: يمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله (عَزَّوَجَلَّ)، يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله (عَزَّوَجَلَّ) له من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام، ثم بعثنا الله (عَزَّوَجَلَّ) وائتمرنا واجتمعنا سبعون رجلاً منا فقلنا: حتى متى نذر رسول الله (ﷺ) يطوف في جبال مكة ويخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا شعب العقبة فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين، حتى توافينا عنده فقلنا: يا رسول الله: على ما نباعيك؟ فقال (ﷺ): بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة.

قال: فقمنا نبايعه، وأخذ بيد أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين رجلاً إلا أنا، فقال: رويدًا أهل يثرب! إنا لم نضرب أكباد المطي إليه إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، إن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله؛ وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله (عَزَّوَجَلَّ)، فقلنا: أمِطْ يدك يا أسعد بن زرارة، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً، يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة وقد لقي من قومه شدة وأشد ما لقي منهم يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبه إلى ما أراد، فانطلق مهمومًا على وجهه ولم يشعر بنفسه (ﷺ) إلا بقرن الثعالب فرفع رأسه، فإذا بسحابة أظلته، وإذا جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

يناديه: إن الله قد سمع قول قومك إليك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، وقد بعثني الله إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله (ﷺ): بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا.

وعن عبد الله بن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب من فيه قال: لما أمر رسول الله (ﷺ) أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر، فدُفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر -وكان مقدمًا في كل الخير، وكان رجلاً نسابة -فسلم فردوا عليه السلام، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، قال: أمن هامتها، أو من لهازمها؟، فقالوا: بل من هامتها العظمى، قال: وأي هامتها العظمى؟ قالوا: ذهل الأكبر، قال: فمنكم عوف الذي كان يقال: لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة المفردة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا، قال: فلستم ذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر؟

قال: فقام إليه غلام من بني شيبان حين بعَّل وجهه يقال له: دغفل، فقال:

إنَّ على سائلنا أن نسلَه　　　والعبء لا تعرفه أو تجهله

يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكذبك شيئًا، فمن الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا من قريش، فقال الفتى: بخ بخ، أهل الشرف والرياسة، فمن أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة، فقال الفتى: أمكنت والله منها الرمي من سوء الثغرة، أمكنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر فكان يُدعى في

قريش مُجَمِّعًا؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه، ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبة الحمد: عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الداجية الظلماء؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الرفادة أنت؟ قال: فاجتذب أبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) زمام الناقة راجعًا إلى رسول الله (ﷺ)، فقال الغلام:

صادف در السيل درًا يدفعه   يهضبه حينًا وحينًا يصدعه

أما والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من زمعات قريش، وأما أنا فدغْفَلٌ.

قال: فتبسم رسول الله (ﷺ)، قال علي: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعرابي على باقعة! قال: أجل أبا حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق.

ثم لقي رسول الله (ﷺ) ومعه أبو بكر قومًا من شيبان بن ثعلبة هم غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان ابن شريك، فسألهم أبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عن عددهم وقوتهم وحربهم فأجاب مفروق بأنهم كثر، أنهم أشد غضبًا في الحرب والنصر من عند الله، فظن أبا بكر رسول الله (ﷺ) إلا أن أبا بكر قدَّم رسول الله (ﷺ) إليهم، فسأله مفروق إلام يدعو، قال رسول الله (ﷺ): أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تؤوني وتنصروني، فإن قريشًا قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد، واستحسن مفروق كلام النبي (ﷺ) حتى أنه لم يسمع كلامًا أحسن مما قال رسول الله (ﷺ) فتلا رسول الله (ﷺ): ﴿قُلْ تَعَالَوْا

أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، فقال مفروق فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض؟ فتلا رسول الله (ﷺ): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وذم قريشًا ثم أشرك شيخهم هانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة اللذين اتفقا على حسن مقالة الرسول (ﷺ) إلا أنهما في حاجة لاستشارة قومهم ولأنهم نزلوا بين أنهار كسرى ومياه العرب وما دعاهم إليه رسول الله (ﷺ) مما يكره الملوك وأحبُّوا أن يؤوا الرسول (ﷺ) وينصروه مما يلي مياه العرب فقال رسول الله (ﷺ): ما أسأتم الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ قال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذلك، ثم نهض رسول الله (ﷺ) قابضًا على يدي أبي بكر وهو يقول: يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية؟ ما أشرفها، بها يدفع الله (عَزَّوَجَلَّ) بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم ثم دخلا مجلس الأوس والخزرج، فما نهضا حتى بايعوا رسول الله (ﷺ) الذي سُرَّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم، ثم جاءت تميم إلى رسول الله (ﷺ) فخرج إليهم، فقد جاؤا بشاعرهم وخطيبهم، ليشاعروه وليفاخروه فقال رسول الله (ﷺ): ما بشعر بعثت، ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا، فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم يا فلان فاذكر فضلك، وفضل قومك فقام فحمد الله وبين أن قومه أغنى وأخير وأكثر أهل الأرض عدة وسلاحًا، فقال رسول الله (ﷺ) لثابت بن قيس وكان خطيب النبي (ﷺ): «قم فأجبه، فقام ثابت فحمد الله وشهد الشهادتين وبين فضل

المهاجرين وأن هدفهم نشر دين الله، ثم طلب الزبرقان من شاب من شبابهم أن يذكر أبياتًا، فقام فذكر فضله وفضل قومه، فأرسل النبي (ﷺ) إلى حسان بن ثابت الذي قام فقال شعرًا بين فضل الدين والمهاجرين وشجاعتهم في الحرب من أجل نصرة الدين والرسول (ﷺ) ثم قام الأقرع بن حابس فقال: إني والله يا محمد قد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، وإني قد قلت شعرًا فاسمعه فقال (ﷺ): هات، فقال:

أتيناك كي ما يعرف الناس فضلنا ... إذا اختلفوا عند ذكر المكارم
فإنا رؤس الناس من كل معشر ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وإن لنا المرباع في كل غارة ... تكون بنجد أو بأرض التهائم

قال: فقال رسول الله (ﷺ): يا حسان قم فأجبه، قال: فقام حسان:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله (ﷺ): لقد كنت غنيًا يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما قد كنت ظننت أن الناس قد نسوه عنك.

قال: فكان قول رسول الله (ﷺ) أشد عليهم من قول حسان إذ يقول:

هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم

قال: ثم رجع حسان إلى قوله:

وأفضل ما نلتم من المجد والعلى ... رادفتنا من بعد ذكر المكارم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا لله نـدًا وأسلموا ولا تفخروا عند النبي بـدارم
وإلا ورب البيت مالت أكفّنا على رؤسكم بالمرهفات الصوارم

قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: يا هؤلاء، إني والله ما أدري ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتًا وأحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتًا وأحسن شعرًا، ثم دنا إلى رسول الله (ﷺ) فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ): لا يضرك ما كان قبل هذا.

باب: في معاريج النبي (ﷺ) وعلى آله الطيبين

قال الله (عز وجل): ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١).

عن مالك بن صعصعة: أن نبي الله (ﷺ) حدثهم عن ليلة أسري به أنه كان مضطجعًا بالحطيم أو ربما قال في الحجر، فأتاه آتٍ فشق ما بين ثغرة نحره إلى سرته فاستخرج قلبه وغسله من طست ذهبي بالإيمان والحكمة ثم حُشي ثم ركب البراق مع جبريل حتى أتى به السماء فلقى آدم أباه في الأولى وفي السماء الثانية ابني الخالة يحيى وعيسى ثم صُعِد به إلى الثالثة حيث يوسف، ولقي في الرابعة إدريسًا وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى الذي رحب برسول الله (ﷺ) ثم بكى فلما سئل قال: أبكى لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، وفي السابعة لقى إبراهيم وكلهم رحبوا برسول الله بقولهم: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ما عدا آدم وإبراهيم فقد قالا: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفع رسول الله (ﷺ) إلى سدرة المنتهى، نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل أذان الفيلة وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان في الجنة، والظاهران: النيل والفرات

هكذا أجابه جبريل وقال (ﷺ) ثم رفع لي البيت المعمور، وعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون فيه ثم أتي بأوان من لبن وعسل وخمر فأخذ اللبن فكانت الفطرة التي عليها هو وأمته، ثم فرضت عليه الصلاة: خمسون صلاة فمر على موسى الذي سأله عما أُمِر به فلما أخبره، فقال له: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف ورجع النبي (ﷺ) إلى ربه أربع مرات يسأله التخفيف وفي كل مرة يحط الله من الخمسين عشرًا إلى أن منَّ الله عليه (ﷺ) بخمس لها ثواب الخمسين، عندئذ استحيا محمد (ﷺ) ولكنه رضي وسلم، وقال (ﷺ): أُسري بي من المسجد الحرام فمرة قال: كنت في الحجر ومرة قال: كنت في بيت أم هانئ فأسري بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١)، تخرج المياه من صخرة بيت المقدس وهي من عجائب الله في أرضه؛ فإنها صخرة تسعى في وسط المسجد الأقصى مثل الضرب، وقد انقطعت من كل جهة، لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، قال: وفي أعلاها من جهة الجوف قدم النبي (ﷺ) حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته، ومن الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها إذ مالت به، ومن تحتها الغار الذي انفصلت منه من كل جهة، وعليه باب يفتح للصلاة والاعتكاف والدعاء، قال أبو سعد (رحمه الله): تهيبتها مرة أن أدخل تحتها لأني كنت أقول: أخاف أن تسقط عليّ بالذنوب، ثم رأيت الظلمة والمجاهرين بالمعاصي يدخلونها ثم يخرجون عنها سالمين فهممت بدخولها، ثم قلت: ولعلهم أمهلوا وأعاجل، فتوقفت مرة، ثم عزم عليّ فدخلت فرأيت العجب العجاب، نمشي في حواشيها من كل جهة فنراها منفصلة عن الأرض، لا يتصل بها من الأرض شيء، وبعض الجهات أبعد انفصالاً من الأرض.

وفي رواية: بينا أنا نائم في بيتي طاهرًا أتاني جبريل وميكائيل (عليهما السلام)

فقالا: انطلق إلى ما سألت ربك -وكان (ﷺ) قد سأل ربه أن يريه الجنة والنار -فانطلقا بي إلى ما بين المقام وزمزم، فشقا بطني ومعهما طست من ذهب فكان جبريل يختلف بالماء من زمزم في الطست، وكان ميكائيل يغسل جوفي، فقال جبريل لميكائيل: شق قلبه، فشق قلبي، فأخرج علقة سوداء فألقاها، ثم ذر عليه من ذرور كان معه، ثم قال لبطني هكذا، فالتأم، وقد ملئ حكمة وإيمانًا، وفي رواية - يعني جبريل: يا محمد قم، فقام، فأخذ بيده، فأخرجه من باب المسجد وأركبه البراق وهو دابة وجهها كوجه إنسان، فوق الحمار ودون البغل، قوائمها كالبعير عليها رحل من رحال الجنة أراد (ﷺ) أن يركب فصعب عليه إلا أن جبريل قال: مهلاً يا براق أما تستحي؟ والله ما ركبك أحد منذ كنت، أكرم على الله من محمد (ﷺ) فلان البراق فركب حتى دخل المسجد الأقصى فلقي الأنبياء قبل عيسى بعثًا فقالوا: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، وكانت الملائكة تحييه لأنه (ﷺ) أول من تنشق عنه الأرض وعن أمته قبل سائر الأمم وأنه آخر الأنبياء وأول من يدخل الجنة هو وأمته.

وروي أنه (ﷺ) لما كان في مسيره انتهى إلى ربوة فلسطين، فإذا امرأة تزينت باللؤلؤ والثياب الجميلة، فأرادت أن تستوقفه فلم يقف فقال جبريل. أتدري من هذه؟ فقال النبي (ﷺ) لا قال: هذه الدنيا تزينت لك، فلو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة، ثم ناداه مناد، كان داعي اليهود، فلم يقف فقال له جبريل: لو وقفت عليه لاختارت أمتك اليهودية، وكذلك مع داعي النصارى قال جبريل: لو وقفت عليه لتنصرت أمتك ثم لقي آدم (عليه السلام) فإذا هو كهيئته يوم خلقه الله عن يمينه باب الجنة وعن شماله باب جهنم يضحك إذا دخل من ذريته باب الجنة ويبكي إذا دخلوا عن شماله، ثم رأى رجالاً كثيرًا ونساء موكل بهم رجال يقذفونهم بصخور من نار حتى تخرج من أسفلهم ولهم

خوار فسأل (ﷺ) فأجاب جبريل: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ثم أتى علي قوم بين أيديهم لحم طيب وجيف نتنة يأكلون منها فهؤلاء هم الزناة يقوم أحدهم من عند امرأته الحلال، فيأتي المرأة الخبيثة، وكذلك المرأة تقوم من عند الزوج، في بعض الروايات رأى رجالاً يعذبون حتى إذا احترقوا رضخت رؤسهم بالصخر ثم أعيدوا فيها، وإذا فيها ناس يعذبون، حتى إذا احترقوا نكسوا على رؤسهم، فسأل (ﷺ) جبريل فقال: الذين أخرجوا فرضخت رؤسهم بالصخر فإنهم أهل الكتاب غيروا وبدلوا، وأما الذين نكسوا على رؤسهم فهم المراؤن، وفي رواية: أنه (ﷺ) رأى نساء معلقات بأيديهن وأرجلهن، منكسات، ولهن خوار وصراخ، فسأل (ﷺ) جبريل، فقال: هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن، ويجعلن لأزواجهن ذرية من غير أصلابهم، ثم صعد به (ﷺ) إلى جبل فرأى في أعلاه أرضًا واسعة بها نساء تشق ثديهن حيات كأعناق البخت فرد جبريل على النبي (ﷺ): اللواتي يرغبن بألبانهن أولادهن التماس السمن، ثم أتى على قوم يزرعون ويحصدون في اليوم، كلما حصدوا عاد كما كان فأجاب جبريل على النبي (ﷺ) هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة سبعمئة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، ثم رأى قومًا ترضخ رؤسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتَّر عنهم من ذلك شيء، فكان رد جبريل على رسول الله (ﷺ): هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم، ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يريد أن يزيد عليها، فرد جبريل على النبي (ﷺ): هذا الرجل من أمتك عنده أمانة لا يستطيع أداءها، ويريد أن يزيد، ثم مر (ﷺ) على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار، كلما قرضت ردت لا يفتَّر عنهم، فقال جبريل: هؤلاء خطباء الفتنة، ثم أتى على

جحر صغير خرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج، ولا يستطيع فقال جبريل: هو الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها يريد أن يردها فلا يستطيع.

وروي أنه (ﷺ) كان نائمًا إذ جاءه ملك فقال قم فقام (ﷺ) ومضى فإذا برجلين: رجل نائم، ورجل قائم يجيء بحجر فيضرب رأس النائم، فيشدخ رأسه كما كان، ويجيء آخر فيضرب رأسه فيشدخه، فهو الرجل يتعلم القرآن ثم ينام عنه لا يقرأ منه شيئًا، كلما رقد في القبر أيقظوه.

ومضى النبي (ﷺ) فإذا برجلين؛ رجل جالس، والآخر قائم في يده كلاليب من حديد فيلقي في شدقيه كلوبًا فيمده حتى يبلغ كاهله فينزعه، ثم يفعل بالجانب الآخر كذلك فقال (ﷺ): سبحان الله فإذا هو رجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. ثم مضى رسول الله (ﷺ) فرأى رجالاً ونساءً عراة وإذا بنار تأتيهم من أسفلهم في تنور وهم الزناة والزواني ويمر النبي (ﷺ) فإذا هو بنهر من دم، وإذا في النهر رجل كلما دنا من شاطئه ألقمه رجل جمرًا، فكان آكل الربا، ويسير النبي ساعة، فإذا بروضة ملئت أطفالاً وسطهم شيخ ما يكاد يرى رأسه طولاً فقال النبي (ﷺ) سبحان الله ما هذا؟ قال: امض أمامك، ثم مضى (ﷺ) فيجد شجرة لو اجتمع الخلق كلهم لأظلتهم، وفي الشجرة رجلان: واحد يجمع الحطب، والآخر يوقد النار، فقال (ﷺ): ما هذا؟ فكانا ملكين يحميان لأعداء الله يوم القيامة، فانطلقا حتى أتيا روضة معتمة فيها من كل نورة في وسط الروضة رجل طويل قائم، لا يكاد يرى رأسه من طوله وحوله ولدان، ما رأى رسول الله (ﷺ). قط أحسن منهم، فقال: (ﷺ): ما هذا؟ فكان الطويل في الروضة فإبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) وأما الولدان حوله، فكل مولود يولد على الفطرة، ثم يمضي (ﷺ) ساعة،

فينتهي إلى درجة عظيمة، فارتفع منها ساعة، فإذا عليها مدينة مبنية بلبن من ذهب، ولبن من فضة، فأتيا المدينة، ففتح لهما، فاستقبلهم رجال كأحسن ما رأى، ورجال كأقبح ما رأى فقال لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فإذا التشوّه قد زال عنهم، وصاروا في أحسن صورة، فأما المدينة فهي الدنيا، وفيها أناس خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فتابوا فتاب الله عليهم، ومضى فإذا بمدينة أخرى وسطها نهر ماؤه أشد بياضًا من اللبن، ورجال يحملون أهلها، فيضعونهم في النهر فيخرجون بيضًا نقية، قلت سبحان الله، فقال الملك للنبي (ﷺ): هل تدري أين مآبك؟ فقال رسول الله (ﷺ): مآبي عند الله، قال الملك: صدقت، انظر إلى السماء، فنظرت فإذا أنا براية، قلت: ما لك بارك الله فيكما ذراني أدخل؟! قالوا: أما الآن فلا، وأنت داخله.

وفي بعض الروايات: وإذا أنا بدار من فضة، بفنائها رجل جالس فقال: مرحبًا برجل وعدنا الله أن نراه فلم نره إلا الليلة، فقلت: بربك من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قلت: لمن هذه الدار؟ قال: لداود النبي (عليه السلام)، فدخلتها، فإذا هي في السعة ثلاثة عشر فرسخًا في ثلاثة عشر فرسخًا عرضها طولها، وإذا ببيت من زبرجد وياقوت ولؤلؤ، قال: فلما رأى جبريل (عليه السلام) عجبي بها، قال: يا نبي الرحمة أليس حسبك أن يعطيك ربك مثل هذه الدار؟ قال: قلت: بلى، إني إلى ربي لمن الراغبين.

قال: فمشينا حتى أتيناها، فإذا بفنائها رجل جالس فقال: مرحبًا بنبي وعدنا الله أن نراه فلم نره إلا الليلة، قال: فقلت: بربك من أنت؟ قال: أنا داود، قلت: لمن هذه الدار؟ قال: لخليل الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، قال: فدخلناها، فإذا أصوات صبيان، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين، يكفلهم إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وصلاته عليه.

فصل: في وصفه (ﷺ) النار

وسمع النبي (ﷺ) صوتًا هائلاً، كان صوت النار تقول: رب ائتني بأهلي، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي، وسعيري وحميمي، وغساقي، وزقومي، وبعد قعري، واشتد حري، فائتني بما وعدتني فقيل: لك مسود ومسودة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قال أبو هريرة: أوقدت النار ألف سنة فابيضت، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت، فهي سوداء مظلمة ويقول أبو هريرة: أترونها حمراء كناركم هذه، لهي أسود من القار، والقار: الزيت.

وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها، وكل شيء فيها أسود.

وعن كعب ولفظه: سجرت النار ألف سنة حتى ابيضت، ثم سجرت ألف سنة حتى احمرت، ثم سجرت ألف سنة حتى اسودت.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: يا ويح أهل النار، أخبرني جبريل أن الله تعالى خلق النار من ظلمة، أعلاها من نحاس ثم جعلها طبقات سبعًا، ثم ناداها: اسجري، فسجرت ألف عام، حتى توقد الهواء، فطلب إلى ربه أن يعفيه، فطرحها إلى أسفل سافلين، ثم جعل فوقها البحار والأرضين، ثم قال: تغيّظي، فقال: يا رب على من؟ قال: على من كفر وجحد أوليائي، فنادته: بعزتك لأطحنهم طحنًا، ثم زفرت، فارتفع لها حر في الهواء أو قال: في السماء فخلق الله تعالى منها: النجوم، فجعلها رجومًا للشياطين. قال: فكل ما كان في الشتاء فهو زمهرير، وكل ما كان في الصيف فهو سموم، فمن مرض في الشتاء فهو منها ويكون تمحيصًا لذنوب المؤمنين، ومن مرض في الصيف يكون منها، ويكون تطهيرًا للذنوب.

وروى: أن النار اشتكت إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها

بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدة الحر من نفسها.

وروي أن رسول الله (ﷺ) ذكر النار في صلاة غير مكتوبة فقال: أعوذ بالله من النار وويل لأهل النار.

وروي أن أهل النار إذا نادوا: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف: ٧٧) يخلي عنهم أربعين عامًا ثم يجيبهم ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٧) قال فيخلى عنهم مثل مدة الدنيا ثم يجيبهم: ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٨) قال: فوالله ما نبس القوم بعد ذلك بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق.

فصل: فيما ورد في وصف المعراج

قال (ﷺ): ثم جئت إلى بيت المقدس، فصليت بالملائكة والأنبياء صلوات الله عليهم، ثم أخذ جبريل بيدي حتى انطلق بي إلى المعراج، أصله في قبة بيت المقدس، ورأسه ملتزق بالسماء، أحد عموديه ياقوتة حمراء، والآخر من زمردة خضراء، مفاتيحه ذهب وفضة مكلل بالدر والياقوت، لم ينظر الناظرون إلى شيء أحسن منه، فاحتملني على جناحه، ثم انطلق بي إلى السماء.

قيل: إن المعراج أنزل من جنة الفردوس منضودًا باللؤلؤ وما من مؤمن إلا ويحمل إليه عند موته المعراج أما ترون كيف يتبع بصره وروحه والمعراج أحسن شيء خلقه الله وهو من ياقوت أحمر وأصفر وذهب ولؤلؤ وفضة وزمرد، عن يمينه أربعمئة ملك، وعن يساره أربعمئة ملك ومن أمامه ألف ومن خلفه ألف لكل ملك جناحان أخضران، ويعرج ملك متوج من نور، معه خمسمئة ملك، وجوههم كالقمر، يقولون: مرحبًا مرحبًا يا محمد، ثم إن جبريل (عليه السلام) نادى ميكائيل، ونادى ميكائيل ميخائيل، ونادى ميخائيل

سمحائيل، ونادى سمحائيل كلكائيل، وكلكائيل نادى عصدياليل خليفة ذوفيائيل، وقالوا: قد جاء الخبر فإن محمدًا (ﷺ) قد أقبل، وقد أرسل إليه، ويبلغ محمد بالمعراج الدرجات فيشاهد ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر من الملائكة والمشاهد.

فصل: في أسماء السماوات السبع ومن فيهن من الأنبياء

عن سلمان الفارسي: خلق الله (عز وجل) السماوات السبع وسماهن بأسمائهن، وأسكن كل سماء صنفًا من الملائكة يعبدونه، وأوحى في كل سماء أمرها، فسمى سماء الدنيا «برقيعًا»، وقال لها كوني زمردة خضراء، وفُتحت للنبي (ﷺ) فإذا ملك يقال له: إسماعيل، بين يديه سبعون ألف ملك، قال: فصلوا على محمد، ثم لقى آدم كهيئته يوم خلقه الله، ثم عرج به (ﷺ) إلى السماء الثانية «أرقلون» قال الله لها كوني فضة بيضاء فكانت، وجعل فيها ملائكة قيامًا منذ خلقهم الله (عز وجل) فاستفتح جبريل فرحبت الملائكة بالنبي (ﷺ) ومعهم يوسف الصديق وأتباعه من أمته ثم عرج به (ﷺ) إلى السماء الثالثة «قيدون» وقال لها الرب (عز وجل) كوني ياقوتة حمراء فكانت، تسبيح أهلها سبحان الحق الذي لا يموت وفيها لقي عيسى ويحيى كانا جالسين على منبرين من ياقوت ثم عرج به (ﷺ) إلى السماء الرابعة: «الماعون»، وقال لها الرب (عز وجل): كوني درة بيضاء فكانت، وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح وفيها لقي إدريسًا الذي رحب بالنبي (ﷺ) وفيها مريم بنت عمران، ولها سبعون قصرًا من لؤلؤ، ولأم موسى بن عمران النبي سبعون قصرًا من زمرد أخضر، ولآسية بنت مزاحم سبعون قصرًا من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد (ﷺ) تسعون قصرًا من مرجانة حمراء مكللة باللؤلؤ -أبوابها وأسرتها من عرق واحد وعرج به (ﷺ) إلى السماء الخامسة: ريعا، قال لها الرب (عز وجل) كوني ذهبة حمراء فكانت، وتسبيح أهلها: سبحان من جمع بين الثلج والنار، فاستفتح جبريل

فرأى النبي كهلاً لم ير قط أجمل منه، فكان هارون بن عمران المحبب في قومه، ثم انتهى إلى السماء السادسة «دقيا»، قال الله (عَزَّوَجَلَّ) لها كوني ياقوتة صفراء فكانت وتسبيح أهلها: سبحان القدوس رب كل شيء وخالق كل كل شيء، وقيل لقى النبي (ﷺ) موسى بن عمران وعرج به (ﷺ) إلى السماء السابعة «عريبا» وقال لها الله (عَزَّوَجَلَّ) كوني نورًا فكانت نورًا على نور يتلألؤ وتسبيح أهلها: سبحان خالق النار فرحبت به (ﷺ) الملائكة، وشاهد نهرين عظيمين ورأى رفياليل خليفة رضوانياليل ومعه الحور العين فابتسم رسول الله (ﷺ) إلى جبريل فقال جبريل لريفياليل: استأذن لهن رضوان ينظر اليهن محمد، فنظر إليهن فكن ينادينه: يا محمد عليك السلام، نحن الناعمات، فلا نبؤس، ونحن المقيمات فلا نظعن، نحن الراضيات فلا نسخط، نحن الخالدات فلا نموت، نحن الكاسيات فلا نعرى، بلغ أمتك عنا السلام.

ولم تكن الملائكة والأنبياء على معرفة ببعث النبي محمد (ﷺ) وكل تسبيح للملائكة في كل سماء من قالها كان له مثل ثوابهم.

فصل: في ذكر ما رآه (ﷺ) من عجائب المخلوقات ليلة الإسراء

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافة الله، ما منهم ملك يقطر دمعة من عينه إلا وقع منها ملك قائم يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا، ومنهم ركوع منذ خلقهم الله، لم يرفعوا رؤسهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

رأي النبي (ﷺ) شملاليل الملك الكبير، في رأسه تاج من اللؤلؤ والياقوت، واللؤلؤة منها تضيق عنها الدنيا، والياقوتة منها تدخل فيها الدنيا، حتى بلغ درجة في الهول أرعدت فرائصه فقال: يا جبريل ضمني إليك، فاستقبله هشماليل، رأسه في ظل العرش وقدماه في سجين، وهو قابض على السلسلة

التي من ذهب، وهي في عنق السمكة التي الأرضون عليها، في عنقها سلسلة بيد الملك، وهو قائم عند ساق العرش، معه عشرون ألف ألف ملك ثم بلغ فرأى ملائكة تسبيحهم: سبحان ربي الأعلى، ورأسهم صاحب هاروت وماروت وقومه مكللون بالنور فقال: يا جبريل من هذا؟ قال: محمد بن عبد الله قال: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم، فاستأذن بالسلام على رسول الله (ﷺ) فسلم عليه، ثم رأى الريح لها سبعة أرؤس، ولما بلغ المعراج خمسًا وخمسين درجة إذ بالملائكة سجودًا في الهواء منذ خلق الله السموات والأرض، رؤسهم تحت أجنحتهم لم ينظر أحدهم إلى شيء من جسده قط من الخوف من خشية الله -تعالى- ولا إلى صاحبه يسبحون لا يفترون، ويبكون، ثم وصل (ﷺ) إلى باب من أبواب السماء يقال له: الحفظة وعليه ملك يقال له: إسماعيل ثم بلغ (ﷺ) فأقبل خازن الجنة رضوان ياليل مع ملائكة الحجب ألف ألف ملك، وجوههم كالقمر ليلة البدر، خضر الثياب، المسك يفوح منهم، متوجون بتيجان من نور، مناطقهم صفائح الزمرد، فقال النبي (ﷺ): ما أحسن هؤلاء الملائكة، فرد جبريل بأن أمته إذا اتقوا وسلموا من الدنيا كانوا في الجنة أحسن منهم، ففرح النبي (ﷺ) حتى رؤي الفرح في وجهه بل وزاده جبريل بأن الله سيعطيه من الكرامة حتى يرضى، ثم عرج به (ﷺ) حتى رأى ذهبًا صامتًا عليه كواكب اللؤلؤ تحت كل لؤلؤة خمسون ملكًا كلّ ينادي: مرحبًا بك وأهلًا ويقول: لا إله إلا الله، الكافي عبده الأصنام، الموحد الرحيم قال (ﷺ): يا جبريل من هؤلاء؟ قال جبريل (عليه السلام): هؤلاء عباد السماء، ثم استقبله ملك يسمى رأس الهدى معه مئة ألف ملك لم يرفعوا رؤسهم منذ خلق الله السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة، ثم رأى ملائكة عدد المطر، وجوههم كالليل، عليهم أردية كالنور شعاعهم بين السماء والأرض، ثم رأى مقياليل الملك عن يمينه ألف ألف ملك، وعن يساره ألف ألف ملك، وخلفه ألف ألف ملك، لبسوا

تيجانًا من نور، وهم يقرؤن آية الكرسي، فقال جبريل: خلق هؤلاء الملائكة من قطرة من نور العرش، ثم شمَّ (ﷺ) ريح الرحمة من سدرة المنتهى، ومعها ملائكة التوبة مكللون على نور العرش، ثم أقبل خازن جنة النعيم وخليفته مع كل واحد منهما ألف ألف من الملائكة رافعين أجنحتهم، ورؤسهم، يشيرون إليّ بالأصابع، يقولون: لقد أكرم الله هذا الآدمي، مرحبًا بك يا جبريل وبمن معك، ثم رأى رأس ملائكة السماء السابعة معه اثنان وثلاثون ألف ملك، على كل ملك تاج، تسعون ذراعًا من ذراع جبريل في كل تاج أربعمئة لؤلؤة، اللؤلؤة الواحدة تسع فيها الدنيا.

فصل: في ما ورد في وصف جبريل (عليه السلام)

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ﷺ): كان جبريل (عليه السلام) يأتيني كما يأتي الرجل صاحبه، في ثياب بيض مكفوفة باللؤلؤ والياقوت، رأسه كالحبك، وشعره كالمرجان، ولونه كالثلج، أجلى الجبهة، براق الثنايا، عليه وشاحان من در منظوم، وجناحاه أخضران، ورجلاه مغموستان في الخضرة، وصورته التي صوّر عليها تملأ ما بين الأفقين، على جبينه سطران يلمعان: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وروي أن جبريل يغتسل في نهر الجنة، كل غداة، فينتفض، فتقطر منه سبعون ألف قطرة، فيخلق الله من كل قطرة ملكًا فيغمرون ذلك الضراح فيطوف كل يوم سبعون ألف ملك بالبيت المعمور، فلا تنتهي النوبة إليهم إلى يوم القيامة.

قوله: «وعن ابن عباس»: روي من وجه مرسل بإسناد جيد من حديث أبي المغيرة: ثنا صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد قال: لما صعد النبي (ﷺ) إلى السماء فأوحى الله (عز وجل) إلى عبده ما أوحى قال: فلما أحس جبريل بدنو الرب تبارك وتعالى خر ساجدًا، فلم يزل يسبحه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم قضى الله (عز وجل) إلى عبده ما قضى، ثم رفع رأسه

فرأيته في خلقه الذي خلق عليه، منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، فخيل إليَّ أن ما بين عينيه قد سد الأفق وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال.

وفي رواية: أن النبي (ﷺ) قال له: أشتهي أن أراك في صورتك يا روح الله، فتحول له فيها.

قوله: «وفي رواية»: أخرج أبو الشيخ في العظمة برقم ٣٤٨ من طريق موسى ابن عبيدة -ضعيف الحديث- عن سلمة بن أبي الأشعث -ولا يعرف- عن أبي صالح، عن أبي سلمة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ) لجبريل (عليه السلام): وددت أني رأيتك في صورتك، قال: وتحب ذلك؟ قال: نعم، قال: موعدك كذا من الليلة بقيع الغرقد، فلقيه رسول الله (ﷺ) موعده فنشر جناحًا من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى من السماء شيء.

قال أبو عاصم: وهذا مع ضعف إسناده شاهده في الصحيحين من حديثها أيضًا حين سألها مسروق عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم: ٨)، قالت: جبريل (عليه السلام) كان يأتيه في صورة الرجل، وأنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته.

وفي حديث آخر: أن جبريل (عليه السلام) أذّن -وكان مكتوبًا على جبين جبريل (عليه السلام) سطران يلمعان: لا إله إلا الله محمد رسول الله -ثم أقام ميكائيل في السماء الرابعة، ثم قام ملك فعانقني، فقلت: يا جبريل ما أكثر عجائب ربي، قال: ما رأيت إلا في ساعة من الليل.

وفي بعض الأخبار: أنه (ﷺ) صعد وأتى من مكة إلى الضراح الذي في السماء السابعة قبال الكعبة، حرمته في السماء كحرمة مكة في الأرض.

فصل: فيما ورد في وصف البراق وسبب استصعابه

البراق بيضاء مضطربة الأذنين، لها جناحان تحضر بهما، وخدها كخد الفرس، ووجهها كوجه الإنسان، عرفها من اللؤلؤ، منسوجة بالمرجان، وعقبها من ياقوت أحمر مزبرج بالنور، وآذانها من زمرد أخضر، عيناها كالزهوة، وأظلافها كأظلاف البقر من زمرد أخضر مرصع بالياقوت والمرجان، بطنها كالفضة وصدرها كالذهب، يداها تقعان إلى أدنى الوادي إذا بسطتها، لونها كالبرق يلوح بين السماء خطوها منتهى بصرها، زمامها زمام من لؤلؤ مكلل بالجوهر الأخضر، مزمومة بسلسلة من ذهب، عليها راحلة الديباج واستصعبت على النبي (ﷺ) لأن محمدًا مس الصفراء، وهي صنم من ذهب كان عند الكعبة، مس رأسه النبي (ﷺ) وقال: من يعبد هذا الشقي؟

فصل: فيما رآه (ﷺ) في نومه وَحْيًا من الله (عز وجل)

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) ونحن في المسجد فقال: لقد رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه.. وأنه رأى البارحة عجبًا، رأي رجلاً من أمته قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأى رجلاً يلهث عطشًا، كلما أتى حوضًا منع منه، فجاءه صيامه في رمضان فسقاه، ورأى رجلاً من أمته ومعه النبيون حلقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة منع منها، فجاء اغتساله من الجنابة فأقعده إلى جنبي، ورأى رجلاً تحيط به الظلمة من كل مكان فهو متحير في الظلمات فجاءه حجه وعمرته، فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور، ورأى رجلاً من أمته يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءت صلته للرحم، فقالت: كلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصار معهم، ورأى رجلاً من أمته، أخذته الزبانية من كل مكان، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذاه من أيديهم، ورأى رجلاً من أمته جاثيًا على ركبتيه، بينه

وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله.

ورأى رجلاً من أمته وضعت صحيفته على شماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

ورأى رجلاً من أمته هوى في النار، فجاءت دموعه من خوف الله، وبكاؤه من خشية الله فاستخرجاه منها.

ورأى رجلاً من أمته على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته، ومضى على الصراط.

ورأى رجلاً من أمته على الصراط يزحف أحيانًا، ويجثو أحيانًا، ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته علي، فأخذت بيده، فأقامته على قدميه، ومضى على الصراط.

ورأى رجلاً من أمته انتهى إلى أبواب الجنة، فوجدها قد أقفلت كلها، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ففتحت له الأبواب، فدخل الجنة.

باب: ما جاء في فضل مكة وذكر بعض أسمائها حرسها الله وزادها شرفًا

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ

﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ (آل عمران: ٩٦، ٩٧).

وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٩٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ﷺ) طلع أحدًا فقال (ﷺ): هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها.

وحين أخرجوه من مكة وقف على الحزورة وقال (ﷺ): إني لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت.

وقال (ﷺ) في حديث آخر: خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله مكة.

وقال (ﷺ): إن الأرض دحيت من مكة، وأول من طاف بالبيت الملائكة وما من نبي هرب من قومه إلا هرب إلى الله بمكة فعبد الله فيها حتى مات.

قال ابن عباس: الكعبة قبلة المسجد الحرام، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض.

وقيل: سميت مكة لما بين الجبلين، ومكة بين الجبلين، لأنها تبك بعضهم بعضًا في الطواف، ويقال: مكة ذو طوى، وهي مكة وبكة، وأم رُحَم، وأم القرى، والباسّة أي: تخرجهم إخراجًا إذا ظلموا، وهو أول بيت وضع للناس، وأول مسجد بُني للمؤمنين، وأول من بنى إبراهيم (عليه السلام).

فصل: في ذكر حدود الحرم وكيف حرِّم

عن ابن عباس: أول من نصب أنصاب الحرم: إبراهيم (عليه السلام) يريه ذلك جبريل فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله (ﷺ) تميمًا بن أسد الخزاعي، فجدد مارث منها.

وأخرج أبو الوليد من حديث موسى بن عقبة أنه قال: عدت قريش على أنصاب الحرم فنزعتها، فاشتد ذلك على النبي (ﷺ)، فجاء جبريل (عليه السلام)، إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد اشتد عليك أن نزعت قريش أنصاب الحرم؟ قال (ﷺ): نعم، قال: أما إنهم سيعيدونها، قال: فرأى رجل من هذه القبيلة من قريش ومن هذه القبيلة حتى رأى ذلك عدة من قبائل قريش قائلًا يقول: حرم كان أعزكم الله به، ومنعكم، فنزعتم أنصابه! الآن تخطفكم العرب، فأصبحوا يتحدثون بذلك في مجالسهم، فأعادوها، فجاء جبريل (عليه السلام) إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد قد أعادوها قال (ﷺ): أفأصابوا يا جبريل؟ قال: ما وضعوا منها نصبًا إلا بيد ملك.

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن إبراهيم (عليه السلام) نصب أنصاب الحرم يريه جبريل (عليه السلام)، ثم لم تحرك حتى كان قصي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان رسول الله (ﷺ) فبعث عام الفتح تميمًا بن أسد الخزاعي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فبعث أربعة من قريش كان يبتدئون في بواديها فجددوا أنصاب الحرم، منهم مخرمة بن نوفل وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومي، وحويطب بن عبد العزى، وأزهر بن أزهر بن عبد عوف الزهري.

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: لما ولي عثمان بن عفان، بعث على الحج عبد الرحمن بن عوف، وأمره أن يجدد أنصاب الحرم، فبعث عبد الرحمن نفرًا من قريش منهم حويطب بن عبد العزى، وعبد الرحمن بن أزهر، وكان سعيد بن يربوع قد ذهب بصره في آخر خلافة عمر، وذهب بصر مخرمة بن نوفل في خلافة عثمان، فكانوا يجددون أنصاب الحرم في كل سنة، فلما ولي معاوية كتب إلى والي مكة فأمره بتجديدها.

قال: فلما بعث عمر بن الخطاب النفر الذين بعثهم في تجديد أنصاب الحرم، أمرهم أن ينظروا إلى كل واد يصب في الحرم فنصبوا عليه وأعلموه وجعلوه حرمًا، وإلى كل واد يصب في الحل فجعلوه حلاً.

وقيل: لما خاف آدم (عليه السلام) على نفسه من الشيطان استعاذ بالله سبحانه، فأرسل الله ملائكته حفوا بمكة من كل جانب فوقفوا، حواليها، فحرم الله (عز وجل) الحرم من حيث وقفت الملائكة، عن وهب بن منبه: أن آدم (عليه السلام) اشتد بكاؤه وحزنه لعظم مصيبته، حتى أن الملائكة حزنت لحزنه وبكائه، فعزاه الله بخيمة من الجنة وضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، وهذه الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة، فيها ثلاثة قناديل من ذهب الجنة، فيها نور يلتهب من نور الجنة، والركن يومئذ نجم من نجومه، فكان ضوء ذلك النور ينتهي إلى مواضع الحرم فلما صار آدم إلى مكة حرسه الله، وحرس له تلك الخيمة بالملائكة، فكانوا يقفون على مواضع أنصاب الحرم يحرسونه ويذودون عنه سكان الأرض وهم الجن والشياطين فلا ينبغي أن ينظروا إلى شيء من الجنة؛ لأنه من نظر إلى شيء منها وجبت له، والأرض يومئذ نقيةطاهرة طيبة لم تنجس، ولم تسفك فيها الدماء ولم يعمل فيها بالخطايا، فلذلك جعلها الله يومئذ مستقرًا لملائكته، وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فلم تزل تلك الخيمة مكانها حتى قبض الله (عز وجل) آدم، ثم رفعها إليه، وروي: أن آدم (عليه السلام) لما فرغ من المناسك جاء جبريل (عليه السلام) بياقوتة من الجنة فحلق بها رأس آدم (عليه السلام) قال: فطار شعر آدم (عليه السلام) حتى بلغ طرف الحرم وجال حولها فجعل ذلك المقدار حرمًا.

فصل: في ذكر عظم الذنب في حَرَم الله وحَمْلِ السِّلاحِ فيه

عن علي بن الحسين (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ستة لعنهم الله

والملائكة والناس أجمعون: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعزه الله ويعز من أذله الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عترتي في حرم الله.

وقيل في موت عبد الله بن عمر: إن الحجَّاج أتاه ليعوده فقال: لو أعلم من الذي أصابك لضربت عنقه فقال: أنت أصبتني، قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله (عَزَّوَجَلَّ) السلاح وكان الحجاج قد قتل ابن الزبير ثم صعد المنبر فقال: إن ابن الزبير أشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وغير كتاب الله فقال ابن عمر: كذبت، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: لولا أمير المؤمنين لفعلت وفعلت، فمر رجل من أهل الشام بحربة، فأرسلها على رجله قال، فمر به الحجاج فقال: من فعل بك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أنت، قال: لا والله، قال ابن عمر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:

إن الله (عَزَّوَجَلَّ) لم يحل هذا الحرم لأحد قبلي وإنما أحل لي نصف نهار، وأنت أظهرت فيه السلاح.

فصل: ما جاء في إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وذكر ما جاء في فضل مائها وهو زمزم

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه حين كان بين أم إسماعيل بن إبراهيم وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبل إبراهيم نبي الله -صلوات الله وسلامه عليه- بأم إسماعيل وإسماعيل وهو صغير يرضعها، حتى قدم بها مكة، ومع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منه وتدر على ابنها وليس معها زاد، فعمد بها إلى دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، فوضعها تحتها، ثم توجه إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه راجعًا على دابته، فنادته أم إسماعيل وقالت: إلى من تتركني وولدي؟ قال إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إلى الله (عَزَّوَجَلَّ)، فقالت: قد رضيت بالله فرجعت أم

إسماعيل تحمل ابنها حتى قعدت تحت الدوحة، ووضعت ابنها إلى جنبها، وعلقت شنها، تشرب منها وترضع ابنها، حتى فني ماء شنها فانقطع درها، فجاع ابنها فاشتد جوعه حتى خشيت أن يموت، فقالت أم إسماعيل: لو تغيبت عنه حتى يموت ولا أرى موته، فعمدت إلى الصفا رجاء أن ترى أحدًا بالوادي، ثم نظرت إلى المروة فقالت: لو مشيت بين هذين الجبلين، فتعللت: حتى يموت الصبي ولا أراه، فمشت -ثلاث مرات أو أربعًا- ثم رجعت فرأته كما تركته، فعادت إلى الصفا، ومشت إلى المروة حتى كمل سبع مرات.

وقوله: في أعلى المسجد: أي: بين البئر وبين الصفة.

وقوله: راجعًا على دابته، أي خارجًا على دابته، فتبعت أم إسماعيل أثره حتى وافى إبراهيم بكدا.

وقوله: فاشتد جوعه، حتى نظرت إليه أمه يتشحط فخشيت أم إسماعيل أن يموت فأحزنها ذلك.

قوله: ثلاث مرات أو أربع، ولا تجيز ببطن الوادي في ذلك.

قوله: فرأته كما تركته، أي: فوجدته ينشع كما تركته فأحزنها.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: هذا كان ابتداء السعي بين الصفا والمروة.

فرجعت تطالع ابنها، فوجدته كما تركته، فسمعت صوتًا- ولم يكن معها أحد غيرها- فقالت: أسمع صوتك فأغثني إن كان عندك خير، فخرج لها جبريل (عليه السلام) فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر فظهر ماء زمزم، فخاضته أم إسماعيل بتراب ترده خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنها.

قال ابن عباس: قال أبو القاسم (ﷺ) لو تركته أم إسماعيل كان عينًا

معينًا يجري.

قال: فجاءت أم إسماعيل بشنها، فاستقت وشربت، ودرت على ابنها، جاء الطير طلبًا للماء، فبينا هي كذلك، إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام، فرأوا الطير على الماء، فأرسلوا رجلين حتى أتيا أم إسماعيل، فكلماها، ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بالماء وبأم إسماعيل، فرجع الركب كلهم حتى حيوها، فردت عليهم، وقالوا: لمن هذا الماء؟ قالت: لي، قالوا: أتأذنين لنا أن نسكن معك عليه؟، قالت؛ نعم، فبعثوا إلى أهليهم، فقدموا، فسكنوا تحت الدوح، واعترشوا عليها العرش، ومكثوا ما شاء الله، فلما استخفت جرهم بالحرم وتهاونت بحرمة البيت وأكلوا مال الكعبة الذي يهرى لها سرًا وعلانية وارتكبوا مع ذلك أمورًا عظامًا، نضب ماء زمزم وانقطع، فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصرًا بعد عصر، حتى عُبِّي مكانه، وقد كان عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي قد وعظ جرهمًا في ارتكابهم الظلم في الحرم واستخفافهم بأمر الله وخوفهم النقم وقال لهم: إن مكة بلد لا تقر ظالمًا، فالله الله قبل أن يأتيكم من يخرجكم منها خروج ذل وصغار، فتتمنوا أن تتركوا تطوفون بالبيت فلا تقدروا على ذلك، فلما لم يزدجروا ولم يعوا وعظه عمد إلى غزالين كانا في الكعبة من ذهب وأسياف قلعية كانت أيضًا في الكعبة فحفر لذلك كله بليل في موضع زمزم ودفنه سرًا منهم حين خافهم عليه، فسلط الله عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم ووليت عليهم الكعبة والحكم بمكة ما شاء الله أن تليه، وموضع زمزم في ذلك لا يعرف؛ لتقادم الزمان، حتى بوأه الله تعالى لعبد المطلب بن هاشم لما أراد الله من ذلك فخصه به من بين قريش.

قال رسول الله (ﷺ): ماء زمزم لما شرب له، وقال أيضًا (ﷺ): التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق.

وقال ابن عباس: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا مَن شراب الأبرار، قيل: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: زمزم وأمر النبي (ﷺ) أصحابه أن يفيضوا نهارًا، وأفاض في نسائه ليلاً، وطاف (ﷺ) بالبيت على ناقته، ثم جاء زمزم وقال (ﷺ): ناولوني، فنوول دلوًا، فشرب منها، ثم مضمض، ثم مجَّ في الدلو، ثم أمر بما في الدلو فأفرغ في البئر، وأن الله تبارك وتعالى -يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم، وتغور المياه غير زمزم، والتضلع براءة من النفاق.

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: والذي نفسي بيده إنها لفي كتاب الله: برّه، وشراب الأبرار، طعام طعم وشفاء سقم، وكان وهب يكثر شرب زمزم ويقول: والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت منه داء، وأحدثت له شفاء.

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: خير واديين: وادي مكة، ووادي بالهند هبط به آدم (عليه السلام) وشر واديين: وادي الأحقاف، وواد بحضرموت، وخير بئر: بئر زمزم، وشر بئر: بئر برهوت الذي يجمع فيه أرواح الكفار.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) دعا بسجل من زمزم فتوضأ ثم قال (ﷺ): انزعوا يا بني عبد المطلب، فلولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

وعن مجاهد قال: ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تريد به شفاء شفاك الله، وإن شربته لظمأ أرواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله.

وعن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في صفة زمزم فأمر بدلو فنُزعت له من البئر، فوضعها على شفة البئر، ثم وضع يده من تحت عراقي

الدلو ثم قال (ﷺ): بسم الله، ثم كرع فيها فأطال، ثم أطال، فرفع رأسه، فقال (ﷺ): الحمد لله، ثم عاد فقال (ﷺ): بسم الله، ثم كرع فيها فأطال -وهو دون الأول- ثم رفع رأسه فقال (ﷺ): الحمد لله، ثم كرع فيها، فقال (ﷺ): بسم الله، فأطال -وهو دون الثاني- ثم رفع رأسه، فقال (ﷺ): الحمد لله، ثم قال (ﷺ): علامة ما بيننا وبين المنافقين لم يشربوا منها قط حتى يتضلعوا.

وعند كعب أنه قال لزمزم: إنا نجد: مضنونة، ضنَّ بها لكم، وأول من سُقي ماءها إسماعيل (عليه السلام) طعام طعم وشفاء سقم.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: بلغني أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وأن ماءها يذهب بالحمى والصداع، وأن الاطلاع فيها يجلو البصر، وأنه سيأتي عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات.

قال أبو سعيد: يقال: إن ماء زمزم تطاول على المياه فقُمِعَ بماء أبي قبيس، فإذا ظهر ماء أبي قبيس على زمزم كثرت ملوحته، وإذا ظهر ماء زمزم كثرت عذوبته.

فصل: ذكر ما كان عليه ذرع البيت حتى صار إلى ما هو عليه اليوم من خارج وداخل

بنى إبراهيم خليل الرحمن الكعبة، فجعل طولها في السماء تسع أذرع، وطولها في الأرض ثلاثيْن ذراعًا، عرضها في الأرض: اثنتين وعشرين ذراعًا، وكان غير مسقف على عهد إبراهيم (عليه السلام) ثم بنته قريش في الجاهلية، والنبي (ﷺ) يومئذ غلام، فزادت في طولها في السماء تسع أذرع أخرى، فكانت في السماء ثماني عشرة ذراعًا وسقفوها ونقصوا من طولها في الأرض ست أذرع وشبرًا وتركوها في الحجر، واستقصرت دون قواعد إبراهيم (عليه السلام) فجعلوها

ربضًا في بطن الكعبة، فبنوا عليها حين قصرت النفقة بهم، وحجزوا الحجر لئلا يطاف من ورائه، ولم يزل على ذلك حتى زمن عبد الله ابن الزبير فهدم الكعبة، وردها إلى قواعد إبراهيم، وزاد في طولها في السماء تسع أذرع أخرى على بناء قريش، فصارت سبعًا وعشرين ذراعًا، وأوطأ بابها الأرض، وفتح في ظهرها بابًا آخر مقابل هذا الباب، ثم قتل الحجاج ابن الزبير في الكعبة، ففعل وردها إلى قواعد قريش التي استقصرت في بطن البيت، وكبسها بما فضل من حجارتها، وسد بابها الذي في ظهرها، ورفع الذي في وجهها والذي هو عليه اليوم من الذرع.

فصل: ذكر تاريخ البيت وفضل ما حوله، وما جاء في الحجر الأسود والركن والمقام والحجر

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كان البيت قبل هبوط آدم (عليه السلام) ياقوتة من يواقيت الجنة، وكان له بابان من زمرد أخضر، باب شرقي، بابي غربي، وفيه قناديل من الجنة، البيت المعمور الذي في السماء السابعة يدخله، كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

وروي أن سفينة نوح (عليه السلام) طافت بالبيت سبعًا، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه، وبقى أساسه، وبوَّأه الله (عز وجل) لإبراهيم (عليه السلام) فبناه بعد ذلك، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

وذكر ابن جريج (رضي الله عنه) في حديثه أنه لما كان الغرق رفع الله عزت قدرته إليه البيت، واستودع الركن أبا قبيس، حتى إذا كان بناء إبراهيم (عليه السلام) نادى أبو قبيس إبراهيم فقال: يا إبراهيم هذا الركن، فجاء فحفر عنه فجعله في البيت.

وعن الزهري أنه قال: وجد حجرًا في أساس البيت مكتوب في جوانبه الأربعة، فأرادوا قراءته فلم يجدوا أحدًا يقرؤه حتى جاء حبر من أحبار اليمن فقرأه، فإذا في جانبه: أنا الله ذو بكة، حرمتها يوم خلقت السماوات والأرضين، ووضعت هذين الجبلين يوم وضعت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، مبارك لأهلها في اللحم والماء -وقال آخرون: في اللحم واللبن-.

وفي الجانب الآخر: هذا بيت الله الحرام، يأتيه رزقه من ثلاثة سبل، أهله أول من يستحله.

وفي الجانب الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا، قدرت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وقدرته له، وويل لمن خلقته للشر وقدرته له.

ويقال: إنه مكتوب في أسفل المقام: إني أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السماوات والأرضين، ويوم وضعت هذين الجبلين، وحففتهما بسبعة أملاك حنفاء وكان آدم (عليه السلام) يطوف بالبيت سبعة أسابيع بالليل، وخمسة أسابيع بالنهار، فقال آدم: يا رب اجعل لهذا البيت عمَّارًا يعمرونه من ذريتي، فأوحى الله (عز وجل) إليه: إني معمره بنبي من ذريتك اسمه إبراهيم، أتخذه خليلًا، أقضي على يديه عمارته، وأنيط له سقايته، وأريه حِله وحرمه وحواقفه، وأعلِّمه مشاعره ومناسكه، فإذا فرغ من بنائه نادى: يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتًا فحجّوه، فأسمع من بين الخافقين، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إن آدم (عليه السلام) سأل ربه (عز وجل) فقال: يا رب أسألك مَنْ حج هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئًا أن تلحقه بي في الجنة، فقال الله تعالى: يا آدم من فات في الحرم لا يشرك بي شيئًا بعثته آمنًا يوم القيامة.

وقال (صلى الله عليه وسلم): إن حول الكعبة لقبور ثلاثمئة نبي، وإن ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود لقبور سبعين نبيًا -صلوات الله عليهم أجمعين وكل نبي

من الأنبياء إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم فأتى الكعبة فعبد الله حتى يموت.. وروي أن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن (ﷺ) شكا إلى ربه حر مكة، فأوحى الله (عز وجل) إليه: إني أفتح لك بابًا من أبواب الجنة في الحجر، يجري عليك منه الروح إلى يوم القيامة.

وروي: أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه). أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جئت؟ قالوا: من أين جئت يا أمير المؤمنين؟ قال: ما زلت قائمًا على باب الجنة وكان قائمًا تحت الميزاب يدعو الله عنده.

وقال (ﷺ): إن الركن اليماني باب من أبواب الجنة، وما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجيب له، وقال رسول الله (ﷺ) أيضًا في الركن اليماني: وكَّل الله به سبعين ملكًا. وقال (ﷺ) ما مررت بالركن اليماني قط إلا وجدت جبريل قائمًا عنده يقول: يا محمد استلم وقال (ﷺ): إن خير البقاع وأقربها من الله: ما بين الركن والمقام، الركن يمين الله في الأرض، يصافح به عباده كما يصافح أحدكم أخاه، وقال رسول الله (ﷺ): ليبعثن الله الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق، وقال (ﷺ): إنه لم يبق في الأرض شيء من الجنة غير هذا الحجر، ولولا ما مسه أنجاس المشركين ما استشفى به ذو عاهة إلا برأ، وعن مجاهد قوله: من وضع يده على الركن اليماني يدعو إلا استجيب له وبلغني أنه بين الركن اليماني والركن الأسود سبعون ألف ملك لا يفارقونه، هم هنالك منذ خلق الله سبحانه البيت.

فصل: ذكر المقام وأول أمره، وكيف كان، وردُّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المقام إلى موضعه الذي هو عليه الآن

وأما المقام فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ (البقرة:

١٢٥)، صعد إبراهيم (عليه السلام) المقام حيث أمر بالدعوة لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ (الحج: ٢٧)، وقال: إبراهيم وأين يبلغ كلامي؟ فقال تعالى: عليك النداء، وعليّ البلاغ، فصعد وقال أي إبراهيم (عليه السلام): إن الله تعالى كتب عليكم الحج -وأذن الله (عز وجل) للمقام حتى صار مثل جبل أبي قبيس- فأجابه من في أصلاب الرجال، ومن في أرحام النساء فمن أجاب مرة واحدة من التلبية، فيحج حجة واحدة، ومن أجاب مرتين فإنه يحج حجتين، وكذلك ثلاثًا وأربعًا، فلما ثقل عليه الوحي خالف بين قدميه وكان أثر قدمي إبراهيم (عليه السلام) مغموسًا في المقام وأصابع إحدى رجليه عند عقب الأخرى.

وجاء السيل من باب بني شيبة، وكان يعرف بباب السيل، وكانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة الكبير قبل أن يردم عمر الردم الأعلى، وكان يقال لهذا الباب: باب السيل، قال: كانت السيول ربما دفعت المقام عن موضعه وربما نحته إلى وجه الكعبة، حتى جاء سيل في خلافة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) يقال له: سيل أم نهشل -وإنما سُمِّي بأم نهشل: أنه ذهب بأم نهشل ابنة عبيدة بن أبي أحيحة سعيد بن العاص فماتت فيه -فاحتمل المقام من موضعه هذا فذهب به حتى وجد بأسفل مكة، فأُتي به فربط إلى أستار الكعبة في وجهها وكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأقبل عمر مذعورًا فزعًا فدخل بعمرة في شهر رمضان وقد غبي موضعه، وعفاه السيل، فدعا عمر بالناس فقال: أنشد الله عبدًا عنده علم في هذا المقام، فقال المطلب بن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك، فقد كنت أخشى عليه هذا، فأخذت قدره من موضعه إلى الركن، ومن موضعه إلى باب الحجر، ومن موضعه إلى زمزم بمقاط، وهو عندي في البيت، فقال له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فاجلس عندي، وأرسل إليها، فأتي بها، فمدها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا، فسأل الناس فشاورهم فقالوا: نعم، هذا موضعه، قال: فلما

استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأعلم ببناء ربضة تحت المقام، ثم حوله، فهو في مكانه هذا إلى اليوم، وردم عمر الردم الأعلى بالصخر وحصنه وقال ابن جريج: ولم يعله سيل بعد عمر (رضي الله عنه) حتى الآن.

فصل: ذكر ذرع المقام وما جاء في منبر مكة

ذرع المقام ذراع، والمقام مربع سعة أعلاه أربع عشرة إصبعًا في أربع عشرة إصبعًا، وكذلك من أسفله، وفي طرفيه من أعلاه وأسفله طوقا ذهب وفي الحجر سبعة أصابع، وعرض حجر المقام من نواحيه إحدى وعشرون إصبعًا، والقدمان داخلتان في الحجر، وبين القدمين من الحجرة إصبعان.

وأول من خطب بمكة على المنبر: معاوية بن أبي سفيان، قدم به من الشام حين حج في خلافته وكان منبرًا صغيرًا ثلاث درجات والخطابة قبل وقوفًا على الأقدام في وجه الكعبة ولما حج هارون الرشيد أهداه والي مصر موسى ابن عتيق منبرًا عظيمًا في تسع درجات منقوش وجاء الواثق في حجته بثلاثة منابر، واحد بمكة، والثاني بمنى، والثالث بعرفة.

فصل: في ذكر جبال مكة حرسها الله تعالى، فضل المقام بمكة حرسها الله، ومجاورة البيت الحرام والموت فيه

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣) قال: طارت لعظمته ستة أجبل، فوقع ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة: أحد، وطى، ورضوى، ووقع بمكة: ثور، وثبير وجراء.

وقال (صلى الله عليه وسلم): من مات في حج أو عمرة لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: أدخل الجنة، وقال (صلى الله عليه وسلم): من مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا وروي عن

رسول الله (ﷺ) أنه قال: من أدرك شهر رمضان بمكة، فصامه كله، وقام فيه بما تيسر، كتبه الله له بمئة ألف شهر رمضان لغيرها، وكان له بكل يوم مغفرة وشفاعة وبكل يوم حملان فرس في سبيل الله.

وقال (ﷺ): من صلى في المسجد الحرام ركعتين فكأنما صلى في مسجدي ألف ركعة، ومن صلى في مسجدي صلاة كانت أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان.

أما عن استلام الركن الأسود واليماني فقد قال (ﷺ) استلامهما يحط الخطايا حطًا.

وعن الحسن البصري قال: ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة ترفع فيها الحسنات من أنواع البر، بكل واحدة مئة ألف ما يرفع من مكة.

قال: ثم ما أعلم من بلدة أنه يكتب لمن يتصدق فيها بدرهم واحد بمئة ألف، ما يكتب بمكة.

قال: ثم ما أعلم من بلدة على وجه الأرض فيها شراب الأخيار، ومصلى الأبرار إلا بمكة، قيل لابن عباس: ما مصلى الأبرار؟ قال: تحت الميزاب، فقيل: ما شراب الأخيار؟ قال: ماء زمزم، قال: ثم ما أعلم على وجه الأرض بلدة أن يكون في مسه ذلك تكفير الخطايا وانحطاط الذنوب كما ينحط الورق من الشجر إلا بمكة وهو استلام الركن الأسود واليماني، وقد روي في ذلك حديث عن رسول الله (ﷺ) قال: استلامهما يحط الخطايا حطًا.

قال: ثم ما أعلم على وجه الأرض بلدة يصلي فيها أحد حيث أمر الله ورسوله إلا بمكة ثم قال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ (البقرة: ١٢٥) قال: ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض أنه إذا دعا أحد بدعاء أمَّن له الملائكة فتقول:

آمين، إلا بمكة حول البيت الحرام.

قال: ثم ما أعلم من بلدة على وجه الأرض أنه يكتب لمن نظر إلى الكعبة من غير طواف ولا صلاة عبادة الدهر وصيام الدهر إلا بمكة.

قال: ثم ما أعلم أنه ينزل في الدنيا ببلد كل يوم رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة، ويقال: إن ذلك كله للطائفين.

قال: ثم ما أعلم على وجه الأرض بلدة يوجد فيها من الأعوان على الخير بالليل والنهار ما يوجد بمكة، فلنومك بالليل والنهار وإفطارك بالنهار يومًا واحدًا في حرم الله أرجى عندي وأفضل من عبادة الدهر وقيامه في غيرها.

قال: ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض يحشر منها الأنبياء والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصلحاء من الرجال والنساء ما يحشر من مكة، يقال: إنهم يحشرون من مكة وهم آمنون.

قال: ثم إنه يستجاب الدعاء بمكة في خمسة عشر موضعًا: أولها الملتزم، وتحت الميزاب، وحول البيت في الطواف، وعند الركن الأسود، والركن اليماني، وخلف المقام، ومنى وعرفات، والمزدلفة، والجمرات، وفي جوف الكعبة، وعلى الصفا والمروة، والدعاء في جوف الحرم مستجاب، وزمزم.

قال: فاغتنم هذه المواضع التي تُرجى فيها المغفرة، واجتهد فيهن بالدعاء، فإنك إن حرمت منها ذهبت منك هذه المواضع كلها، فاعمل في ذلك.

عن وهب بن منبه قال: مكتوب في التوراة: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يبعث يوم المحشر ملائكة من ملائكته المقربين، بين كل واحد منهم سلسلة من ذهب إلى البيت الحرام، فيقول لهم: اذهبوا إلى البيت فزموها بهذه السلسلة، ثم قودوها إلى المحشر، قال: فيأتونها فيزمونها سبعمئة ألف سلسلة من ذهب،

ثم يمدونها، وملك ينادي وهو يقول: سيري يا كعبة الله إلى المحشر بأمر الله، قال: والكعبة يومئذ لها عينان ولسان وشفتان، قال: فتنادي فتقول: إن لي إلى الله شفاعة وطلبة، فلست بسائرة حتى أعطاها، فينادي ملك من جو السماء سلى، فتقول الكعبة: يا رب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي من المؤمنين، فيقول الله (عَزَّوَجَلَّ) قد أعطيت سؤلك قال: فيحشر كل موتى مكة من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمون، فيجتمعون حول الكعبة يلبون.

ثم تقول الملائكة: سيري يا كعبة الله، فتقول: لست بسائرة حتى أعطى سؤلي، فينادي ملك من جو السماء سلي تُعْطَىْ، فتقول الكعبة بأعلى صوتها: يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إليَّ من كل فجٍّ عميق على كل ضامر، شعثًا غبرًا، تركوا الأهلين والأولاد والأحباب، وخرجوا شوقًا إليَّ زائرين، مسلمين طائعين لك سيدي، حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم، فأسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر، فشفعني فيهم، واجمعهم حولي.

قال فينادي الملك: فإن منهم من ارتكب الذنوب بعدك، وأصروا على الكبائر حتى وجبت لهم النار، قال فتقول الكعبة: إنما أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظام.

فيقول الله (عَزَّوَجَلَّ): قد شفعتك فيهم، وأعطيتك سؤلك، قال: فينادي منادي من جو السماء: ألا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس، فيعتزلون، فيجمعهم الله (عَزَّوَجَلَّ) حول البيت الحرام بيض الوجوه، آمنين من النار، يطوفون، ويلبون ثم ينادى ملك من جو السماء: ألا يا كعبة الله سيري، فتقول الكعبة: لبيك لبيك، والخير بين يديك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد لك، والنعمة لك، والملك لك، لا شريك لك، ثم يمدونها إلى المحشر. وروي أن الكعبة تتكلم وتنزل يوم القيامة فتقول: ائذن لي يا رب في زيارة قبر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال:

فيؤذن لها فإذا جاءت إلى قبر رسول الله (ﷺ) تقول لرسول الله (ﷺ): لا تهتم لثلاثة فإني أشفع لهم: من طاف بي، ومن خرج من البيت ولم يصل إليّ، من اشتهى أن يقصدني فلم يجد سبيلاً إلى ذلك.

وقف النبي (ﷺ) على ثنية المقبرة فقال: يبعث الله (عز وجل) من هذه البقعة، ومن هذا الحرم كله سبعين ألفًا، وجوههم كالقمر ليلة البدر.

قال أبو بكر: يا رسول الله من هم؟

قال (ﷺ): الغرباء.

فصل: ذكر حنين السلف إلى مكة بيت الله

كان ابن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله (ﷺ) يقول:

يا حبذا مكة من وادي ... بها أمشي بلا هادي
بها أهلي وعوادي ... بها ترسخ أوتادي

دخلت أم المؤمنين عائشة على بلال وقالت: كيف تجدك؟ فرفع عقيرته ثم قال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفج وحولي إذخر وخليل
وهل أرِدَنّ يومًا مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

ثم دخلت (رضي الله عنها) على النبي (ﷺ) فذكرت ذلك له فقال (ﷺ): اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك (عليه السلام) دعاك لأهل مكة، وأنا أدعوك لأهل المدينة بمثل ما دعاك به إبراهيم لأهل مكة، اللهم بارك لهم في صاعهم وفي مدهم وفي تمرهم، وحببها إلينا كحب مكة وأشد، وانقل وباءها إلى حمراء والجحفة.

في فضل الطواف بالبيت ودخوله والنظر إليه

وما جاء في حجه والصلاة في المسجد الحرام

طاف آدم (عليه السلام) بالبيت، فصافحته الملائكة وسلمت عليه وقالت: بِرَّ حجك يا آدم، طف بهذا البيت، فإنا قد طفنا قبلك بألفي عام، فقال لهم آدم: ماذا كنتم تقولون؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال آدم: وأنا أزيد: ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم حج إبراهيم (عليه السلام) بعد بنائه البيت، فسلمت عليه الملائكة فقال لهم: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ فقصوا عليه ما كان بينهم وبين آدم (عليه السلام) فقال إبراهيم: فزيدوا فيها: العظيم فقالت الملائكة ذلك، وعن ابن عمر أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: من طاف بالبيت سبعًا وأحصاه وركع ركعتين كان له كعدل رقبة نفيسة من الرقاب.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من طاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين، وشرب ماء زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت.

وروي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: لا يطوف أحد طوافًا يحصيه إلا كان كعدل رقبة، ولا يرفع رجلاً ولا يضع أخرى إلا كتبت له بها حسنة ورفع له بها درجة وحط بها سيئة.

وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: من أحصى أسبوعًا فله عتق رقبة، ومن رفع قدمًا ووضع أخرى كتبت له بها حسنة وحط عنها بها سيئة ورفع لها بها درجة.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من طاف بالبيت سبعًا،

وصلى خلف المقام ركعتين، وشرب ماء زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ويغفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت: طواف بعد صلاة الفجر يكون فراغه عند طلوع الشمس، وطواف بعد صلاة العصر يكون فراغه مع غروب الشمس، وقال رسول الله (ﷺ): من طاف حول البيت سبعًا في يوم صائف شديد حره حاسرًا، واستلم الحجر في كل طوفة من غير أن يؤذي أحدًا، وقل كلامه، إلا بذكر الله (عَزَّ وَجَلَّ) كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة، ومُحي عنه سبعون ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف درجة ويعطيه الله سبعين ألف شفاعة، إن شاء في أهل بيته من المسلمين، وإن شاء في العامة، وإن شاء عُجّلت له في الدنيا وإن شاء أخرت له في الآخرة.

وقال (ﷺ): الكعبة محفوفة بسبعين ألفًا من الملائكة، يستغفرون لمن طاف بها ويصلون إليها.

وقال رسول الله (ﷺ): استكثروا من هذا الطواف قبل أن يحال بينكم وبينه، وكأني أنظر إلى رجل من الحبشة أصيلع أفيدع جالس عليها يهدمها حجرًا حجرًا.

قال رسول الله (ﷺ): من نظر إلى البيت إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويحشر يوم القيامة في الآمنين.

وقال رسول الله (ﷺ): من صلي في المسجد الحرام في جماعة صلاة واحدة كتب الله له ألفي ألفي صلاة، وخمسمئة ألف صلاة.

وقال (ﷺ): الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوا أعطوا، وإن دعوا أجيبوا، وإن

أنفقوا أخلف عليهم بكل درهم ألف درهم، والذي نفسي بيده ما أهل مهلٌّ، ولا كبر مكبر إلا أهل بتهليله، وكبر بتكبيره ما بين يديه حتى ينقطع التراب.

وفي حديث آخر فقال رجل: يا رسول الله وأنى هذه المضاعفة؟ قال (ﷺ): أما والذي نفسي بيده، أما نفقاتهم فيخلفها الله لهم في الدنيا قبل أن يخرجوا منها، وأما الألف ففي الآخرة، والذي بعثني بالحق للدرهم الواحد أثقل من جبلكم هذا -وأشار إلى أبي قبيس-.

وقال رسول الله (ﷺ): من جلس مستقبل الكعبة ساعة واحدة محتسبًا حبًا لله ولرسوله وتعظيمًا للقبلة كان له أجر الحاج والمعتمر، والمجاهد في سبيل الله والمرابط الصائم القائم، وأول من ينظر الله إليه من عباده إلى أهل الحرم، فمن رآه طائفًا غفر له، ومن رآه جالسًا مستقبل الكعبة غفر له.

وقال رسول الله (ﷺ): إذا كان يوم عرفة بالموقف يفتح الله (عز وجل) أبواب السماء فيباهي بهم الملائكة فيقول لهم: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا، جاؤني من كل فج عميق، يرجون مغفرتي، قد غفرت لهم جميعًا، وأفيضوا عبادي كلكم مغفورًا لكم، مشفعين فيمن شفعتم، فلو كانت ذنوبكم مثل عدد الرمال، أو كانت ذنوبكم مثل عدد القطر يغفرها الله لكم.

وقال رسول الله (ﷺ): من حج حجة الإسلام، وطاف طواف الزيارة، فإنه يطوف يومئذ ولا ذنب له، يأتيه ملك فيضع يده بين كتفيه ويقول: أعمل لما يستقبل، قد كفيت ما مضى. وقوله: «فإنه يطوف يومئذ ولا ذنب له: هو طرف من حديث أنس بن مالك الطويل بنحو حديث عمر المتقدم وفيه: فقال الثقفي: يا رسول الله أرأيت إن كانت ذنوبي أقل من ذلك؟ قال: ينخر لك في حسناتك، قال (ﷺ): وأما طوافك بالبيت بعد ذلك (يعني الإفاضة) فإنك تطوف ولا ذنب

لك، يأتي ملك حتى يضع كفه بين كتفيك.

وروي مسندًا عن النبي (ﷺ) أنه قال: إذا حج المسلم ولم يقبل منه يحط عنه وزر سبعين سنة، قيل: يا رسول الله فإن لم يكن وزر سبعين سنة؟ قال: يحط عن أبويه، قيل: فإن لم يكن؟ قال: عن أهل بيته.

وقال (ﷺ): إن للحاج بكل خطوة يخطوها سبعمئة حسنة من حسنات الحرم، قالوا: يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة الواحدة بمئة ألف حسنة.

وقال (ﷺ) لو أن الملائكة صافحت أحدًا لصافحت الغازي في سبيل الله، والبار بوالديه، والطائف ببيت الله الحرام. وهذا من حديث عبد الله بن عمرو: إذا بلغ الحاج أنصاب الحرم تلقتهم الملائكة على جنبتي الحرم، فأشاروا على الجمالة، وصافحوا البغالة، واعتنقوا الرجالة اعتناقًا. وقال (ﷺ): الطواف بالبيت خوض في رحمة الله من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة.

وقال (ﷺ): «إن الله (عز وجل) ليباهي بالطائفين ملائكته».

وقال (ﷺ): «ما من عمل أفضل من حج مبرور».

وقال (ﷺ): «الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة».

وقال (ﷺ): من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه.

وقال (ﷺ): «خلق الله (عز وجل) لهذا البيت عشرين ومئة رحمة ينزلها في كل يوم، ستون منها للطائفين وأربعون للمصلين وعشرين للناظرين.

وقال (ﷺ): جهاد الكبير والضعيف وجهاد المرأة: الحج والعمرة.

فصل: ذكر اعتناء السلف بحج البيت وعدم تركهم له

رجا علي بن الموفق ربه وهو راجع من الحج ألا يجعل هذه الحجة آخر عهده بالبيت الحرام، وأنه حج ستين حجة وسأل الله أن يقسم ثوابها على محمد (ﷺ) وخصمائه ووالديه، وله ولجميع المؤمنين، فغلبه النوم عند راحلته فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: يا علي بن الموفق أعلي تتسخَّى وأنا خلقت السخاء، إني أشهدك وأشهد ملائكتي أني قد غفرت لجميع أمة محمد، فانتبه وبكى ثلاثة أيام وهو يقول: يا واسع المغفرة اغفر لنا برحمتك وكان عمر بن العزيز إذا وقف بعرفة يطلب المنفعة ويقول: أن تؤتيني في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وأن تقيني عذاب النار، فلما نظر إلى مجتمع الناس قال: اللهم زد في إحسان محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وراجع بمسيئهم إلى التوبة، وحط من أوزارهم بالرحمة.

قال ابن عيينة هكذا يكون الداعي وهو يدعو لأهل رعيته.

فصل: في ذرع المسجد الحرام وصفة باب وعَتبة الكعبة وذرع الكعبة من الداخل

مكسرًا: مئة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع، ذرع المسجد من باب بني جمع إلى باب بني شيبة طولاً: أربعمئة ذراع وأربع أذرع، وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدار الذي يلي الوادي: ثلاثمئة ذراع وأربع أذرع، وذرع عرض المسجد الحرام من المنارة التي عند المشعر إلى المنارة التي بباب شيبة، مئتان وثمان وسبعون ذراعًا، وذرع عرض المسجد من منارة باب أجياد إلى منارة بني سهم: مئتان وثماني وسبعون ذراعًا.

طول باب الكعبة في السماء: ست أذرع وعشر أصابع، وعرض ما بين جداريه: ثلاث أذرع وثماني عشرة أصبعًا، والجدران وعتبة الباب العليا ونجاف

الباب ملبس صحائف ذهب منقوش، وفي جدار عضادتي الباب إحدى عشرة حلقة من حديد مموه بالفضة متفرقة: في كل جدار سبع حلق يشد بها جوف الباب من أستار الكعبة وعلى وسط البابين حلقتان من فضة مموه بالذهب سوى ما يقفل عليه، وفي عتبة الباب: ثمانية عشر مسمارًا منها أربعة على الباب، وأربعة عشر على وجه العتبة، والمسامير حديد، ملبسة ذهبًا، مقببة منقوشًا، تدوير كل مسمار سبع أصابع، وعود الباب ساج، وغلظه ثلاثة أصابع وعليه غلق، وعلى الحاجب كتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٩)، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩).

وطول الكعبة في السماء من داخلها إلى السقف الأسفل: ثماني عشرة ذراعًا واثنتا عشرة أصبعًا، وعرض جدار التحجير الذي فوق سطح الكعبة: ذراعان واثنتا عشرة إصبعًا، وعرض جدار التحجير كما يدور ذراع، وفي التحجير ملبن مربع من ساج في جدرات سطح الكعبة، كما يدور في حلق حديد يشد فيها ثياب الكعبة، وظهرها مشيد بالمرمر المطبوخ شيد به تشييدًا، وميزاب الكعبة في وسط الجدار الذي يلي الحجر بين الركن الشامي والركن الغربي، يسكب في بطن الحجر وذرع طول الميزاب، أربع أذرع، وسعته: ثماني أصابع، في ارتفاع مثلها، والميزاب ملبس بصفائح من ذهب، داخله وخارجه والذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك، وذرع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامي وفيه باب الكعبة: تسع عشرة ذراعًا وعشر أصابع، وذرع ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي: خمس عشرة ذراعًا، وثمانية عشر أصبعًا، وذرع ما بين الركن الغربي إلى الركن اليماني وهو ظهر الكعبة-: عشرون ذراعًا وست أصابع، وذرع ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود: ست عشرة ذراعًا وست أصابع.

فصل: في ذرع البيت من خارج، وفي الشاذِرْوان حول الكعبة والكراسي الموجودة فيها، صفة الروازن التي للضوء في سقف الكعبة

طوله في السماء: سبع وعشرون ذراعًا، وذرع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامي: خمس وعشرون ذراعًا، وذرع شقها اليمنى من الركن الأسود إلى الركن اليماني: عشرون ذراعًا وذرع شقها الذي يلي الحجر من الركن الشامي إلى الركن الغربي: واحد وعشرون وذرع جميع الكعبة مكسرًا: أربعمئة وثمانية عشر ذراعًا وللكعبة سقفان، وعدد حجارة الشاذروان التي حول الكعبة: ثمانية وستون حجرًا في ثلاثة أوجه، والذي يلي الملتزم إلى الركن الأسود: ذراعان ليس فيهما شاذروان وطول الشاذروان في السماء: سبعة عشر إصبعًا.

وعرضه ذراع، وطول درجة الكعبة التي يصعد عليها إلى بطن الكعبة من خارج إلى بطن: ثمانية أذرع واثنا عشر إصبعًا، وعرضها ثلاثة أذرع واثنا عشر إصبعًا.

وفي الكعبة ثلاثة كراسي من ساج، طول كل كرسي في السماء: ذراع ونصف والعرض: ذراع وثمانية أصابع في مثله، عليها صفائح من ذهب فوقها: ديباج وتحتها رخام المرمر، وفي سقف الكعبة أربعة روازن في الركن الغربي واليماني والركن الأسود والركن الأوسط، والروازن مربعة، أعلاها رخام يماني يدخل منه الضوء إلى بطن الكعبة.

فصل: في صفة الدرجة والجزعة وذرعها والإزار الرخام في بطن الكعبة والإزار الأعلى وفرش أرض البيت بالرخام

في الكعبة على يمينك درجة يظهر عليها إلى سطح الكعبة وهي مربعة مع جدر الكعبة في زاوية الركن الشامي، منها داخل في الكعبة، من جدرها

الذي فيه بابها ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعًا، وعرضها ذراع واثنتا عشر إصبعًا طول الدرجة في السماء من بطن الكعبة: عشرون ذراعًا وعرضها ذراع وأربع أصابع وبها ثماني كوى داخلة في الكعبة وفي الباب جزعة مقابل باب الكعبة سوداء مخططة ببياض، حولها طوق من ذهب، صلى مقابلتها النبي (ﷺ) وبطن الكعبة مؤزرة، مدارة من داخلها برخام أحمر وأبيض وأخضر وهما إزاران: إزار أسفل فيه ثمانية وثلاثون لوحًا وإزار أعلى به اثنان وأربعون لوحًا وعند باب الكعبة رخامتان: خضراء وحمراء مفروشتان.

فصل: في ذرع وعدد أساطين المسجد الحرام، عدد الطاقات وأبواب المسجد الحرام

ذرع ما بين الجدر الذي يلي الركن الأسود والركن اليماني إلى الأسطوانة الأولى أربعة أذرع واثنا عشر إصبعًا، ومثلها ما بين الأسطوانة الأولى إلى الثانية ومثلها إلى الوسطى، ومثلها إلى الثالثة، ومن الثالثة إلى جدار الحجر: ذراعان وثمانية أصابع.

من شقه الشرقي: مئة وثلاث اسطوانات والغربي: مئة وخمس اسطوانات والشامي: مئة وخمس وثلاثون اسطوانة واليماني: مئة وإحدى وأربعون اسطوانة وعلى الأبواب من كل ناحية مئة وإحدى وخمسون اسطوانة وعلى الأساطين أربعمئة وثمان وتسعون طاقة.

وعدد أبواب المسجد الحرام ثلاثة وعشرون بابًا، منها:

الأول: باب بني شيبة وهو الباب الكبير، والثاني: باب دار القوارير، والثالث: باب النبي (ﷺ) الرابع: باب العباس، الخامس: باب بني هاشم، السادس: باب بني تيم، السابع: باب أم هانئ بنت أبي طالب.

وهذه الأبواب مما يلي المسعى.

والباب الأول مما يلي أجياد الكبير، وهو يعرف بالوادي، يقال له: باب حكيم ابن حزام -ويعرف بباب الحزامية-.

والباب الثاني يعرف اليوم بباب الخياطين.

والباب الثالث باب بني جمح.

والباب الرابع باب أبي البختري بن هشام.

والباب الخامس يلي دار زبيدة.

والباب السادس باب بني سهم، وفيها باب إبراهيم الذي يذهب منها إلى العمرة، وباب الحزورة.

وفي الشق الذي يلي دار الندوة ودار العجلة -وهو الشق الشامي- وفيه: ستة أبواب:

الباب الأول: يلي المنارة التي تلي بني سهم، يعرف بباب عمرو بن العاص.

والباب الثاني: قد سُدّ وجعل في دار العجلة، وموضعه بيِّن.

والباب الثالث: باب دار العجلة.

والباب الرابع: باب قيقعان.

والباب الخامس: باب دار الندوة.

والباب السادس: أظنه يقال له: باب الأمير.

وأما الحطيم: فما بين الركن والمقام والبيت وزمزم والحجر.

والملتزم: ما بين الباب والحجر الأسود.

فصل: ذكر منى واتساعها أيام الحج وسبب تسميتها بذلك ومسجد الخيف ومسجد الكبش وقصة فداء إسماعيل

عن ابن عباس سئل في منى فقيل له: عجبًا لضيقه في غير الحج؟ فقال: إن منى ليتسع بأهله كما يتسع الرحم بالولد.

قال (ﷺ): منى مناخ من سبق، واستأذنت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رسول الله في أن تبني كنيفًا بمنى فلم يأذن لها، وعن ابن عباس: سميت منى منى لما يمنى فيها من الدماء، وعنه قال: إنما سميت منى منى لأن جبريل حين أراد أن يفارق آدم قال: تمنَّ قال: أتمنى الجنة.

وقال رسول الله (ﷺ): إذا قدمنا مكة نزلنا بالخيف والخيف: مسجد بمنى وسطه منارة قربها قبر آدم وصلى به سبعون نبيًا كلهم يخطمون بالليف وعن ابن عباس: الصخرة التي بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء إسماعيل حيث وضع إبراهيم (عليه السلام) المدية على حلق إسماعيل نودي: على رسلك هذا فداؤه، فنظر فإذا الكبش منهبط من جبل ثبير، فخلى إسماعيل، وسعى يتلقى الكبش ليأخذه فحاد عنه فلم يزل يعرض له حتى أخذه وذبحه في المنحر فسمِّي مسجد الكبش.

فصل: ذكر المسافة من منى إلى المزدلفة وحديث عبد الله بن الزبير بن العوام ومقتله (رضي الله عنهما)

من منى إلى مزدلفة: ميلان وكسر ومن أول المزدلفة فهي ثلاثة أميال ومن آخر مزدلفة إلى مسجد عرفة: ثلاثة أميال والمزدلفة كلها موقف حين فرغ ابن الزبير من بناء البيت، كساه القبطي وقال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج، فليعتمر من التنعيم وكان قد هدم البيت وبناه من أسها وأدخل الحجر في

البيت ونصب الخشب حول البيت ثم سترها ولطخ جدرها بالمسك وجعل لها بابين، واعتمر حين فرغ من الكعبة.

فصل: ذكر سبب بناء ابن الزبير البيت وما كان عليه قبل ذلك

أبطأ عبد الله بن الزبير في بيعة يزيد بن معاوية، فلحق بمكة ليمتنع بالحرم وحمل مواليه فذكر مثالب يزيد وشربه للخمر فأقسم يزيد أن لا يؤتى به إلا مغلولًا.

وطلب الناس منه أن يبر قسم أمير المؤمنين، فشاور أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت عليه أن يذهب مغلولًا وطلب منه ألا يمكن بني أمية من نفسه، فأرسل يزيد الجيوش لقتال أهل المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري الذي انتصر عليهم، ثم سار إلى مكة فمات في الطريق فتولى القيادة الحصين بن نمير فمضى إلى مكة وقاتل ابن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت الكعبة في يوم كانت رياحه شديدة، وجاء النعي بموت يزيد بن معاوية وضعفت جدران الكعبة وانتقضت من أعلاها إلى أسفلها وتناثرت حجارتها من كل جانب، فشاور ابن الزبير أشراف مكة فأشاروا عليه بهدمها وإعادة بنائها، فردها على قواعد إبراهيم وعلى ماوصف رسول الله (ﷺ) لعائشة (رضي الله عنها).

قال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة (رضي الله عنها) تقول: قال رسول الله (ﷺ): «إن قومك استقصروا في بناء البيت، وعجزت بهم النفقة فتركوا في الحجر منها أذرعًا، ولولا حداثة قومك بالكفر لهدمت الكعبة، وأعدت ما تركوا منها، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض، بابًا شرقيًا يدخل منه الناس، وبابًا غربيًا يخرج منه الناس، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ -قالت قلت: لا، - قال: تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه أن يرتقي، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط، فإن بدا لقومك هدمها فهلمي

لأريك ما تركوا في الحجر منها، فأراها قريبًا من سبع أذرع.

فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسوّاها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم، فوجدوه داخلًا في الحجر نحوًا من ست أذرع وشبر، كأنها أعناق الإبل، آخذ بعضها ببعض، كتشبك الأصابع بعضها ببعض.

قال: فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم فأشهدهم على ذلك الأساس ثم وضع البناء على ذلك الأساس، ووضع جدار الباب -باب الكعبة- على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض، وجعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة، مقابله، وجعل عتبته على الحجر الأخضر الطويل الذي في الشاذروان الذي في ظهر الكعبة قريبًا من الركن اليماني فكان البنّاء يبنون من وراء الستر، والناس يطوفون من خارج، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه فنقر في حجرين: حجر من المدماك الذي تحته، وحجر من المدماك الذي فوقه بقدر الركن، وطوبق بينهما.

فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلوا الركن في ثوبه ويضعوه في موضعه، وكان ابن الزبير حين هدم البيت جعل الركن في ديباجة، وأدخله في تابوت وأقفل عليه، ووضعه عند دار الندوة، فلما أقروه في موضعه، وطوبق عليه الحجران كبروا، ثم قال ابن الزبير: من كانت لي عليه طاعة فليخرج، فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طَوْله، وخرج ابن الزبير ماشيًا، وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكرًا لله تعالى، ولم ير يومًا كان أكثر عتيقًا، ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مئة بدنة، قال: فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير، إذا طاف الطائف استلم

الأركان جميعًا، ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الآخر وأبوابه لاصقة بالأرض، حتى قُتِل ابن الزبير ودخل الحجاج مكة، فكتب إلى عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير زاد في بيت الله ما ليس منه، وأحدث فيه بابًا آخر، فكتب إليه عبد الملك أن سُدَّ بابها الغربي الذي كان فتحه ابن الزبير، وهدم ما كان زاد فيها من الحجر، واكبسها به على ما كانت عليه، قال: فهدم الحجاج منها: ست أذرع وشبرًا مما يلي الحجر، وبناها على أساس قريش التي كانت استقصرت عليه، وكبسها بما هدم منها، وسد الباب الذي في ظهرها، وترك سائرها لم يحرك منه شيئًا.

وروي أن رسول الله (ﷺ) احتجم فأمر عبد الله بن الزبير أن يغيبه لكنه شربه، فقال له الرسول (ﷺ): لقد احتظرت بحظار شديد من النار، ولكن ويل لك من الناس، وويل للناس منك، ولما قُتِل ابن الزبير علم جميع أهل مكة بقتله لَّما شمُّوا ريح المسك، فغاظ ذلك الحجاج بن يوسف، فأمر حتى علق مع ابن الزبير كلب لتغلب رائحة الميتة ذلك، ومر بابن الزبير عبد الله بن عمر فوقف فقال: السلام عليك أبا حبيب -ثلاث مرات- ثم قال: أما والله لقد نهيتك عن هذا، أما والله ما علمتك إلا صوامًا قوامًا وصولاً للرحم، وبعث الحجاج إلى أمه أسماء لتأتينه أو ليسحبها من قرونها، فأبت حتى جاءها يسألها ما صنع بابنها عبد الله بن الزبير؟ فقالت: إنه أفسد عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، وكان يعيره بابن ذات النطاقين، فبينت أسماء بنت أبي بكر الصديق فضل النطاقين كما بيَّن رسول الله (ﷺ) لها (رضي الله عنها) فخرج الحجاج ولم يرد وقيل: لم قُتل عبد الله بن الزبير كبَّر أهل الشام، فسمعها عبد الله بن عمر فقال: لئن كبَّر القتلة، لقد قدمنا المدينة مع رسول الله (ﷺ) فقالت اليهود: قد سحرنا أصحاب محمد (ﷺ) فليس يولد لهم، فكان أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير، فكبر المسلمون بولادته تكبيرة.

وقيل: إن عبد الله بن عمر لما نظر إلى عبد الله بن الزبير وقد صلب منكوسًا، قال عبد الله: لئن علت رجلاك، لطالما قمت بها في الصلاة.

قال: فبلغ الحجاج موقف ابن عمر وقوله: فبعث إليه فأنزله عن جذعه، فأمر به فطرح في مقبرة اليهود.

وعن بكر بن عبد الله المزني، أن يهوديًا أسلم يقال له يوسف -وكان يقرؤ الكتب، وكان صديقًا لعبد الملك- فضرب منكب عبد الملك ذات يوم، وقال: اتق الله يا ابن مروان في أمة محمد (ﷺ) إذا وليتها، قال: فدفعه وقال: ما شأني وذاك، أيكون هذا؟ قال: اتق الله في أمرهم إذا وليتهم، فجهز يزيد بن معاوية جيشًا إلى أهل مكة، فأخذ عبد الملك بقميصه فنفضه، وقال: أعوذ بالله، أعوذ بالله، أتبعث إلى حرم الله؟! فضرب يوسف منكبه وقال: ما تنفض قميصك!! جيشك إليهم أعظم من جيش يزيد بن معاوية.

وعن نافع قال: رأيت ابن عمر رافعًا يديه إلى السماء وهو يقول: اللهم إني لا أرضى بما يصنع الحجاج.

وقال ابن عمر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن العقوبة إذا نزلت عمَّت البر والفاجر، والحساب يوم القيامة على النيات.

وعن أبي العالية البراء قال: أتى ابن عمر على ابن الزبير فقال: رحمة الله عليك، أما والله ما علمتك إلا كنت صوامًا قوامًا، تحب الله ورسوله (ﷺ).

قال: فأتى رجل الحجاج فأخبره بكلام ابن عمر، فقال الحجاج: لرجل من أهل الشام: انطلق وائتني برأس ابن عمر، قال: فسكت الشامي هنيهة، ثم قال: أصلح الله الأمير، إن أذنت لي تكلمت، قال: تكلم، قال: هذا رجل أعين الناس إليه اليوم، وإني لأخشى أن تكون فتنة لا تطفؤ أبدًا قال الحجاج: فدعه.

قال: فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم، فقبلها ابن عمر، ثم تركها أيامًا، ثم أرسل إليه أن أبعث إلينا بمالنا، فقال ابن عمر: قد فرقنا بعضه، ونحن ميهؤه إن شاء الله، فأتاه الرسول فأخبره، فقال: ارجع فقل: لا حاجة لنا به.

وروى أبو يوسف: محمد بن الزبير مؤذن مسجد عسقلان، قال: حدثتني جدتي قالت: وضع الحجاج المنجنيق على الكعبة، فكانت الحجارة تخرج يمينًا وشمالاً لا تصيبه، حتى جاء يهودي فقال: لا تصيبوه حتى تلطخوه بالعذرة والجيف، فرموه بها فأصابوه بعد ذلك.

وروى أبو حفص المكي، عن المرتفع قال: لما وضع الحجاج المنجنيق على ابن الزبير سمعت بالبيت أنينًا كأنين الإنسان: آه، آه.

وروى محمد بن كثير الصنعاني (رحمه الله)، عن جده عبد الرحمن ابن أبي عطاء: أنه شهد فتنة ابن الزبير، فاشتغل الناس عن الطواف، فجاء جمل فجعل يطوف بالبيت حتى طاف سبعًا.

باب: ذكر الهجرة وحديث الغار

روي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: بينا نحن جلوس في بيت أبي بكر (رضي الله عنه) وقت الظهيرة، إذ جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) مقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت وأمي، قال: فإنه قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نعم، قالت عائشة (رضي الله عنها) فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ولما خرج أبو بكر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متوجهًا إلى الغار جعل يمشي طورًا أمامه وطورًا خلفه وطورًا عن يمينه وطورًا عن شماله، قال (صلى الله عليه وسلم): ما هذا

من فعالك يا أبا بكر قال: يا رسول الله صلى الله عليك بأبي وأمي أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك، وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك، وأحفظ الطريق يمينًا وشمالاً فقال (ﷺ): لا بأس عليك يا أبا بكر إن الله معنا، وكان رسول الله (ﷺ) حافيًا فحمله أبو بكر حتى انتهى إلى الغار وأراد النبي (ﷺ) أن يدخل أولاً وأقسم أبو بكر ليدخله قبله فيستبرئه، ودخل وجعل يتلمس بيده في ظلمة الليل الغار مخافة وجود شيء يؤذي رسول الله (ﷺ) فلما لم ير شيئًا دخل النبي (ﷺ) فكانا فيه، فلما أسفر بعض الإسفار رأى أبو بكر خرقًا في الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن تخرج منه هامة أو ما يؤذي رسول الله (ﷺ) يقول أبو بكر: إنهما ارتحلا من مكة حتى أظهرا، فنظر باحثًا عن الظل ليأويا إليه فوجد صخرة لها ظل فنظفها لرسول الله (ﷺ) ثم سأله أن يضطجع، ثم ذهب ليرى هل من الطلب أحدًا؟ فرأى راعي غنم يسوقها إلى الصخرة ليستظل بها، فسأل أبو بكر الغلام عن لبن فحلب كثبة من لبن، فانتظر أبو بكر حتى برد اللبن فأتى به رسول الله (ﷺ) وقد استيقظ فقال أبو بكر: اشرب يا رسول الله (ﷺ) فشرب حتى روي وشربت حتى رويت.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: لا تحزن إن الله معنا، فلما دنا وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب يا رسول الله قد لحقنا، وبكيت فقال: ما يبكيك؟ قلت: أما والله ما أبكي على نفسي، ولكن أبكي عليك، فدعا عليه رسول الله (ﷺ)، فقال: اللَّهُمَّ اكفناه بما شئت، قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها وقال: يا محمد قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمينّ على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي

فخذ منها سهمًا فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله (ﷺ): لا حاجة لنا في إبلك، ودعا له رسول الله (ﷺ)، فانطلق راجعًا إلى أصحابه.

ومضى رسول الله (ﷺ) وأنا معه حتى أتينا المدينة ليلاً فتنازعه القوم أيهم ينّزل عليه، فقال رسول الله (ﷺ): إني أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، فخرج الناس حتى قدمنا المدينة، وفي الطريق وعلى البيوت الغلمان والخدم، ويقولون: جاء محمد، جاء رسول الله (ﷺ)، الله أكبر، جاء محمد، جاء رسول الله، فلما أصبح انطلق حتى نزلت حين أُمر.

قال: وكان رسول الله (ﷺ) قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة، فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ (البقرة: ١٤٤) فوجه نحو الكعبة، فقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢) وكان صلى مع النبي (ﷺ) رجل فخرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار وهم ركوع في العصر نحو بيت المقدس فقال: أشهد أنه صلى مع رسول الله (ﷺ)، وأنه قد توجه نحو الكعبة.

فقال البراء بن عازب: وكان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ابن هاشم أخو بني عبد الدار بن قصي، قلنا له: ما فعل رسول الله (ﷺ)؟ قال: هو مكانه وأصحابه على أثري، ثم أتانا بعده عمرو ابن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، فقلنا له: ما فعل من وراءك؟ قال: رسول الله (ﷺ) وأصحابه؟ قال: هم على أثري، ثم أتانا بعده عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود،

وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في عشرين راكبًا، ثم أتانا بعدهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر معه، قال البراء: فلم يقدم علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى قرأت سورًا من المفصل، ثم خرجنا نلقى العير فوجدناهم قد حذروا.

روى مجاهد، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان أبو بكر (رضي الله عنه) مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الغار، فعطش أبو بكر عطشًا شديدًا، فشكا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): اذهب إلى صدر الغار فاشرب.

قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك، ثم عدت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: شربت؟ فقلت: شربت يا رسول الله، قال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى فداك أبي وأمي يا رسول الله، قال: إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنان: أن اخرق نهرًا في جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر.

قال أبو بكر: ولي عند الله هذه المنزلة؟ قال: نعم وأفضل، والذي بعثني بالحق نبيًا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيًا.

فصل: حديث أم معبد الخزاعية وفيه: وصف حلية النبي (صلى الله عليه وسلم)

عن أبي معبد الخزاعي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبا بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط مروا على خيمة أم معبد ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة فسألوها تمرًا ولحمًا ليشتروه، وإذا هم مرملون من نفاد الزاد فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر النبي (صلى الله عليه وسلم) فوجد شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال (صلى الله عليه وسلم) أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فمسح النبي (صلى الله عليه وسلم) ضرعها وذكر اسم الله وقال (صلى الله عليه وسلم): اللهم بارك لها في شاتها، فتفاجت، ودرت فاجترت، فدعا بإناء فحلب فيه ثجًا حتى علت الثمال، فسقاها فشربت حتى

رويت وكذلك أصحابه، وشرب (ﷺ) آخرهم وقال (ﷺ) ساقي القوم آخرهم شربًا ثم حلب ثانيًا عودًا على بدء، فغادره عندها ثم ارتحلوا، ثم جاء زوجها أبو معبد بعد مغادرة الرسول (ﷺ) بقليل يسوق أعنزًا عجافًا، يتمايلن من الهزال، مخهن قليل، لا نقي بهن فلما رأى اللبن قال: من أين لكم هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: والله إني لأراه صاحب قريش، الذي تطلب، صفيه لي يا أم معبد؟ قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة - أي ضخامة البطن-، ولم تزريه صعلة -أي صغر الرأس- وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف -أي في شعر أجفانه طول-، وفي صوته صحل -أي كالبحة-، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، كأن كلامه خرزات نظم ينحدرن منه، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، ربعة لا تشنؤه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود -أي: يعظمه أصحابه ويحفون به- لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش لو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه، ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه — رفيقين حلَّا خيمتي أمِّ معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به — فأفلح من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به — من فعال لا تجازي وسؤيد
سلوا أختكم عن شاتها — وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
أتاه بشاة حائل فتحلبت له — بصريح ضرّة الشاة مزُبد
فغادره رهنًا لديها لحالب — يدر لها في مصدر ثم مورد

قال: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه):

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم — وقد سر من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم — وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا — عمي وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله — ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غايب — فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادة جده — بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مقام فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قال أنس (رضي الله عنه): لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة أظلم فيها كل شيء، فلما دخل المدينة أضاء منها كل شيء.

قال أنس: رأيت يوم دخل عليها ويوم قبض فما رأيت يومين شبيهين بهما.

ولما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

باب: ذكر مقدم النبي (ﷺ) قباء، وبناء المسجد وفضله

لما دخل النبي (ﷺ) المدينة دعاه أشرافها إلى العز والثروة، فجعل (ﷺ) يقول: بارك الله عليكم خلوا سبيلها -أي ناقته القصواء- فإنها مأمورة حتى بركت عند باب أبي أيوب فنزل الرسول (ﷺ) في أسفل الدار، فتحرج أبو أيوب من أن يكون فوق رسول الله (ﷺ) ولم يزل به (ﷺ) حتى انتقل إلى الدور الأعلى.

ونزل رسول الله (ﷺ) على سعد بن خيثمة، وأخذ من كلثوم بن الهدم مربده، فجعله مسجده، وأسسه، وصلى فيه إلى بيت المقدس، وكان مدخله قباء يوم الاثنين وخروجه منه الجمعة، الثامن عشر من ربيع الأول.

كان بين الأوس والخزرج عداوة وكانت كل منهما تخشى أن يدخل رسول الله (ﷺ) دار الأخرى قبلها، وسأل رسول الله (ﷺ) عن أسعد بن زرارة، فقال له سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر، ورفاعة بن عبد المنذر: يا رسول الله (ﷺ) أصاب منا رجلاً يوم بعاث، فلما كانت ليلة الأربعاء جاء أسعد بن زرارة متقنعًا بين المغرب والعشاء فلما رآه رسول الله (ﷺ) قال: يا أبا أمامة جئت من منزلك إلى ما ها هنا وبينك وبين القوم ما بينكما؟ فقال أبو أمامة: لا والذي بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك في مكان إلا جئتك، ثم بات عند رسول الله (ﷺ) حتى أصبح ثم غدا فطلب رسول الله (ﷺ) من سعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر أن يجيروه فقالوا: أنت يا رسول الله (ﷺ) فأجره فجوارنا من جوارك، فقال رسول الله (ﷺ): يجيره بعضكم، فأجاره سعد بن خيثمة ثم أتيا النبي (ﷺ) مخاصرة يده في يده حتى انتهيا إلى عمرو ابن عوف ثم قالت الأوس: يا رسول الله كلنا لك جوار.

وقد أخرج البخاري في صحيحه قصة مقدمه (ﷺ) ونزوله في بني عمرو

ابن عوف في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، فساق الخبر بطوله من طريق ابن شهاب عن عروة: أن رسول الله (ﷺ) لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله (ﷺ) وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله (ﷺ) من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقبلوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر رسول الله وأصحابه مُبيّضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدُّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ﷺ) بظهر الحرة، فعدّل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله (ﷺ) صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار -ممن لم ير رسول الله (ﷺ)- يُحَيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله (ﷺ)، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله (ﷺ) عند ذلك، فلبث رسول الله (ﷺ) في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأُسِّس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله (ﷺ)، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زُرارة، فقال (ﷺ) حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله (ﷺ) الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقال: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله (ﷺ) أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله (ﷺ) ينقل معهم اللبِن في بنيانه ويقول -وهو ينقل اللبن-:

هـذا الحِمـال لا حِمـال خيبر   هــذا أبــرّ ربـنـا وأطـهـر

ويقول:

اللَّهُمَّ إن الأجـر أجـر الآخـرة   فـارحـم الأنـصـار والمـهـاجـرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمّ لي.

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا -في الأحاديث- أن رسول الله (ﷺ) تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات.

وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة انجفل الناس إليه: فأتيته فلما نظرت إليه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام.

وعن ابن عمر: أن النبي أتى قباء راكبًا وماشيًا، وعن سهل بن حنيف أن النبي (ﷺ) قال: من توضأ فأسبغ الوضوء، وجاء مسجد قباء وصلى فيه ركعتين، كان له أجر عمرة، وروي عنه (ﷺ): من أتى مسجد قباء كان له عدل رقبة، وكان (ﷺ) يأتي قباء صبيحة السابع عشر من رمضان ويصلي (ﷺ) إلى الاسطوانة الثالثة التي في الرحبة، وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، هو مسجد قباء قال الله جلت قدرته ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨) وعن عائشة بنت سعد قالت: سمعت أبي يقول: والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما فيه ليضربوا إليه أكباد الإبل.

باب: ما جاء في بناء مسجد رسول الله (ﷺ) وتوسعته بعد خيبر، وما وقع فيه من دلائل نبوته (ﷺ)

بنى رسول الله (ﷺ) مسجده ثمامات وخشبات، فطفق هو وأصحابه ينقلون اللبن ويقولون:

هـذا الحـمـال لا حمال خيبر ... هـــذا أبـــر ربـنـــا وأطـهـــر

ويقول رسول الله (ﷺ):

اللهم لا خير إلا خير الآخرة ... فـارحـم الأنـصـار والمـهـاجـرة

وكان المسجد مربدًا لسهل وسهيل، غلامين يتمين فاشترى الرسول (ﷺ) منهما، وكان رسول الله (ﷺ) يحمل اللبن ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فـاغـفـر لـلأنـصـار والمـهـاجـرة

فلقيه أُسيد بن حضير فقال: أعطنيه يا رسول الله (ﷺ) فقال (ﷺ): اذهب فاحمل أنت، فلست بأفقر مني إلى الله.

ولما أراد بناءه قيل له: عريش كعريش موسى سبع أذرع فقال (ﷺ) ثمام وخشبات، إن الأمر أعجل من ذلك- وظلة كظلة موسى، فقيل: وما ظلة موسى؟ قال (ﷺ) إذا قام أصاب رأسه السقف.

ولما كثر المسلمون، سألوه (ﷺ) أن يزيد؟ فقال (ﷺ) نعم، فأمر فزيد فيه ثم اشتد عليهم الحر فطلبوا الظلل فقال (ﷺ) نعم فأقيمت السواري وطرحت عليه خصف الأوادي وإذخره، وأرادو تطيينه حماية من المطر، فرفض الرسول (ﷺ) وقال: لا، عريش كعريش موسى.

وقال (ﷺ): ما أمرت بتشييد المساجد، وبنى مسجده (ﷺ) سبعين في ستين

ذراعًا، فلم يزل كذلك حتى قبض وكان جداره قدر قامة، وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) ينقلون لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنة لنفسه، ولبنة عن رسول الله (ﷺ) فقام إليه النبي (ﷺ) ومسح ظهره فقال: يا ابن سمية لك أجران وللناس أجر، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية.

فصل: ذكر مؤاخاة النبي (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار حين قدم المدينة

قال رسول الله (ﷺ) ذات يوم: يا أبا بكر تعال، ويا عمر تعال، إني أمرت أن أؤاخي بينكما بما أنزل عليّ من السماء، أنتما أخوان في الدنيا، وأخوان في الجنة، فليسلم كل واحد منكما على صاحبه وليصافحه، فأخذ أبو بكر بيد عمر، فتبسم رسول الله (ﷺ) فقال: يا أبا بكر تكون قبله، وتموت قبله، ثم فعل النبي (ﷺ) كذلك مع الزبير وطلحة، وأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب وابن مسعود، ومعاذ وثوبان، وأبي طلحة وبلال، وأبي الدرداء وسلمان الفارسي، ثم قال لسعد بن أبي وقاص ولصهيب مثلما قال لأبي بكر وعمر ففعلا، ثم قال (ﷺ) لأبي ذر ولهلا ل -مولى المغيرة ابن شعبة - مثل ذلك ففعلا، ثم قال (ﷺ) لأبي أيوب الأنصاري ولعبد الله بن سلام مثل ذلك ففعلا، ثم قال (ﷺ) لأبي هند وأسامة مثل ذلك ففعلا وكان أبو هند حجامًا شرب دمه (ﷺ) من حبه.

وظن عبد الرحمن بن عوف وعثمان أن الله مقتهما ورسوله (ﷺ) به موجدة عليهما؛ لأنه لم يؤاخ بينهما، فأعلمهما أن الله عنهما راض، ورسوله ليس بواجد ولكن الملك الذي نزل بهذا الأمر قال له (ﷺ): أخرهما فإنهما غنيان، فيوم القيامة يعجل بحساب الفقراء، ويؤخر حساب الأغنياء ثم قال (ﷺ) لهما فليسلم كل واحد منكما على صاحبه، ففعلا، ثم قال (ﷺ) أرضيتما؟ قالا: نعم، فالحمد لله الذي لم يفضحنا ثم زادهما رسول الله (ﷺ) بأنهما أخوان في

الدنيا والجنة كإلياس ومؤمن آل ياسين ثم قال النبي (ﷺ) فأنا أشهد الله، وأشهدكم أني قد آخيتكم جميعًا في هذه الدار، وفي الدار الآخرة، فأنتم خير الناس اليوم.. وآخى النبي (ﷺ) بين ابنته فاطمة وأم سليم، وكذلك بين عائشة وامرأة أبي أيوب الأنصاري.

باب: ما جاء عن ابن عباس في تحويل القبلة

عن ابن عباس (رضي الله عنهما): كان رسول الله (ﷺ) إذا وقف يصلي انتظر أمر الله (عز وجل) في القبلة.

عن سعيد بن المسيب: صلى رسول الله (ﷺ) بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم حولت القبلة بعد بدر بشهرين.

كان رسول الله (ﷺ) في صلاة الظهر وصلى البعض منها فأشار جبريل بالتوجه نحو ميزاب البيت فرآه الرسول (ﷺ) فلما سلم من الصلاة نحو بيت المقدس رفع رأسه للسماء، فأنزل الله (عز وجل) ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ (البقرة: ١٤٤). فأقام رهطًا على زوايا المسجد لتعديل القبلة، فأتاه جبريل فقال: يا رسول الله، ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كل جبل بينه وبين القبلة، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء، فلما فرغ قال جبريل (عليه السلام) بيده هكذا فأعاد الجبال والشجر إلى حالها وصارت القبلة إلى الميزاب.

قال أبو سعد: فليس في الدنيا مسجد إلا بالاجتهاد بني، إلا مسجد رسول الله (ﷺ) فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين، وقال: فصرفت القبلة يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا.

باب في فضل تربة رسول الله (ﷺ) وهي المدينة وتسمى طيْبَةَ وأن الإيمان يأرز إلى المدينة وأن الإسلام سيعود غريبًا

عن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) لما خرج من مكة قال: (ﷺ): اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إليّ، فأسكني أحب البلاد إليك، فأسكنه الله (عز وجل) المدينة وهي حرم، حرمها رسول الله (ﷺ) ما بين جبل عير إلى ثور وجعل حول المدينة اثنى عشر ميلاً حمى.

ويروى عن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) قال: «المدينة تربتها مؤمنة»، ومن حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفى الكير خبث الحديد».

قال أبو سعد صاحب الكتاب حفظه الله ورضي عنه: اختلف الناس في المدينة هل هي حرم أم لا -كما جعل إبراهيم (عليه السلام) مكة حرمًا، حتى لا يجوز أن يؤخذ صيدها أو ينفّر أو يقطع شجرها- على ثلاثة أقاويل:

فمنهم من قال: إنها حرم.

لقوله (ﷺ): إني حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم (عليه السلام) ما بين لابتي مكة.

ومنهم من قال: هي حرم في الإكرام، ولا يجب في صيدها وشجرها ما يجب في صيد مكة وشجرها.

ومنهم من قال: الفرق بينهما أن كل من أخذ صيدًا فسلبُه لأول من وقع بصره عليه، وقد روي في ذلك:

عن سعد بن أبي وقاص أنه ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد غلامًا يقطع شجرة -أو: يخبطه -فسلبه، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد يسألونه أن يرد

عليهم ما أخذه من غلامهم فقال لهم سعد: معاذ الله أن أرد شيئًا نفلنيه رسول الله (ﷺ)، وأبى أن يرد عليهم.

وروي أنه لما خرج رسول الله (ﷺ) من مكة قام على الحزورة فقال: «اللَّهُمَّ إنك تعلم أنها أحب البلاد إليّ، ولولا أني أُخرجت منها ما خرجت».

ثم قال (ﷺ): «اللَّهُمَّ إني أُخرجت من أحب البلاد إليّ، فردني إلى أحب البلاد إليك».

ثم قال (ﷺ): أريت أرض هجرتكم، فإذا هي سبخة ذات نخل -يريد المدينة.

وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (ﷺ): يقول: إن الله تعالى سمى المدينة طابة، وكان اسمها القديم يثرب حتى سماها الرسول (ﷺ) طيبة وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كل البلاد فتح بالسيف والرمح، وفتحت المدينة بالقرآن، وهي مهاجر رسول الله (ﷺ) ومحل أزواجه (ﷺ) وفيها قبره (ﷺ). وحرم رسول الله (ﷺ) ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم ما بين لابتي مكة فقد قال (ﷺ) عندما دعا الله (عز وجل).. اللهم إني حرمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم، لا يقطع عضاها، ولا ينفر صيدها، ومن أرادها بسوء أذابه الله (عز وجل) ذوب الرصاص، وذوب الملح في الماء.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي قال (ﷺ): إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: خرجنا مع رسول الله

(ﷺ) حتى إذا كنا بالحرة -بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص -فقال رسول الله (ﷺ): ائتوني بوضوء، فتوضأ، ثم قام فاستقبل القبلة ثم قال: «اللَّهُمَّ إن إبراهيم (عليه السلام) عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة: أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم، مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين».

وروى أبو هريرة قال: قيل يا رسول الله: صاعنا أصغر الصيعان، ومدنا أصغر الأمداد، فقال رسول الله (ﷺ): اللَّهُمَّ بارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، واجعل مع البركة بركتين.

قال أنس بن مالك: صنعت بالمدينة طعامًا نأكله فكفى عشرين رجلاً، ثم صنعت مثله في العراق فأكله عشرة.

وروي عن عائشة (رضي الله عنها) وعن أبيها: أن رسول الله (ﷺ) قدم المدينة وهي أوبؤ أرض الله، فُحمّ أصحابه، فقال النبي (ﷺ): «اللَّهُمَّ حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد، وصححها لنا،وبارك لنا فيها مع ما باركت لأهل مكة، وانقل وباءها وحماها إلى مهيعة -وهي الجحفة-»، قال: فشفوا.

وهي أفضل البلاد تربة، لأن تربة رسول الله (ﷺ) بها، اختارها الله له، ونقله إليها، وجعلها دار هجرته، وقبر فيها رسول الله (ﷺ)، وفيها منبره، قوائمه على ترعة من ترع الجنة.

وفيها نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

قال أبو سعد صاحب الكتاب: ومما خص الله (عز وجل) به حرم نبيه (ﷺ) من

الآيات الظاهرة والأنوار الزاهرة: الشعاع الذي يرى فوق المدينة كالإكليل، يتطاير من موضع إلى موضع، ولا يخفى على من يتأمله، وهذه كرامة أكرم الله (عَزَّوَجَلَّ) المدينة بها دون سائر البلدان.

فصل: ما جاء أن المدينة كالكير تنفي خبثها والمجاورة فيها وفضل الموت بها وأن الدجال لا يدخلها

عن أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد، قال مالك بن أنس: تأكل القرى أي: تفتح القرى.

بايع رجلاً رسول الله (ﷺ) ثم مرض، فأراد أن يعود في البيع فأبى رسول الله (ﷺ) وقال (ﷺ) إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها وينصع طيبها.

خرج رجل في المغازي فحمل على مشرك بعد ما قال: لا إله إلا الله، فلما رجع ذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فأعرض عنه ثم مات فأراد أهله أن يدفنوه فنبذته الأرض، وآخر من الأنصار كان يكتب لرسول الله (ﷺ) ثم ارتد وقال: ما كان رسول الله (ﷺ) يحسن أن يملي، فكنت أكتب ما أشاء، فمات ذلك الرجل فنبذته الأرض حتى ألقى في غار من الغيران فصار نبذ الأرض لهما آية وبركة وطهارة للمدينة.

ومن حديث نافع، عن ابن عمر قال، بعث النبي (ﷺ) محلم بن جثامة مبعثًا، فلقيهم عامر بن الأضبط، فحياهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إحنة في الجاهلية، فرماه محلم بسهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله (ﷺ)، فتكلم فيه عيينة والأقرع، فقال الأقرع: يا رسول الله سن اليوم وغير غدًا، فقال عيينة: لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي، فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي رسول الله يستغفر له، فقال له النبي (ﷺ): لا غفر الله لك،

فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت به سابعة حتى مات، ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النبي (ﷺ)، فذكروا ذلك له، فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم، ثم طرحه بين صدفي جبل، وألقوا عليه من الحجارة، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات: ٦).

أراد سعيد المقري أن يجلو عن المدينة لعدم صبره على لأوائها فنهاه؛ لأنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا».

عن الصميتة امرأة من بني ليث، وكانت يتيمة في حجر رسول الله (ﷺ) أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإن من يمت يكن له شهيدًا وشفيعًا».

قال أبو سعد صاحب الكتاب أعانه الله على طاعته: فصارت هذه العلامة آية وبركة وطهارة للمدينة إلى يومنا هذا، فقد شاهدت أنا جماعة من الموتى بالمدينة قد دفنهم أهلهم فأصبحوا وقد لفظتهم الأرض ولم تقبلهم.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الدجال يطؤ الأرض كلها إلا مكة والمدينة، يأتي المدينة فيجد على كل نقب من أنقابها صفوفًا من الملائكة».

وعن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»، وعن عمر بن الخطاب: أنه قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك (ﷺ).

فصل: في التحذير من إخافة أهل المدينة والحنانة

في رواية عنه (ﷺ) أنه قال: من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة

الله وغضبه إلى يوم القيامة، لا يُقبل منه صرف ولا عدل.

وعن سعد بن أبي وقاص، أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «لا يكيدنّ أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء».

ولما وضع لرسول الله (ﷺ) منبر تحول إليه، حن الجذع الذي كان يخطب عليه في المسجد حنينًا رق له أهل المسجد، فوضع النبي (ﷺ) يده عليه فسكن فقال (ﷺ) له: إن شئت رددتك إلى الحائط الذي كنت فيه فكنت كما كنت تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت غرستك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه، فسمعه من يليه، وقال النبي (ﷺ): نعم قد فعلت وعاد إلى المنبر وقال (ﷺ): «خيرته كما سمعتم، فاختار أن أغرسه في الجنة فاختار دار البقاء على دار الفناء وفي رواية: فعدل إليه رسول الله (ﷺ) فاحتضنه فسكن فقال (ﷺ): «لو لم أفعل هذا لحنَّ إلى يوم القيامة»، وكان الحسن يبكي إذا حدث بهذا الحديث وقال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله (ﷺ) شوقًا إليه لمكانه من الله (عز وجل)، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

باب: في حجرات أزواج النبي (ﷺ) وبين فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)

لما رجع النبي (ﷺ) من غزوة دومة الجندل بنت أم سلمة حجرتها باللبن فقال (ﷺ): يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان، حين هدم عمر ابن عبد العزيز (رحمه الله) بيوت أزواج النبي، كانت باللبن، ولها حجر من حديد مطروزة بالطين، عددها تسعة أبيات بحجرها، وهي ما بين بيت عائشة (رضي الله عنها) إلى الباب الذي يلي باب النبي (ﷺ) وكان على أبوابها المسوح من شعر أسود، فأدخلت في المسجد فقد كان الناس يدخلون حجرات النبي (ﷺ) بعد وفاته

يصلون فيها الجمعة، فقد كان المسجد يضيق عن أهله، وقال ابن المسيب: والله وددت أنهم تركوها على حالها ليعرف القادم من الآفاق ما اكتفى به رسول الله (ﷺ) ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها كان بيت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) في الدور الذي فيه القبر، بينه وبين قبر رسول الله خوخة وكان (ﷺ) يقف على باب علي وفاطمة (رضي الله عنه) ويقول (ﷺ): السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وغضب رسول الله (ﷺ) لما صنعت فاطمة سترًا لباب البيت فنزعته وبعثت بها إلى رسول الله (ﷺ) وطلبت منه (ﷺ) أن يجعلها في سبيل الله فلما أتاه قال: «قد فعلت، فداها أبوها -ثلاث مرات- ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة».

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): زارنا رسول الله (ﷺ) فبات عندنا والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله (ﷺ) إلى قربة وجعل يسكبها في القدح، ثم جعل يسقيه، فتناول الحسين فمنعه وبدأ بالحسن، قالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحب إليك؟ قال: إنما استسقاني أولاً، ثم قال (ﷺ): إني وإياك وهذين وهذا الراقد -يعني: علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)- في مكان واحد يوم القيامة.

وقدم رسول الله (ﷺ) من غزوة فدخل على فاطمة (رضي الله عنها) فرأى سترًا فقال: «إن سرك أن يسترك الله يوم القيامة فأعطينيه»، فأعطته، فخرج به فشقه لكل إنسان ذراعين في ذراع.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) أتى

بيت فاطمة يطلب شيئًا، فوجدهم مفتقرين، ثم التفت فقال لفاطمة (ﷺ): «لعل عندك شيئًا، فقالت: إن رسول الله (ﷺ) أعلم بما في بيوتنا منا، وإن الحسن والحسين دخلا يطلبان شيئًا، فقام رسول الله (ﷺ) فصلى ركعتين، ثم قام رسول الله (ﷺ) إلى سَهْوٍ لنا -وهو بيت صغير- فصلى ركعتين، فأنزل منها طبقًا فيه تمر من تمر الحجاز وزبيب من زبيب الطائف، وكعك من كعك الشام، فوضعه بين أيدينا، فأكلنا فما نرفع شيئًا إلا أخلف مكانه، فجاء سائل فاستأذن، فزجره رسول الله (ﷺ) فقالت فاطمة (ﷺ): والله يا أبت ما كنت تنهر السائلين، فسكت عنها، ثم أعاد الرجل في السؤال فزجره، فقالت فاطمة له ذلك، فقال لها رسول الله (ﷺ): «أتدرين من هذا السائل؟» قالت: لا، قال (ﷺ): «هذا إبليس، جاء مختفيًا ليأكل من ثمار الجنة لم يكن الله سبحانه وتعالى ليطعمه، هذا طبق أتاني به جبريل (عليه السلام) من الجنة»، ثم رفع الطبق. والله أعلم.

باب: ما جاء في سد الأبواب الشوارع وأول من خَلَّق القِبْلة

عن أبي سعيد الخدري قال: صعد رسول الله (ﷺ) المنبر فقال: «إن عبدًا خيره الله (عز وجل) بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا ما يشاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر لأنه علم أن الرسول (ﷺ) ينعى نفسه ثم قال النبي (ﷺ): «سدوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم رجلاً أحسن يدًا في الصحابة عندي من أبي بكر»، وفي رواية قال (ﷺ): «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» وقال: «سدوا قبل أن ينزل العذاب»، فبكى حمزة وقال: يا رسول الله أخرجت عمك وأسكنت ابن عمك فأخبره أن هذا أمر من الله.

تفل عثمان بن مظعون في القبلة فأصبح مكتئبًا فحكى لامرأته فذهبت إلى القبلة فغسلتها، ثم حملت خلُوقًا فخلَّقتها، فكانت أول من خلَّقت القبلة

وعن حذيفة قال رسول الله (ﷺ): «من بزق في قبلة المسجد جاء يوم القيامة وهي في وجهه» ونهى (ﷺ) عن ذلك لأن العبد يناجي ربه وقال (ﷺ): «لا يبصقن أحدكم في القبلة، ولكن عن يسار أو تحت قدمه»، وقال: «تفقدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم».

باب: الصلاة في مسجد رسول الله (ﷺ) وما هو مكتوب على جدر المسجد والشرفات وعند الأبواب

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام».

وقال (ﷺ): «من خرج على طهر حتى يأتي مسجدي هذا -مسجد المدينة- فيصلي ركعتين كانتا عدل رقبة».

ويروي عن السائب بن يزيد قال: كنت مضطجعًا في المسجد، فحصبني إنسان فرفعت رأسي فإذا أنا بعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقال: اذهب فائتني بهذين الرجلين، قال: فانطلقت حتى جئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ -أو: من أنتما؟- قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتكما حتى أوجعكما جلدًا، أترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (ﷺ)؟

وقيل: لما دخل عمر بن عبد العزيز مسجد رسول الله (ﷺ) قيل له: قد بقي في حجرة عائشة (رضي الله عنها) موضع قبر واحد، فلو أمرت حتى إذا مت قبرت فيه، فقال: والله لو خررت من السماء على هامة رأسي أحب إليّ من أن يخطر ببالي أن أقبر مع رسول الله (ﷺ) في حجرة واحدة.

ودخل أبو معاوية الأسود (رضي الله عنه) مسجد رسول الله (ﷺ) زائرًا فغشي عليه، فلما أفاق قال: أخرجوني منها، فإني أخشى أن أموت فأقبر في جوار رسول

الله (ﷺ) فتقذفني الأرض فأفتضح، قال: فأخرج، وقال: إني لست ممن تقبلني أرض قبلت رسول الله (ﷺ).

وروي أن قومًا قدموا بسفط من عود على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فلم يسع الناس، فقال عمر (رضي الله عنه): جمروا به المسجد ينتفع به المسلمون، فبقيت سنة في الخلفاء إلى اليوم، يؤتى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب.

وقال (ﷺ): «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الأقصى، والمسجد الحرام».

ومكتوب حول صحن المسجد فوق الطاقات البسملة ثم الفاتحة و﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (التوبة: ١٨) وعند باب علي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وعلى باب النبي (ﷺ) البسملة، و﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ (البقرة: ١٦٤). وعند باب عمر بن الخطاب البسملة: و﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦) وعلى باب عثمان بن عفان: البسملة و﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وكتب على بقية الأبواب والطاقات آيات كثيرة.

باب: ما جاء في فضائل الشهداء وزيارة قبورهم

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله (ﷺ) كان يجمع الرجلين من قتلى أحد ثم يقول (ﷺ): «أيهما أكثر أخذًا بالقرآن؟» فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال (ﷺ): «أنا أشهد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا، وروي أن رسول الله (ﷺ) وقف على شهداء

أحد فقال (ﷺ): «أنا الشهيد على هؤلاء، زملوهم بدمائهم وجراحهم وثيابهم، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد وقدموا أكثرهم قرآنًا».

وبكى جابر أباه عبد الله لما قتل يوم أحد وكذلك عمته فقال رسول الله (ﷺ): تبكيه أو لا تبكيه، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه وكانت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء فتصلي هناك، وتدعو وتبكي حتى ماتت.

جاء عمرو بن الجموح إلى رسول الله يسأله يوم أحد عمن يموت اليوم يدخل الجنة، فقال له النبي (ﷺ): «نعم»، فأقسم عمرو ألا يعود إلى أهله حتى يدخل الجنة، فتعجب عمر بن الخطاب من أنه يتألى على الله؟ فقال النبي (ﷺ): «إن منهم لو أقسم على الله لأبره»، ثم سأل عمرو النبي أين الجنة؟ قال (ﷺ): «تحت الأبارقة»، فخرج فاستشهد ورآه النبي (ﷺ) يخوض الجنة بعرجته.

عن المقداد بن معد يكرب أن الرسول (ﷺ) قال: «إن للشهيد عند الله تبارك وتعالى تسع خصال: يغفر له بأول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلّى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه.

وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) وقف على شهداء أحد فقال: «أنا الشهيد على هؤلاء، زملوهم بدمائهم وجراحهم وثيابهم، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآنًا».

قال: ولم يغسلوا ولم يصل عليهم.

وقال خباب بن الأرت: إنا قوم هاجرنا مع رسول الله (ﷺ) فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئًا، منهم: مصعب بن عمير، قتل يوم

أحد، لم يوجد له إلا بردة يكفن فيها، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله (ﷺ) أن نغطي رأسه ونلقي على رجليه شيئًا من الإذخر.

وروى كعب بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال يوم أُحد: «من رأى مقتل حمزة؟» فقال رجل أعزل: رأيت مقتله، قال: «فانطلق فأرناه»، فخرج رسول الله (ﷺ) حتى وقف على حمزة قد شق بطنه ومثل به، فقال: يا رسول الله قد مثل به والله، قال: فكره نبي الله (ﷺ) أن ينظر إليه، فوقف بين ظهراني القتلى فقال: «أنا شهيد على هؤلاء القوم، لفُّوهم بجراحهم ودمائهم، فإنه ليس مَنْ جرح إلا جاء جرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك».

وروي أن حمزة لما قتل أرسلت صفية بثوبين ليكفن فيهما، فنظروا، فإذا رجل من الأنصار مقتول إلى جنبه ليس له كفن، فاستحيا رسول الله (ﷺ) أن يكفن حمزة في ثوبيه ويترك الأنصاري بلا كفن، فكفن حمزة في ثوب، وأعطى الأنصاري الثوب الآخر فكفن فيه.

وقال طلحة بن عبيد الله: أردت مالاً لي بالغابة، فأدركني الليل، فقلت: لو أني ركبت فرسي إلى أهلي كان خيرًا لي من المقام ها هنا، فركبته حتى جئت ودنوت من قبور الشهداء، فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام، فوالله ما هو إلا أن وضعت رأسي فسمعت قراءة في القبر، ما سمعت قراءة قط أحسن منها، فقلت: هذا القبر، لعله في الوادي، وأخرج إلى الوادي فإذا القراءة في القبر، فرجعت فوضعت رأسي عليه، فإذا قراءة لم أسمع مثلها قط، فاستأنست، وذهب عني النوم، فلم أزل أسمعها حتى طلع الفجر، فلما طلع الفجر هدأت القراءة، وهدأ الصوت حتى أصبحت، فقلت: لو جئت النبي (ﷺ) فأخبرته، قال: فجئت النبي (ﷺ) فذكرت ذلك له، فقال: ذاك عبد الله بن عمرو، ألم تعلم يا طلحة أن الله (عز وجل) قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت قد علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم، فلا يزال كذلك، حتى

إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه.

وعن العطاف بن خالد قال: حدثتني خالة لي -وكانت من العابدات- قالت: ركبت ومعي غلام لي، حتى جئت قبر حمزة، فصليت ما شاء الله، ولا والله ما في الوادي داعي ولا مجيب يتحرك، وغلامي آخذ برأسي دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت: السلام عليكم، وأشرت بيدي، فسمعت رد السلام عليّ من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله خلقني، فاقشعرت كل شعرة مني، فدعوت الغلام، فقلت: هات، فأدنى فركبت.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله (ﷺ): «أشعرت يا جابر أن الله (عز وجل) أدنى أباك فكلمه كفاحًا فقال: تمن علي ما شئت، فقال: أتمنى أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك مرة أخرى».

وروى الزهري، عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ﷺ) دفن شهداء المؤمنين بأحد بدمائهم، ولم يغسلهم، ولم يصل عليهم.

قال مسروق بن الأجدع: سألنا ابن مسعود (رضي الله عنه) عن هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠)، قال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع إليهم ربك إطلاعة فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم؟ يقولون: يا ربنا لا فوق ما أعطيتنا، نأكل من حيث شئنا إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى.

روى ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا».

جامع أبواب المغازي والسرايا والبعوث النبوية

باب: ذكر مغازي رسول الله (ﷺ)

قال أبو سعد (رحمه الله):

غزا رسول الله (ﷺ) بنفسه ستًا وعشرين غزاة وقاتل منها في تسع غزوات وهي: بدر، وأحد، والخندق، وبنو قريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

وأخرج ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥-٦) من حديث جماعة من أصحاب المغازي والسير، منهم ابن إسحاق والواقدي وموسى بن عقبة، قالوا: كان عدد مغازي رسول الله (ﷺ) التي غزا فيها بنفسه: سبعًا وعشرين، وكانت سراياه التي بعث بها: سبعًا وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيها من المغازي تسع غزوات: بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة وحنين والطائف فهذا ما اجتمع لنا عليه، وفي بعض روايتهم: أنه قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلاً خاصة، وقاتل في غزوة وادي القرى منصرفه من خيبر وقتل بعض أصحابه وقاتل في الغابة.

قال أبو عاصم: ثم اختلف أهل المغازي والسير أيضًا في عدد الغزوات التي قاتل فيها (ﷺ) بنفسه، ويرجع سبب ذلك إلى إغفال بعضهم للغزوات المتقاربة وذكرهم للأولى دون الثانية منهما، نحو إغفالهم لبني قريظة التي كانت في إثر الأحزاب -أو الخندق- كما فعل موسى بن عقبة فذكر أن ما قاتل فيه (ﷺ) بنفسه ثماني غزوات، فذكر الأحزاب دون قريظة، وكما روي عن مكحول فيما أخرجه يعقوب بن سفيان - البداية والنهاية لابن كثير- أن رسول الله (ﷺ) غزا ثماني عشرة غزوة، قاتل في ثماني غزوات، فجعل حنين والطائف واحدة لتقاربهما، فإذا تبين هذا أمكن الجمع بين قول زيد بن أرقم

وجابر بن عبد الله في عدد غزواته (ﷺ).

وأما البعوث والسرايا، فتقدم عن ابن سعد عدّها سبعًا وأربعين، وحصر ابن الجوزي في التلقيح، السرايا التي ذكرها ابن سعد ثم قال: فهذه ست وخمسون سرية، وعدّها الواقدي ثمان وأربعين، أخرجه ابن سعد في الطبقات ومن طريقه ابن جرير، وعدّها ابن إسحاق ستًا وثلاثين، وقال المسعودي في المروج: وقيل إن سراياه (ﷺ) وبعوثه كانت ستًا وستين، وقال الحافظ في الفتح: بلغ بها شيخنا في نظم السيرة زيادة على السبعين، ووقع عند الحاكم في الإكليل أنها تزيد على مائة، فلعله أراد ضم المغازي إليها.

فصل: ذكر حديث بدر ونصرة الله رسوله والمسلمين

بلغ رسول الله (ﷺ) أن عيرا مقبلة لأهل مكة من الشام، فيها أبو سفيان في تسعين رجلاً، فشاور الرسول (ﷺ) أصحابه.

قوله: «فشاور رسول الله (ﷺ) أصحابه»:

أخرج الإمام أحمد في المسند (١٨٨/٣) من حديث حميد الطويل، عن أنس قال: استشار النبي (ﷺ) مخرجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليهم عمر، ثم استشارهم، فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار، فقال بعض الأنصار: يا رسول الله، إذًا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤) ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك، فخرج في ثلاثمائة وسبعين، يعتقب النفر على البعير الواحد، منهم مائتان وسبعون من الأنصار، والباقون من سائر الناس، وذلك في شهر رمضان، وعده الله بالفتح، ولم يشك (ﷺ) أنه الظفر بالعير.

فلما خرج (ﷺ) من المدينة بلغ أبا سفيان الخبر، فأخذ بالعير على الساحل، وأرسل إلى أهل مكة يستصرخ بهم، فخرج منهم نحو ألف رجل من سائر بطون قريش إلَّا بني عدي، ورجع الأخنس بن شريق الثقفي ببني زهرة من الطريق -وكان حليفًا لهم- فبقي نحو تسعمائة وسبعين رجلاً، وفيهم: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب - خرجوا مكرهين-، وكان أشرافهم المطعمون، منهم: العباس بن عبد المطلب، وعتبة بن ربيعة، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعمة بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وحكيم ابن حزام، والنضر بن الحارث بن كلدة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو.

قال: فلما بلغ النبي (ﷺ) إلى بدر -وهي بئر منسوبة إلى صاحبها، رجل من بني غفار يقال له: بدر-، وعلم رسول الله (ﷺ) بفوات العير ومجيء قريش، شاور أصحابه في لقائهم أو الرجوع عنهم، فقالوا: الأمر لك، فالق بنا القوم.

فلقيهم النبي (ﷺ) على بدر وذلك لسبعة عشر يومًا من رمضان، فكان لواء رسول الله (ﷺ) يومئذ: أبيض مع مصعب بن عمير، وراية سوداء من مرط عائشة مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأمدهم الله تعالى بخمسة آلاف من الملائكة، وكثر الله تعالى المسلمين في أعين الكفار، وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا، فأخذ رسول الله (ﷺ) كفًا من تراب فرماه إليهم وقال: «شاهت الوجوه»، فلم يبق منهم أحد إلَّا اشتغل بفرك عينيه.

قوله: «فأخذ رسول الله (ﷺ) كفًا من تراب»:

من حديث ابن عباس، أن النبي (ﷺ) قال لعلي: «ناولني كفًا من حصباء»، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلَّا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧).

ومن حديث حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله (ﷺ) فأخذ كفًا من الحصباء، فاستقبلنا به فرمانا بها وقال: شاهت الوجوه، فانهزمنا فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧).

وروى عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله (ﷺ) إلى المشركين وهم ألف، ونظر إلى أصحابه وهم ثلثمائة وتسعة عشر أو ستة عشر، قال: فاستقبل النبي (ﷺ) القبلة ثم مد يده وجعل يهتف بربه (عَزَّوَجَلَّ): «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأعاد الرداء إلى منكبيه (ﷺ) وطمأنه أن الله سينجز له ما وعده فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ (الأنفال: ٩) فأمده الله تعالى بالملائكة، وقتل الله من المشركين نحو سبعين رجلاً وأسر نحو سبعين منهم: العباس، عقيل، نوفل بن الحارث، فأسلموا، وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وطعمة بن عدي قتلهم رسول الله (ﷺ) بالصفراء.

وقال (ﷺ) للعبَّاس: افد نفسك وابني أخويك عقيلاً ونوفلاً وحليفك، فإنك ذو مال، فقال: إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهوني، فقال (ﷺ): «أعلن إسلامك، فإن يكن حقًا فإن الله يجزيك به، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا»، قال: فليس لي مال، قال (ﷺ): أين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة وليس معكما أحد، وقلت لها: إن أصبت في سفري هذا فللفضل منها كذا، ولعبد الله منها كذا؟» فقال: والذي بعثك بالحق ما علم بها أحد غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى كل واحد بأربعين أوقية، وأسلم عقيل من الأسارى، ثم أسلم نوفل بعد ذلك، وهاجر عام الخندق.

وقتل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يومئذ: العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أخا هند، وعامر بن عبد الله -حليفًا لهم- ونوفل بن خويلد عم الزبير بن العوام.

وقتل حمزة (رضي الله عنه): شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن عبد الأسد ابن هلال المخزومي.

وقتل عمر بن الخطاب (صلى الله عليه وسلم): خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

وقتل عبيدة بن الحارث (رضي الله عنه): عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وقتل الزبير (رضي الله عنه): عبيدة بن سعيد بن العاص.

وقتل عمرو بن الجموح الأنصاري (رضي الله عنه): أبا جهل بن هشام، ضربه بالسيف على رجله فقطعها، وذفف عليه عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) فذبحه بسيفه من قفاه وحمل رأسه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقتل عمار بن ياسر (رضي الله عنه): علي بن أمية بن خلف.

ومن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أبي عزة الجمحي على أن لا يقاتله.

وأمر (صلى الله عليه وسلم) أن يُلقى القتلى في قليب بدر، ثم وقف عليهم فناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم واحدًا واحدًا واحدًا ثم قال (صلى الله عليه وسلم): قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ ثم قال (صلى الله عليه وسلم): «إنهم ليسمعون كما تسمعون، ولكنهم مُنعوا من الجواب».

قوله: «فناداهم بأسمائهم»:

أخرج البخاري في المغازي، من حديث قتادة قال: ذكر لنا أنس ابن مالك، عن أبي طلحة، أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد

قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، -وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال-، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشي، واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلَّا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرّكي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرك أنك أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟» قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها!! فقال رسول الله (ﷺ): «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

ولما فرغ (ﷺ) من قتال أهل بدر أتاه جبريل (عليه السلام) على فرس أنثى حمراء عاقدًا ناصيته، عليه درعه ورمحه في يده قد عصم ثنيته الغبار فقال: إن الله أمرني أن لا أفارقك حتى ترضى فهل رضيت؟ قال (ﷺ): «نعم قد رضيت».

واختلف الصحابة في قسمة الغنيمة، ولم يكن نزل في قسمتها حكم حينئذ، فقال بعضهم: نحن أحق بها لأنا كنا حول رسول الله (ﷺ) وندفع عنه، وبدعائه نصرنا لا بالقتال، وقال آخرون: بل نحن أحق لأنا حفظنا ظهركم، وأخذنا سواد عدوكم فكشفناهم عنكم وجمعنا الغنيمة فنحن أحق بها.

فأخر رسول الله (ﷺ) قسمتها حتى بلغ الصفراء، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ (الأنفال: ١).

قوله: «القصة كلها في أمر بدر»:

عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله (ﷺ) إلى بدر، فلقي العدو فلما هزمهم الله اتبعهم طائفة من المسلمين يقتلونهم، وأحدقت طائفة رسول الله (ﷺ)، واستولت طائفة على العسكر والنهب، فلما كفى الله العدو ورجع

الذين طلبوهم، قالوا: لنا النفل، نحن طلبنا العدو، وبنا نفاهم الله وهزمهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله (ﷺ): والله ما أنتم بأحق به منا، هو لنا، نحن أحدقنا برسول الله (ﷺ) لئلا ينال العدو منه غرة، وقال الذين استولوا على العسكر والنهب: والله ما أنتم بأحق منا، هو لنا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ (الأنفال: ١) فقسمه رسول الله (ﷺ) بينهم وكان رسول الله (ﷺ) ينفلهم إذا خرجوا بادين: الربع، وينفلهم إذا قفلوا الثلث، وقال: أخذ رسول الله (ﷺ) يوم حنين وبرة من جنب بعير، ثم قال (ﷺ): «يا أيها الناس، إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخيط والمخيط، وإياكم والغلول، فإنه عار على أهله يوم القيامة، وعليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله بها الهم والغم»، قال: فكان رسول الله (ﷺ) يكره الأنفال ويقول: ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم.

فقطع الله تعالى عن الغنائم ملك كل أحد، وجعلها لرسول الله (ﷺ) خاصة يفعل فيها ما رأى.

وقسمها رسول الله (ﷺ) بينهم تفضلاً منه عليهم، وأدخل معهم في القسمة ثمانية نفر لم يحضروا الغنيمة، منهم: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعد، وأبو لبابة، والحارث بن حاطب، فضرب لهم بالسهم والأجر معًا، ثم كانت الغنائم تحمل بعد ذلك إلى المدينة إلى رسول الله (ﷺ) ليفعل فيها ما يراه حتى نزل قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ (الأنفال: ٤١).

واستشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً، منهم: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ومهجع مولى عمرو، وذو الشمالين: عمرو بن نضلة حليف بني زهرة -وليس بذي اليدين الراوي لسجود السهو، فإن اسمه الخرباق وعاش إلى زمن

معاوية، وقبره بذي خشب، ومنهم: عمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعاقل بن البكير، وصفوان بن أبي البيضاء، والباقون من الأنصار (رضي الله عنهم) أجمعين.

فصل: وأما قصة أحد

فإن أهل بدر لما رجع من سلم منهم منهزمًا، وقتل سادتهم، لم يبق منزل بمكة إلا دخله الصراخ والعويل على قتلاهم، وحرض القوم بعضهم بعضًا، وحرَّضت أم معاوية أبا سفيان ليخرج بهم ليأخذ بثأر قتلاها، وكان منهم: أبوها عتبة بن ربيعة، وعمها شيبة، وأخوها الوليد بن عتبة وبنو عمها.

فخرج أبو سفيان في ثلاثة آلاف من قريش ومن تبعها ومعهم هند وصواحبها ينشدن:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق
المسك في المفارق ... والدر في المخانق
إن تقبلوا نعانق ... أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

حتى بلغوا المدينة، وذلك في شوال سنة ثلاث من الهجرة، فنزلوا أحدا.

وخرج رسول الله (ﷺ) بعد أن استشار أصحابه، فقال (ﷺ): «لا نخرج، فإذا دخلوا علينا قاتلناهم في أفواه الطرق ومن سطوح الدور»، فأبوا إلا الخروج، فلما صار على الطريق، قالوا: نرجع، قال (ﷺ): «ما كان لنبي إذا قصد قومًا أن يرجع عنهم».

ومن حديث أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله (ﷺ) قال: «رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا تنحر، فأولت أن الدرع: المدينة، وأن البقر نفر، والله

خير، فلو أقمنا بالمدينة، فإذا دخلوا علينا قاتلناهم»، فقالوا: والله ما دخلت علينا في الجاهلية، أفيدخل علينا في الإسلام؟ قال: «فشأنكم إذن»، وقالت الأنصار بعضها لبعض: رددنا على النبي (ﷺ) رأيه، فجاءوا فقالوا: يا رسول الله شأنك، فقال: «الآن؟ إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل».

وكان رسول الله (ﷺ) في ألف رجل، فنزل بيوت بني حارثة، فأقاموا بقية يومهم وليلتهم، ثم خرج في ألف رجل، فلما كانوا ببعض الطريق انخذل عنه عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلث الناس وقال: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا والقوم قومه..

وهمت بنو حارثة، وبنو سلمة بالرجوع، ثم عصمهم الله (عَزَّ وَجَلَّ)، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ (آل عمران: ١٢٢) وعن جابر بن عبد الله قال: فينا نزلت الآية بني سلمة، وبني حارثة، وما نحب أنها لم تنزل لقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ (آل عمران: ١٢٢) ومضى رسول الله (ﷺ) فذبّ فرسٌ بذنبه فأصاب كلّاب سيف فاستله، فقال رسول الله (ﷺ) لصاحب السيف، وكان (ﷺ) يحب الفأل ولا يعتاف (ﷺ): «شم سيفك، فإني أرى السيوف ستسل اليوم»، ونفر (ﷺ) في سبعمئة.

وظاهر رسول الله (ﷺ) يومئذ بين درعين وجعل على الرماة -وكانوا خمسين- عبد الله بن جبير، أخا خوّات بن جبير، وأقامهم برأس الشعب، وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل إليكم، فكانت على المشركين، وأدبر النساء يشتَدِدن على الجبل، قد بدت خلاخيلهن وأسورتهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟ قال عبد الله: أنسيتم ما قال لكم رسول الله (ﷺ)؟ قالوا: إنا والله لنأتين فلنصيبن من الغنيمة، فلما

تركوا موضعهم خرج كمين المشركين من ذلك الموضع في خمسمئة، ورجع المشركون، وانصرفت وجوه المسلمين فأقبلوا منهزمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ (آل عمران: ١٥٣) فلم يبق معه (ﷺ) إلا اثنا عشر رجلاً، وأصابوا من المسلمين سبعين رجلاً، منهم أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان بن الشريد، والباقون من الأنصار.

ونادى أبو سفيان: أفي القوم محمد -ثلاثا- فنهاهم النبي (ﷺ) عن إجابته، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة -ثلاث مرات-، أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات- ثم رجع إلى قومه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال: اليوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة، لم أمر بها ولم تسؤني -ذلك أن هندا شقت بطن حمزة واستخرجت كبده فأكلته، وجذعت أنفه وأذنيه، ثم قال: اعل هبل، فقال لهم رسول الله (ﷺ): «ألا تجيبونه؟» قالوا: ما نقول؟ فقال رسول الله (ﷺ) قولوا: «الله أعلى وأجل»، فقالوا: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله (ﷺ): «الله مولانا ولا مولى لكم».

ثم رجع المشركون، وقد قتل منهم، قتل من المشركين من بني عبد الدار عشرة، قتل علي (رضي الله عنه)- طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار وكان صاحب لوائهم - وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢).

ونزلت في قصة أحد: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ (آل عمران: ١٥١) وعن ابن عباس في هذه الآية قال: قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب

فرجع إلى مكة، فقال النبي (ﷺ): «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا، وقد رجع وقذف في قلبه الرعب».

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن السدى قوله في هذه الآية: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهون نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق، ثم إنهم ندموا فقالوا: بئس ما صنعتم، إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشرير تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله (عز وجل) في قلوبهم الرعب فانهزموا.

وروي أن رسول الله (ﷺ) وقف عليهم يوم أُحد فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم فسلموا عليهم، فلن يسلم عليهم أحد ما دامت السموات والأرض إلا ردوا عليه».

ثم وقف موقفًا آخر فقال (ﷺ): «هؤلاء أصحابي الذين أشهد لهم يوم القيامة أنهم خرجوا من الدنيا خماصًا، لا تغسلوهم وادفنوهم بكلومهم، فإنهم يبعثون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك»، ومثلت هند بجسد حمزة وروي أنه (ﷺ) لما نظر إلى ما صنع بعمه حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عنه استرجع وبكى وقال (ﷺ): «والله لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ﴾ (النحل: ١٢٦).

وبلغ ذلك أخته صفيه، فجاءت ببردين لتكفنه فيهما، فرأى رسول الله (ﷺ) إلى جانب حمزة أنصاريًا مقتولاً فكفن كل واحد منهما في برد، وكان حمزة طوالاً فقصر عنه، فقال رسول الله (ﷺ): «غطوا رأسه، واجعلوا

على رجله الإذخر»، ولما دخل المدينة وجد (ﷺ) أهل المنازل يبكون قتلاهم، فقال النبي (ﷺ): «أما حمزة لا بواكي له»، فبلغ ذلك نساء الأنصار، فلم تبق دار فيهم إلا بكوا حمزة بن عبد المطلب، وصارت سنة بعد ذلك، إذا بكوا على ميتهم ذكروا حمزة وبكوا عليه ثم على ميتهم، ثم انصرف أبو سفيان من أحد إلى مكة وأنزل الله تعالى في فعل المسلمين يوم أحد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ (آل عمران: ١٥٥) وكسرت رباعيته (ﷺ) وقال ناس من أصحاب النبي (ﷺ) من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ (آل عمران: ١٥٢) إلى قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٣).

فصل: في غزوة حمراء الأسد

استنفر رسول الله (ﷺ) أصحابه، فقال (ﷺ): «إن هذه وقعة تسامع بها العرب، فاطلبوهم حتى يسمعوا بأنكم قد طلبتموهم»، فخرجوا وبهم ألم الجراح حتى بلغوا حمراء الأسد -موضع على ثمانية أميال من المدينة- فلم يدركوهم، فقال رسول الله (ﷺ): «أرشدهم صفوان وما كان برشيد، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة من سجيل، ولو أضحوا لكانوا كالأمس الذاهب، فرجع رسول الله (ﷺ) ولم يلق كيدًا. وكان مما رد الله تعالى أبا سفيان وأصحابه كلام صفوان بن أمية قبل أن يطلع معبد بن أبي معبد وهو يقول: يا قوم لا تفعلوا، فإن القوم قد حزنوا، وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج، فارجعوا والدولة لكم، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم.

فصل: في سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قَطَن

وبعث رسول الله (ﷺ) أبا سلمة بن عبد الأسد إلى قطن - ماء من مياه بني أسد بنجد - فقتل فيها مسعود بن عروة وكانت في هلال المحرم على رأس

خمسة وثلاثين شهرًا من مهاجر رسول الله (ﷺ).

فصل: في غزوة الرجيع

ثم أقام (ﷺ) يسيرًا، ثم بعث (ﷺ) مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى بطن الرجيع في سبعة نفر، فقتلهم هذيل، وأصيبوا جميعًا.

فصل: في سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة

ثم بعث رسول الله (ﷺ) المنذر بن عمرو الساعدي مع عامر بن مالك الكلابي في ثمانية عشر رجلاً فأصيبوا جميعًا إلا رجلين.

فصل: في غزوة بني النضير

ثم غزا رسول الله (ﷺ) بني النضير، فأجلاهم إلى خيبر، ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، فأقام بها يسيرا وكانت في ربيع الأول سنة أربع.

فصل: في غزوة بدر الميعاد

وغزا رسول الله (ﷺ) بدرًا لميعاد أبي سفيان، فلم يأت، فرجع رسول الله (ﷺ).. ولم يلق كيدا.

فصل: في غزوة ذات الرقاع

ثم غزا رسول الله (ﷺ) ذات الرقاع، فلقي بها العدو قريبًا من عسفان، فصلى فيها صلاة الخوف، ثم انصرف الفريقان، ولم يكن بينهما قتل ورجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة.

فصل: في غزوة المُرَيْسِيع

ثم غزا رسول الله (ﷺ) بني المصطلق من خزاعة -فأغار عليهم، فغلبهم

وسباهم، واشترى جويرية بنت الحارث من ذلك السبي فأعتقها وتزوجها وكانت قد صارت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له، فكاتباها على تسع أواق من الذهب، فسألت رسول الله (ﷺ) في كتابتها، فأداها عنها وتزوجها، فأعتق المسلمون بسبب هذا الزواج مئة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا، وقالوا: أصهار رسول الله (ﷺ)، وقالت عائشة (رضي الله عنها): فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

وروي أن رسول الله (ﷺ) لما انصرف من بني المصطلق دفع جويرية وديعة إلى رجل من الأنصار وأمره أن يحتفظ بها، وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة، وجاء أبوها الحارث ليفتديها، فسأله عن البعيرين اللذين غيبا بالعقيق في شعب كذا وكذا، فنطق الشهادتين، لأنه عرف أن الذي أطلع الرسول على ما سبق هو الله وأسلم معه ابنان ودفع إليه ابنته جويرية فأسلمت وحسن إسلامها فخطبها رسول الله (ﷺ) إلى أبيها فزوجها إياه وأصدقها رسول الله (ﷺ) أربعمئة درهم.

فصل: في قصة الإفك

ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، وكان في ذلك الطريق شأن عائشة (رضي الله عنها) حين قذفت، فأقام (ﷺ) يسيرا.

فصل: في غزوة الخندق وبني قريظة

ألَّب حيي بن أخطب اليهودي قريشًا على رسول الله (ﷺ) بعد ما أجلاهم، فأقبل أبو سفيان معه ثم ألَّب غطفان، فأقبل بقريش وكنانة وغطفان، وسمع بهم رسول الله (ﷺ) فخرج إليهم على رأس أربع سنين من مقدمه المدينة ونزل المشركون المذاذ ورسول الله (ﷺ) قريبًا من سَلْع.

فخندق على نفسه وأقام أبو سفيان أربع عشرة ليلة وبعث الله عليهم ريحًا وبردًا شديدًا وذهب حيي بن أخطب ليقنع بني قريظة اليهود بنقض الحلف مع رسول الله (ﷺ) ففعلوا، فبعث رسول الله (ﷺ) يناشدهم العهد، فسبوا رسله ولم يخرجوا وظن أبو سفيان أن حيي قد فشل، فرجع ورجعت غطفان وفي ذلك أنزل الله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ (الأحزاب: ١٠)، فرجع الرسول (ﷺ) إلى المدينة فجاءه جبريل وأمره أن يتجه إلى بني قريظة، فحاصرهم ورفضوا أن ينزلوا على حكمه (ﷺ) وطلبوا حكم سعد الذي ضرب أعناقهم وسبى نساءهم، وأخذ أموالهم، فقسمها رسول الله (ﷺ) بين المسلمين.

فصل: في سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء

ثم بعث رسول الله (ﷺ) محمد بن مسلمة إلى القرطاء، فرجع ولم يلق كيدًا. وذلك في عشر ليال خلون من المحرم: فغاب تسع عشرة على رأس خمسة وخمسين شهرًا من الهجرة.

فصل: في غزوة بني لحيان من هُذَيل

ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، فأقام ما شاء الله له أن يقيم ثم غزا (ﷺ) بني لحيان من هذيل، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا.

فصل: في غزوة الغابة

أغار عيينة بن حصن على سرح المدينة، فذهب بها، ففر رسول الله (ﷺ) في طلبه وبعث على مقدمته سعيد بن زيد الأشهلي، فلحق عيينة فهزمه، واستنقذ السرح، ولحقهم رسول الله (ﷺ) بذي قرد ثم رجع إلى المدينة، لذا تسمى أيضًا بغزوة ذي قرد.

فصل: في سرية عكاشة بن محصن

بعث رسول الله (ﷺ) عكاشة بن محصن الأسدي، فرجع ولم يلق كثيرًا وكانت في ربيع الأول سنة ست من الهجرة.

فصل: في سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى

بعث رسول الله (ﷺ) زيد بن حارثة إلى وادي القرى، فلقي بن فزارة، فقتلوا ناسا من أصحابه، وأفلت جريحًا وكانت في رجب سنة ست.

فصل: بعث علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة

ثم بعث رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب إلى فدك، وزيد بن حارثة إلى أم قرفة، وعمر بن الخطاب إلى قرية من أرض بني عامر، وأبا العوجاء السلمي إلى أرض بني سليم، فسلموا جميعًا إلا أبا العوجاء أصيب هو وأصحابه جميعًا.

قوله: «إلى فدك»:

يعني: إلى بني سعد بن بكر وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة، حيث بلغ رسول الله (ﷺ) أن لهم جمعًا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فأغار عليهم وغنم نعمًا وشاء.

قوله: (إلى أم قرفة):

واسمها: فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية عم عيينة بن حصن، بناحية وادي القرى، على سبع ليال من المدينة، وذلك في رمضان، لما بلغ النبي (ﷺ) أنها جهزت ثلاثين من ولدها وولد ولدها ليقتلوا النبي (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ): «اللهم اثكلها بولدها»، كانت تسب النبي (ﷺ): وقتلها قيس بن المحسّر قتلاً عنيفًا؛ ربط بين رجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين، ثم زجرهما فذهبا فقطعاها.

قوله: «**إلى قرية من أرض بني عامر**»:

أظنه أراد سريته إلى تربة، إلى عجز هوازن بناحية العبلاء، على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران وكانت في شعبان سنة سبع فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدًا فانصرف راجعًا إلى المدينة.

فصل: في سرية ابن رواحة إلى يُسَيْر بن رزَام

ثم بعث رسول الله (ﷺ) عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فقتل يُسَير بن رزام في ثلاثين رجلاً فقد كان يسير في غطفان يجمعهم لحرب رسول الله (ﷺ).

فصل: في سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع

ثم بعث رسول الله (ﷺ) عبد الله بن عتيك، فقتل أبا رافع بن أبي الحقيق.

فصل: في قصة الحديبية

تجهز رسول الله (ﷺ) في ذي القعدة سنة ست، فخرج للعمرة، وهو لا يريد قتالاً، خرج ومعه ألف وستمئة رجل، وساق سبعين بدنة، حتى إذا كان بالحديبية أرسل (ﷺ) عثمان بن عفان يستأذن على أهل مكة ليعتمر، فأبوا واحتبس عثمان (رضي الله عنه) فظن رسول الله (ﷺ) أنهم قتلوه، فقال (ﷺ): «أتبايعونني على الموت»، فبايعوه تحت الشجرة، فتلك بيعة الرضوان، ثم إنهم اصطلحوا على أن ينصرف عنهم، ويرجع من العام المقبل، فيحلوا ثلاثة أيام، فصالحهم رسول الله (ﷺ) وكتب بينهم كتابًا، فنحر رسول الله (ﷺ) هديه، ثم جلس فحلق رأسه ونحر أصحابه بدنهم، وحلقوا رؤسهم.

فصل: في غزوة خيبر

ثم غزا رسول الله (ﷺ) خيبر، فحلَّ بها، ثم حاصرهم، وقاتلوه، فبعث رسول

الله (ﷺ) ناسًا من أصحابه فهزموا، حيث بعث أبا بكر برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل، فرجع ولم يك فتحًا، وقد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب الغد فقاتل، ثم رجع ولم يك فتحًا وقد جهد، فقال (ﷺ): «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار»، فدعا علي بن أبي طالب وهو أرمد فتفل في عينيه، ثم قال (ﷺ): «خذ هذه الراية فامض بها يفتح الله عليك»، فخرج بها يهرول وخلفه سلمة بن الأكوع يتتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: يقول اليهودي: غلبتم وما أنزل على موسى -أو كما قال، قال: فما رجع حتى فتح الله (عَزَّ وَجَلَّ) على يديه، فضرب رسول الله (ﷺ) أعناقهم، وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم وأخذ من سبيهم صفية بنت حيي، فأعتقها، وتزوجها.

فصل: في سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك

وبعث رسول الله (ﷺ) بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك، فرجع ولم يلق كيدًا.

قوله: «**فرجع ولم يلق كيدًا**».

لعله ذهول من المصنف، فقد قال غير واحد من أهل السير والمغازي إنهم قوتلوا وأصيبوا، وقد ذكر المصنف سرية غالب بن عبد الله إلى بني مرة، وإنما كانت لمصاب أصحاب بشير، قال ابن سعد: خرج يلقى رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل: في بواديهم، فاستاق النعم والشاء وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم، فأدركه الدهم منهم عند الليل، فأتوا يرامونهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير، وأصبحوا، فحمل المريون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتث، وضرب كعبه، فقيل: قد مات، ورجعوا

بنعمهم وشائهم، وقدم عليه بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله (ﷺ) ثم قدم من بعده بشير بن سعد.

فصل: في عمرة القضية

ثم دخلت سنة سبع فاعتمر رسول الله (ﷺ) والذين شهدوا معه الحديبية فخرج ومعه ستون بدنة، فمضى حتى دخل مكة، فطاف بالبيت أسبوعًا على ناقته، يستلم الركن بمحجنه، وأقام بها ثلاثة أيام، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، ثم خرج فابنتى بها بسرف.

فصل: سياق آخر لقصة الحديبية وعمرة القضية

في سنة ست أنزل الله (عز وجل) على النبي (ﷺ) ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٨)، فخرج (ﷺ) معتمرًا وأحرم من ذي الحليفة وصده المشركون في الحديبية، وصالحوه على أن يعود العام المقبل، ويخلون له مكة ثلاثة أيام، ويصعدون إلى رؤس الجبال، وهادنهم على ترك القتال عشر سنين، فأحل إحرامه، ونحر سبعين بدنة، ورجع إلى المدينة، ثم فتح خيبر وقسمها بين أهل بيعة الرضوان وكانوا ألفا ومئتي راجل ومئتي فارس، وفي العام القابل أحرم بالعمرة من ذي الحليفة في ذي القعدة ثم دخل مكة فأقام بها ثلاثة أيام وأراد المشركون الغدر بالنبي (ﷺ) وأصحابه ظنًا منهم أن حمى يثرب قد أنهكتهم، فأطلع الله نبيه فأظهروا الجلد فرملوا وسعوا فعلم المشركون قوتهم، ثم تزوج النبي (ﷺ) ميمونة الهلالية قبل عمرته، ولم يدخل بها إلا في سرف على عشرة أميال من مكة ثم سار للمدينة.

فصل: في سرية كعب بن عُمَيْر الغفاري إلى ذات أطلاح

ثم رجع النبي (ﷺ) إلى المدينة وبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات

أطلاح من أرض الشام فأصيب هو وأصحابه جميعًا.

فصل: في غزوة مؤتة

رجع النبي (ﷺ) إلى المدينة فأقام حتى دخلت سنة ثمان، ثم بعث زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام فأصيبوا بها جميعًا، وفتح من بعدهم على يد خالد بن الوليد، ومؤتة من عمل البلقاء دون دمشق وكانت في جمادى الأولى ذلك أن النبي (ﷺ) بعث الحارث ابن عمير إلى ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو السلمي فقتله صبرًا.

فصل: في سرية غالب بن عبد الله

وبعث رسول الله (ﷺ) غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فقتل وأسر وكانت في صفر سنة ثمان.

فصل: في سرية عيينة بن حصن

وبعث رسول الله (ﷺ) عيينة بن حصن إلى أرض بني العنبر فقتل وأسر.

فصل: في غزوة ذات السلاسل

وبعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل سنة تسع.

فصل: في ذكر سبب مسيره إلى مكة وفتحها

في العام الثامن من الهجرة نقض أهل مكة صلح الحديبية بمعاونتهم بني نفاثة على خزاعة أحلاف النبي (ﷺ)، فعرفوا أن رسول الله (ﷺ) في المدينة وجاء صارخهم النبي (ﷺ) وقال:

لاهــمَّ إنــي نــاشــد مـحـمـدًا   حـلـف أبـيـنـا وأبـيـه الأتـلـدا

إن قـريشًـا أخـلـفـوا المـوعـدا ونـقـضـوا عـهـده المـؤكـدا
وقـتـلـونـا ركـعًـا سـجـدًا وهـم أذل وأقـل عـددًا

فقال رسول الله (ﷺ): «لا نصرت إن لم أنصر خزاعة»، وسُرَّ رسول الله (ﷺ) بنقض الهدنة، ونصر رسول الله (ﷺ) خزاعة، فخرج (ﷺ) في رمضان، ودخل من غير إحرام، ثم أقام بها سبعة وعشرين يومًا ثم خرج ففتح الله عليه وقسم غنائمها.

فصل: سياق آخر في سبب مسيره (ﷺ) لفتح مكة

اقتتلت بكر وخزاعة فنصرت قريش بكرًا بالسلاح، فنقضوا وجاء نذير خزاعة، فخرج رسول الله (ﷺ) إلى قريش في عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وسائر العرب، وقرب مكة أسروا أبا سفيان، ثم عفا عنه رسول الله بطلب من عمه العباس، وبعثه رسول الله (ﷺ) إلى مكة ينادي أن من دخل داره وألقى السلاح فهو آمن، وقال أبو سفيان: أتاكم ما لا قبل لكم به فألقى الناس السلاح ودخل رسول الله (ﷺ) الكعبة، وضرب رؤس الأصنام، وكانت ثلاثمئة وستين صنمًا بعصى كانت معه (ﷺ) يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

فصل: في ذكر استلامه (ﷺ) مفتاحي بيت الله والسقاية

يوم فتح مكة بعدما طاف على راحلته جلس في المسجد والناس حوله ثم أرسل بلالًا إلى عثمان بن طلحة يأمره بإحضار مفتاح الكعبة وطلب مفتاح الكعبة من أمه فرفضت فحذرها فلما سمعت صوت عمر حين رأى إبطاء عثمان من خارج الدار فقالت: يا بني خذ المفتاح، وجاء إلى النبي (ﷺ) فدفعه إليه (ﷺ).

وعن عبد الله قال: أقبل رسول الله (ﷺ) عام الفتح على ناقة لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة، فقال ائتني بالمفتاح، فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه، فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي -أو ظهري-، قال: فأعطته إياه، فجاء به إلى النبي (ﷺ) فدفعه إليه، ففتح الباب، فدخله رسول الله (ﷺ) وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأجافوا عليهم الباب مليًا، ثم فتح الباب -والكلام لعبد الله بن عمر- وكنت فتى قويًا، فبدرت وزاحمت الناس، فكنت أول من دخل الكعبة، فرأيت بلالاً عند الباب فقلت له: يا بلال أين صلى رسول الله (ﷺ)؟ قال: بين العمودين المقدمين وكانت الكعبة على ستة أعمده، ونسي أن يسأله كم صلى (ﷺ)؟

وقيل: إنها قالت: ادفع إلى رسول الله (ﷺ) وقل: بالأمانة، فجاء به إلى رسول الله (ﷺ) وقال: بالأمانة، فأخذه رسول الله، وكان قد قبض السقاية من العباس، فلما خرج رسول الله (ﷺ) من البيت وقف على الباب وفي يده المفتاح.

ثم جعله في كمه، فخطب، ثم جلس، فقال له العباس -وبسط يده- بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اجمع لنا السقاية والحجابة، فهمّ رسول الله (ﷺ) أن يجمع لعمه العباس بين السقاية والحجابة، فهبط جبريل (عليه السلام) وقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ (النساء: ٥٨) فقال (ﷺ): ادع لي عثمان، وقال (ﷺ): خذوها يا بني طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم، يا عثمان إن الله تعالى استأمنكم على بيته فخذوه بأمانة الله.

وقال عثمان: فلما ولّيت ناداني، فرجعت إليه فقال (ﷺ): «ألم يكن الذي قلت لك؟» قال: فذكرت قوله لي بمكة، فقلت: بلى، إنك رسول الله، فأعطاه المفتاح.

وكان (ﷺ) قد قال له من قبل: «لعلك يا عثمان سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت»، فقال عثمان: لقد هلكت إذًا قريش وذلت، فقال رسول الله (ﷺ): «بل عمرت وعزت يومئذ».

فصل: في غزوة حنين

وأقام رسول الله (ﷺ) بمكة بقية شهر رمضان والنصف من شوال ثم بلغه أن هوازن وثقيفًا قد ساروا إليه بأموالهم وذراريهم، يقودهم مالك بن عوف النصري، فاستنفر رسول الله (ﷺ) إليهم الناس، ثم خرج معه اثنا عشر ألف رجل، عشرة آلاف من أهل المدينة ومن حولهم من العرب وألفان من أهل مكة، فالتقوا بحنين فحملت عليهم هوازن حملة فانكشف الناس عنه وولوا مدبرين، وثبت رسول الله (ﷺ) في نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فحفوا به وهو على بغلته الشهباء،والعباس آخذ بحكمة بغلته وهو ينادي: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة إليَّ أنا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ) لعمه العباس بن عبد المطلب. صح في الناس، فنادى العباس بصوت عال: أين المهاجرون الأولون؟! أين أصحاب الشجرة؟! هذا رسول الله، فكرَّ المسلمون عليهم راجعين، فاصطكوا بالسيوف، فقال رسول الله (ﷺ) لأبي سفيان بن الحارث: ناولني ترابًا من الأرض، فناوله من الحصباء كفًا فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فانهزم المشركون وأخذت فرقة منهم إلى الطائف، وأخرى إلى أوطاس فأصيب منهم قتلى، وأموال كثيرة، وسبا المسلمون منهم ستة آلاف، فقال العباس (رضي الله عنه):

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة ... وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه ... بما مسه في الله لا يتوجعُ

وأصل القصة في الصحيحين، من حديث أبي إسحاق السبيعي قال: جاء

رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على النبي (ﷺ) ما ولَّى، ولكنه انطلق إخفاء من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله (ﷺ) وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول (ﷺ):

«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزِّل نصرك».

قال البراء: كنا والله إذا احمّر البأس نتقي برسول الله (ﷺ) وإن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني: النبي (ﷺ) وقال ابن إسحاق: ثبت معه (ﷺ) من المهاجرين: أبو بكر، وعمر.

فصل: في غزوة أوطاس

وبعث رسول الله (ﷺ) عبد الله بن قيس الأشعري إلى من أخذ منهم ناحية أوطاس، فقاتلوه، فهزمهم وولوا مدبرين.

فصل: في غزوة الطائف

ومضى رسول الله إلى الطائف فحصرها وأسلم مالك بن عوف رئيس هوازن -وأقام رسول الله بها خمسة عشر يومًا، ثم انصرف ورجع منها وتركها ولم يؤذن له في فتحها، حتى نزل بالجعرانة فقسم غنائم حنين بين أصحابه، ثم اعتمر من الجعرانة، ودخل مكة معتمرًا وفرغ من عمرته ليلاً ثم خرج إلى المدينة وأمَّر رسول الله (ﷺ) على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص، وخلف معه معاذ بن جبل (رضي الله عنه) وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن ويفقهان في الدين.

فصل: في غزوة تبوك

ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، فأقام بها، ودخلت سنة تسع فتجهز

رسول الله (ﷺ) لخروجه في غزوة تبوك -وهو يريد الروم، فأرسل إلى من حوله من العرب فأتوه، ثم خرج ومعه زيادة على ثلاثين ألفًا- وهو جيش العسرة - وفيها ظهر النفاق.

وبعث رسول الله (ﷺ) خالد بن الوليد من الطريق في ثلاثمئة رجل إلى دومة الجندل ومضى هو إلى تبوك، فلم يلق بها كيدا ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، وبعث عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة، وبعث خالد بن الوليد إلى نجران في ستمئة.

فصل: في بعثه (ﷺ) أبا بكر بالحجِّ

وأقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة حتى دخلت سنة تسع، فبعث رسول الله (ﷺ) أبا بكر الصديق أميرًا على الحج، فأقامه للناس، فحج المشركون فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ) أول براءة، فبعث رسول الله (ﷺ) ثلاثين آية منها مع علي بن أبي طالب فقرأها على الناس يوم عرفة فقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ (التوبة: ١)، يعني: من أهل العهد، وقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ (التوبة: ٢)، يقول: سيروا في الأرض أربعة أشهر حيث شئتم آمنين، فجعل مدة أهل العهد أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر من ربيع الآخر، وجعل من لا عهد له أجله خمسين يومًا من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ (التوبة: ٥).

فقرأها عليهم علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وقال: لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان له عند النبي (ﷺ) عهد فهو على مدته، وأن الله بريء من المشركين.

ثم رجع أبو بكر وعلي (رضي الله عنهما) إلى المدينة، فأقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة، وكتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله، وبعث إليهم رسله.

ثم حج رسول الله (ﷺ) هو وأزواجه وأهله أجمعون، وليس معه أحد من المشركين، فنَزلت عليه يوم عرفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (المائدة: ٣) يعني: أمره ونهيه، فلم ينزل بعد هذه حلال، ولا حرام، ولا فريضة، غير آيتين من آخر سورة النساء - وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ (النساء: ١٧٦)، إلى آخر السورة -ثم قال تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، يعني: بالإسلام، أي: حججتم وليس معكم مشرك،وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ﴾ يعني: اخترت ﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة: ٣) فليس دين أرضى عند الله من الإسلام.

فنزلت هذه الآية والناس وقوف بعرفات، فبركت ناقة رسول الله (ﷺ) من ثقل القرآن، وعاش النبي (ﷺ) بعد ذلك إحدى وثمانين ليلة (ﷺ) وعلى آله.

وفي سياق آخر، أرسل رسول الله (ﷺ) أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) حاجًا بالناس من المدينة في سنة تسع، فلما بلغ العرج قام يصلي بالناس صلاة الصبح، فسمع وغاء ناقة رسول الله (ﷺ) العضباء، فوقف ولم يكبر وقال: لعل رسول الله (ﷺ) قد عزم على الحج، فإذا بعلي (رضي الله عنه) راكبها، فقال: يا أبا الحسن أنت أمير أم رسول؟ قال: بل رسول، إن الله تعالى أنزل على نبيّه (ﷺ) سورة براءة، وأمره أن يقرأها على أهل مكة، وقال: لا يؤديها عنك إلا رجل من قومك فخرجا إلى مكة، وكان أبو بكر أميرًا وعلي (رضي الله عنه) رسولاً مبلغًا، فإذا خطب أبو بكر (رضي الله عنه) قام علي (رضي الله عنه) فأدى الرسالة وقرأ براءة على الناس وأعلمهم أن لهم تأجيل أربعة أشهر يسيحون في الأرض ثم لا أمان لهم.

باب في حج رسول الله (ﷺ)

عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: جئت إلى رسول اله (ﷺ) بعرفة، فأتاه نفر من أهل نجد فقالوا: الحج الحج يا رسول الله، قال (ﷺ): «الحج

يوم عرفة، فمن جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه، أيام من ثلاثة أيام ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ (البقرة: ٢٠٣) ثم أردف رجلاً فجعل ينادي بهن، فلما كان في العام المقبل -وهي سنة عشر من الهجرة- خرج رسول الله (ﷺ) حاجًا من المدينة، فصلى الجمعة بالمدينة لخمس بقين من ذي القعدة، وصلى العصر والمغرب والعشاء بذي الحليفة ثم أحرم منها بالحج وأحرم من معه، وقدموا مكة يوم الأحد الخامس من ذي الحجة فطاف وسعى، وانتظر (ﷺ) أمر الله سبحانه وتعالى أن من كان منهم ساق هديًا فليقم على إحرامه، ومن لم يسق هديًا فليحل بعمرة ولم يكن أحدمنهم ساق هديًا غير رسول الله (ﷺ) فإنه (ﷺ) كان قد ساق سبعين بدنة -فأقام على إحرامه، وأمر الناس بالإحلال ودخل رسول الله (ﷺ) على أم سلمة وهو غضبان، فقالت: يا رسول الله ما الذي أغضبك؟ فقال (ﷺ): «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة»، فقالوا: يا رسول الله أي الحل نحل؟ قال (ﷺ): «الحل كله» وفي رواية: فقالوا: نحل ونصيب النساء، ونخرج إلى منى ومذاكيرنا تقطر منيًا؟ فلم يزل بهم (ﷺ) حتى أحلوا، وأمرهم أن يحرموا يوم التروية من الأبطح، ويخرجوا إلى منى، وقدم علي بن أبي طالب (ﷺ) وأبو موسى الأشعري من اليمن، فقال لهما رسول الله (ﷺ): «بما أحرمتما؟» فقالا: قلنا: إهلالا كإهلال رسول الله (ﷺ) فعرفهما ما نزل عليه، وكان مع علي (رضي الله عنه) ثلاثون بدنة فأقام على إحرامه ولم يكن مع أبي موسى الأشعري شيء فأحل، وأحل الناس كلهم إلا النبي (ﷺ) وعلي بن أبي طالب (ﷺ) لسوقهما الهدي، وحجا مفردين، وأحرم الناس بالحج، وكانوا متمتعين، فمنهم من نحر وأكثرهم صام، ونحر رسول الله (ﷺ) عن متعة أزواجه البقر.

ولا ينسى في الموقف السابق دور الزوجة المؤمنة العاقلة الزكية عندما قال

(ﷺ): «لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل»، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فصل: في الوقوف بعرفة

وقال (ﷺ): خذوا عني مناسككم، عن جابر قال: رأيت رسول الله (ﷺ) يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» وخرج (ﷺ) إلى منى ضحوة النهار حتى صلى الصبح ودفع إلى عرفة وضربت له قبة من شعر بنمرة فنزل بها حتى زالت الشمس، فخطب خطبتين في مسجد إبراهيم وصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين بأذان وإقامتين ثم راح إلى الموقف فاستقبل القبلة واستدبر الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه وكان يوم جمعة وأنزل عليه بعرفة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (المائدة: ٣) فما زال يدعُو ويحرض الناس على الدعاء حتى غابت الشمس.

وعن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة: ٣)، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي (ﷺ) وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

فصل: في إفاضته (ﷺ) إلى المزدلفة

أفاض (ﷺ) إلى المزدلفة ورديفه أسامة بن زيد فبلغ بعض الشعاب فتوضأ وجمع بين المغرب والعشاء بإقامتين من غير أذان وبات (ﷺ) ثم أصبح فصلى الصبح ووقف على المشعر الحرام، فأطال ثم تبسم لأنه رأى إبليس يحثو التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور، لما علم أن الله استجاب له (ﷺ) في أمته.

فصل: في إفاضته (ﷺ) إلى منى

فلما كادت الشمس أن تطلع أفاض (ﷺ) إلى منى، فرمى ونحر وحلق، وطاف بالبيت أسبوعًا، ورجع إلى منى فصلى الظهر وخطب في الناس خطبة الوداع وكانت في اليوم الثاني من أيام التشريق.

وأكثر ما وجدت مما ذكر فيها:

أن رسول الله (ﷺ) خطب الناس في حجته بمنى - يعني: في وسط أيام التشريق -قال:

يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟

قالوا: في يوم حرام، وفي شهر حرام، وفي بلد حرام.

قال: فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم القيامة أيها الناس استمعوا مني تغنموا، ألا إنه لا يحل مال أمرئ مسلم إلا بطيب نفس، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هاتين إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب -كان مسترضعًا في بني ليث، فقتله هذيل.

ألا وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ألا وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم.

ألا لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض.

ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكنه في التحريش بينكم.

واتقوا الله في النساء، فإنهن عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإن لكم عليهن حقًا ألا يوطئن فرشكم أحدًا غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه، فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذ تموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

ألا ومن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها أيها الناس: إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ثم بسط يديه (ﷺ) فقال: «ألا هل بلغت - ثلاثًا- ثم قال: ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع».

ثم رجع إلى المدينة (ﷺ) فنزل وهو في الطريق قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١)، فأقام (ﷺ) بها إلى أن مات (ﷺ) في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وكانت بين خروجه من مكة ووفاته ثمانون ليلة وكانت وفاته أعظم مصيبة حلت بالأمة الإسلامية وبذلك يثبت أنه (ﷺ) لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع، واعتمر عمرتين، عمرة في سنة سبع وهي التي تُسمَّى عمرة القضية، بعد أن صده المشركون عن العمرة بالحديبية فأحل ورجع، وعمرة من الجعرانة في سنة ثمان بعد فتح مكة فهذا جميع إحرامه (ﷺ) بعد نزول فرض الحج والعمرة عليه.

فصل: في بدء مرض وفاته (ﷺ)

ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة المنورة فاشتكى في آخر صفر، وكان

آخر ما نزل من القرآن ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ (البقرة: ٢٨١) فعاش رسول الله (ﷺ)، بعد هذه الآية تسع ليال، ثم مات بأبي وأمي يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة عشر (ﷺ) وعلى آله.

واشتكى رسول الله (ﷺ) يوم الأربعاء لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة واجتمع عنده نساؤه كلهن، اشتكى ثلاثة عشر يومًا، وتوفي الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

باب: في وفاة النبي

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبرني أبو مويهبة مولى رسول الله (ﷺ) قال:

هجّدني رسول الله (ﷺ) من جوف الليل وأنا معه في بعض بيوته فقال: يا أبا مويهبة إني قد أُمِرتُ أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي.

قال: فانطلقت معه، فلماوقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم.

يا أبا مويهبة: إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة».

قال قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها.

فقال (ﷺ): «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، قال: ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ رسول الله (ﷺ) في وجعه الذي مات

فيه، عن عائشة أنه رجع بعد أن استغفر لأهل البقيع فوجدها تشكو صداعًا في رأسها فأخبرها أنه (ﷺ) يعاني صداعًا شديدًا، واستأذن نساءه في أن يمرض في بيت عائشة فأذنَّ له فخرج (ﷺ) يمشي بين الفضل بن العباس ورجل آخر حتى دخل بيتي، واشتد به المرض وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس وأغمي عليه (ﷺ) فلما أفاق قال (ﷺ): «أهريقوا علي من سبع قرب من آبار شتى، فصبوا عليه (ﷺ) إلى أن قال: «حسبكم»، ويوم الاثنين الذي توفي فيه خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر على باب عائشة (رضي الله عنها).

فكاد المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله (ﷺ) حين رأوه، وتفرّجوا فأشار إليهم (ﷺ) بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، قال: وتبسم رسول الله (ﷺ) سرورًا بما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله (ﷺ) أحسن هيئة منه تلك الساعة.

قال: ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله (ﷺ) قد أفرق من وجعه، ورجع أبو بكر إلى أهله بالسنح.

وفي رواية قالت عائشة: رجع رسول الله (ﷺ) من البقيع فدخل عليّ فوجدتني وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه: قال (ﷺ): «بل أنا والله يا عائشة وارأساه»، ثم قال: وما يضرك لو مت قبلي فقمت عليك فكفنتك، ثم صليت عليك ودفنتك؟ قالت (رضي الله عنها) والله لكأني بك لو فعلت ذلك قد رجعت إلى بيت فأعرست فيه ببعض نسائك، قال: فتبسم رسول الله (ﷺ)، قال: وتتام به وجعه حتى استعذبه وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فسألهن أن يأذنَّ له أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج رسول الله (ﷺ) يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر، تخط قدماه، عاصبًا رأسه حتى جاء بيتي، قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فحدثت هذا الحديث عبد

الله بن عباس قال: تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا قال: علي.

ثم أغمي على رسول الله (ﷺ) واشتد به وجعه، ثم أفاق، قال: اهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، قال: فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر فصببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده حسبكم حسبكم ثم خرج عاصبًا رأسه، فجلس على المنبر فكان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد فأكثر عليهم الصلاة، ثم قال: «إن عبدًا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله»، قال: ففهمها أبو بكر فبكى وعرف أن رسول الله نفسه يريد قال: «على رسلك يا أبا بكر انظروا هذه الأبواب اللاصقة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر، فإني لا أعلم أحدًا كان أفضل عندي في الصحبة».

فصل: في نعيه (ﷺ) نفسه لابنته فاطمة (رضي الله عنها)

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ودلاً وهديًا برسول الله (ﷺ) في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وكانت إذا دخلت على النبي (ﷺ) قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (ﷺ) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسه، فلما مرض النبي (ﷺ) دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا، فإذا هي من النساء، فلما توفي النبي (ﷺ) قلت لها: أرأيت حين أكببت على النبي (ﷺ) فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت، ما حملك على هذا؟ قالت: إني إذا لبذرة، أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقًا بهن فذاك حين ضحكت.

فصل: في ما جاء في آخر خطبة خطبها (ﷺ)
ووصيته بالأنصار، وصلاته على الشهداء

أخذ النبي (ﷺ) في مرضه بيد العباس ليخرج فيودع الناس ويعهد إليهم فصعد المنبر فخطب خطبة طويلة وفي آخرها ذكر شهداء أحد فدعا لهم وترحم عليهم وصلى عليهم وقال: «ائتوهم فزوروهم وسلموا عليهم»، فكان كالمودع.

عن ابن عباس عنه قال: جاءني رسول الله (ﷺ)، فخرجت إليه، فوجدته موعوكًا قد عصب رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى انتهى إلى المنبر، فجلس عليه، ثم قال: صح في الناس، فصحت في الناس، فاجتمعوا إليه، فحمد الله (عز وجل) وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيها الناس، إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليستقد منه، ولا يقولون رجل إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي، ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ حقًا إن كانٍ أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس، ألا وإني لا أرى ذلك بمغن عني حتى أقوم فيكم مرارًا»، ثم نزل (ﷺ)، فصلى الظهر، ثم عاد إلى المنبر، فعاد إلى مقالته في الشحناء وغيرها، ثم قال: «أيها الناس، من كان عنده شيء فليرده، ولا يقول: فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: «أما إنا لا نكذب قائلاً، ولا نستحلفه على يمين، فلم صارت لك عندي؟» قال: تذكر يوم مر بك السائل فأمرتني فدفعت إليه ثلاثة دراهم؟ قال: «ادفعها إليه يا فضل»، ثم قام إليه رجل، فقال: يا رسول

الله، عندي ثلاثة دراهم، كنت غللتها في سبيل الله، قال: «ولم غللتها؟» قال: كنت إليها محتاجًا، قال: «خذها منه يا فضل»، ثم قال (ﷺ): «من خشي منكم شيئًا فليقم أدع له»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني لكذاب وإني لمنافق، وإني لنؤوم، فقال: «اللهم ارزقه صدقًا وإيمانًا، وأذهب عنه النوم إذا أراد»، ثم قام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني لكذّاب وإني لمنافق، وما من شيء من الأشياء إلّا وقد أتيته، فقال عمر: يا هذا، فضحت نفسك، فقال (ﷺ): مه يا ابن الخطاب، فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة، اللهم ارزقه صدقًا وإيمانًا وصير أمره إلى خير»، فتكلم بكلمة، فقال رسول الله (ﷺ): «عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان».

ولما رأت الأنصار أن رسول الله (ﷺ) يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد فدخل العباس (رضي الله عنه) على النبي (ﷺ) فأعلمه بمكانهم، ثم دخل عليه الفضل (رضي الله عنه) فأعلمه بمثل ذلك، فمد يده، فتناولوه، فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون نخشى أن نموت، فثار النبي (ﷺ) فخرج متوكئًا على عليّ والفضل،والعباس (رضي الله عنه) أمامه والنبي معصوب الرأس يخط برجله، حتى جلس أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس بلغني أنكم تخافون عليّ الموت كافة استنكارًا منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم؟! ألم أنع لكم وتنع لكم أنفسكم؟ هل خلد نبي قبلي ممن بعث إليه فأخلد فيكم؟ ألا إني لاحق وإنكم لاحقون به، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرًا» وأوصى المهاجرين فيما بينهم وأن الله (عز وجل) قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ (العصر: ١، ٢) إلى آخرها – وإن الأمور تجري بإذن الله تعالى، فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله (عز وجل) لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ (محمد: ٢٢) وقال (ﷺ): وأوصيكم بالأنصار خيرًا

فهم الذين تبوَّؤا الدار والإيمان، أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم الثمار؟ ألم يتوسعوا عليكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وأنا فرط لكم وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض حين أعرض مما بين بصرى والشام وصنعاء اليمن فصب فيه ميزاب الكعبة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، من يشرب منه لم يظمأ أبدًا، حصباؤه اللؤلؤ، وبطحاؤه في مسك من حرمه في الموقف غدًا حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرد عليّ غدًا فليكفف يده ولسانه إلا مما ينبغي.

عن ابن مسعود أن النبي (ﷺ) نعى إليهم نفسه (ﷺ) قبل موته بشهر، فجمعهم في بيت عائشة، ثم دمعت عيناه، وتشدد ثم رحب بنا ودعا وزاد وأوصانا بتقوى الله ثم تلا قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)، فقلنا يا رسول الله متى أجلك؟ قال (ﷺ) دنا الفراق، والمنقلب إلى الله (عَزَّ وَجَلَّ)، إلى الجنة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى، وإلى الحظ الأوفى، وإلى العيش المهنى، قلنا يا رسول الله من يغسلك؟ قال: رجال من أهلي الأدنى فالأدنى، قلنا يا رسول الله فيما نكفنك؟ قال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر أو في حلة يمانية -وهو برد- قلنا يا رسول الله فمن يصلي عليك؟ فبكى وبكينا، قال: مهلاً يرحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرًا، إذ أنتم غسلتموني وكفنتموني، فضعوني على سريري هذا على شفير قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة، ثم سائر الملائكة، ثم ادخلوا عليَّ فوجًا فوجًا، ونصحهم بالهدوء، وأن يبدأ الرجال

بالصلاة ثم النساء، وقالوا: من يدخل قبرك؟ قال (ﷺ) أهلي ورجال من أهل بيتي مع ملائكة كثيرة ثم قال (ﷺ): اللهم في الرفيق الأعلى.

وعن ابن عباس: أن الرسول (ﷺ) صعد المنبر قبل وفاته بأيام فخطب وأوصى بالأنصار وبين فضلهم وأمرهم بإنفاذ جيش أسامة وأن لا يدعوا في جزيرة العرب دينين مختلفين.

جاء بلال في اليوم الثالث فأذن لصلاة الفجر والرسول (ﷺ) مجهد تعب فبكى بلال وقال: ما ترك حبيبي الخروج إلى الصلاة من جهد جهيد، قال: فمكث قليلاً ثم رجع فقال: يا رسول الله الصلاة، فقال النبي (ﷺ) قد بلغت يا بلال، من شاء فليصل، ومن شاء فليترك، فخرج بلال من عنده وهو يقول: واحزني لما أرى من جهدك يا رسول الله، قال: ثم عاد ثالثًا، فقال: الصلاة يرحمك الله، فقال النبي (ﷺ) لعبد الله بن زمعة: مُروا رجلاً يصلي بالناس فصلى عمر بالناس، فجهر بصوته -وقد كان جهير الصوت- فسمع رسول الله (ﷺ) فقال: أليس هذا صوت عمر؟ فقالوا: بلى يا رسول الله: فقال (ﷺ): يأبى الله ذلك والمؤمنون، ليصل بالناس أبو بكر، فقال عمر لعبد الله بن زمعة: بئس ما صنعت، كنت أرى أن رسول الله (ﷺ) أمرك أن تأمرني، قال: لا والله ما أمرني أن آمر أحدًا.

وفي بعض الأخبار: مروا أبا بكر يصلي بالناس، فقالوا لأبي بكر: إن رسول الله (ﷺ) يأمرك أن تصلي بالناس، وأقام بلال، فلما كبر أبو بكر وجد رسول الله (ﷺ) خفة في بدنه، فخرج إلى الصلاة، فلما رأى الناس سبحوا وكبّروا، فالتفت أبو بكر (رضي الله عنه) فرأى النبي (ﷺ) فأراد أن يتأخر، فقال له رسول الله (ﷺ) مكانك، وجلس عن يمينه، فلما فرغ من الصلاة ودخل المنزل فهبط جبريل وملك الموت، وهبط معهما ملك يقال له: إسماعيل في سبعين ألف

ملك ليس منهم ملك إلا معه سبعون ألف ملك -فيسبقهم جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى جلس عند رأس رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وجاء ملك الموت فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت، ومنتهى الرحمة، ومبلغ الرسالة، أأدخل؟ فقالت فاطمة يا عبد الله إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عنك مشغول، ثم نادى ثانيًا وثالثًا، فقال جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، لم يستأذن على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك.

فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «يا جبريل ائذن له فليدخل».

فأقبل ملك الموت حتى وقف بين يدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: يا أحمد، إن الله (عَزَّ وَجَلَّ) أمرني أن أطيعك في كل ما أمرتني به، فإن رضيت قبضتها، وإن كرهت تركتها فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا ملك الموت امض لما أُمرت به، فقال جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا أحمد هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنت أنت حاجتي، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا جبريل عند شدتي تتركني؟ فقال جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يا أحمد لا أستطيع أن أنظر إليك وأنت تعالج غصص الموت.

قال: فعرج جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فدنت عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لقد رضيتك قبل اليوم، وأنت زوجي في الآخرة، ثم دنت فاطمة وقالت: بأبي أنت وأمي لا تجعلني أهون أهلك عليك، كلمني كلمة تطيب بها نفسي، فكلمها، ودنا الحسن والحسين فكلماه فكان يكثر تقبيلهما وشمهما وقعدا بين يديه وكلماه فلم يجبهما رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما به من سكرات الموت، فلما رأيا ذلك بكيا بكاءً شديدًا وكلمه الحسن بكلام فلم يزل يبكي حتى بكى أهل البيت لبكائه ففتح رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عينيه وقال: ما هذا الصوت؟ قالت فاطمة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): ابناي كلماك فلم تجبهما فبكيا بكاءً شديدًا، فبكى لهما أهل البيت فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ادنوا، فدنوا فقبلهما، ووضع رأسيهما عليه فبكوا جميعًا.

وطلب النبي (ﷺ) من عليّ بن أبي طالب قدحًا من الماء، فجعل يدخل يده في القدح ويمرها على وجهه ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت، فقالت فاطمة (رضي الله عنها) واكرباه لكربك يا أبت، فقال النبي (ﷺ): لا كرب على أبيك بعد اليوم.

قال: فلم يزالوا كذلك من صلاة الفجر إلى الضحى والباب مغلق وذلك يوم الاثنين، فقبض رسول الله (ﷺ) فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم شخص ببصره وأرادوا إغماض عينيه (ﷺ) وضم فيه، فأراد علي أن يفعل ذلك، فإذا عيناه قد غمضتا، وضم فوه وبسطت يداه ورجلاه (ﷺ) وجعلت فداه، فلم يمس على غير رأسه وسطعت رائحة طيبة لم يجدوا مثلها قط، وسمعوا حفيف أجنحة الملائكة وكثرة استرجاعهم وهم لا يرون أحدًا وقيل: إنه كان في حجر عائشة.

فصل في ذكر ما روي من التشديد على الأنبياء عند الموت وسببه

قيل: إن الله (عز وجل) ضاعف على نبيه الأوجاع، وأعظم له البلاء ليضاعف له الأجر بذلك وقال (ﷺ): نحن معاشر الأنبياء أشد بلاء.

وفي الحديث: إن جبريل (عليه السلام) نزل على نبينا (ﷺ) في مرضه الذي قبضه الله سبحانه فيه فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام، وهو يسألك عما هو أعلم به، يقول لك: كيف تجدك يا محمد؟ فقال (ﷺ): أجدني مكروبًا يا جبريل، فخرج جبريل.

وروى: أن الله تعالى لما قبض إبراهيم (عليه السلام) قال: كيف وجدت الموت يا إبراهيم؟ قال: كالسفود يلوى على لحمي فيجذب، قال: هذا وقد هوَّنا عليك الموت.

فصل: ذكر استئذان جبريل وملك الموت (عليه السلام)

في قبض روحه الشريفة (صلى الله عليه وسلم)

قال محمد بن إسحاق: قال ابن شهاب: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: كان آخر كلامه (صلى الله عليه وسلم) سمعتها منه وهو يقول: بل الرفيق الأعلى في الجنة، فقلت: إذًا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: إن نبي الله لا يقبض حتى يخير.

وقال عطاء بن يسار: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الوفاة، قال له جبريل (عليه السلام): لا أنزل إلى الأرض بعد هذا اليوم أبدًا، إن الله أرسلني إليك إكرامًا لك وتفضيلًا وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مكروبًا، ثم جاءه في اليوم الثاني، والثالث، فقال له كيف تجدك يا محمد؟ قال: أجدني يا جبريل مكروبًا، وأجدني يا جبريل مغمومًا.

قال: وهبط مع جبريل ملك في الهواء يقال له: إسماعيل مع سبعين ألف ملك، فقال له جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ائذن له، فأذن له جبريل، فدخل فقال ملك الموت: يا أحمد إن الله (عز وجل) أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك: إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها.

قال جبريل (عليه السلام): يا أحمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): امض لما أمرت به، فقال جبريل: يا أحمد هذا آخر وطئي الأرض، إنما أنت حاجتي من الدنيا.

قال: فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت، إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجعوا، فإن المحروم من حرم الثواب، فقال علي (رضي الله عنه): هذا هو الخضر.

فصل: ذكر ما نزل من الكرب على الأمة بوفاته (ﷺ) واضطراب الناس بذلك

لما مات (ﷺ) قالت فاطمة:

يا أبتاه أجاب ربًا دعاه — يا أبتاه جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه من ربه ما أدناه — يا أبتاه إلى جبريل أنعاه

فلما دُفِن قالت: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (ﷺ) التراب؟! وما رئيت فاطمة (رضي الله عنها) بعد أبيها ضاحكة، ومكثت ستة أشهر.

ولما مات رسول الله (ﷺ) قال عمر (رضي الله عنه): ما مات رسول الله، ولكن صعق كما صعق موسى، وإني لأرجو أن يقطع رسول الله (ﷺ) ألسنة قوم وأيديهم وأرجلهم، يزعمون أنه مات.

وجاء أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله (ﷺ) وهو مسجى فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت! والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدًا، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ثم رد البرد على وجهه وخرج عمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، فأبى إلا الكلام، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

قالوا: كأنا لم نسمع هذه الآية حتى قرأها أبو بكر (رضي الله عنه).

قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى والله ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله (ﷺ) قد مات.

قال الزهري: أخبرني أنس بن مالك، أنه سمع عمر بن الخطاب الغد حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله (ﷺ)، واستوى أبو بكر على منبر رسول الله (ﷺ)، تشهد قبل أبي بكر ثم قال: أما بعد فإني قلت لكم أمس مقالة لم تكن كما قلت،وإني والله ما وجدتها في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إليَّ رسول الله (ﷺ) ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله (ﷺ)- فقال كلمة يريد حتى يكون آخرنا فاختار الله لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا لما هُدي له رسول الله.

أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، أخبرني عوف عن الحسن قال: لما قُبض رسول الله (ﷺ) ائتمر أصحابه فقالوا: تربصوا بنبيكم (ﷺ) لعله عرج به، قال: فتربصوا به حتى ربا بطنه فقال أبو بكر: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثني مسلمة بن عبد الله بن عروة، عن زيد بن أبي عتاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: اقتحم الناس على النبي (ﷺ) في بيت عائشة ينظرون إليه فقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس فيموت ولم يظهر على الناس؟ لا والله ما مات ولكنه رُفع كما رُفع عيسى ابن مريم (عليه السلام) وليرجعن! وتوعدوا من قال إنه مات، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب: لا تدفنوه فإن رسول الله (ﷺ) لم يمت!

قال: وأقبل أبو بكر من السنح على دابته حتى نزل بباب المسجد، ثم أقبل

مكروبًا حزينًا فاستأذن في بيت ابنته عائشة، فأذنت له فدخل، ورسول الله (ﷺ) قد توفي على الفراش والنسوة حوله، فخمرن وجوههن، واستترن من أبي بكر إلا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله (ﷺ) فحنا عليه يقبله ويبكي ويقول: ليس ما يقول ابن الخطاب شيئًا، توفي رسول الله (ﷺ) والذي نفسي بيده، رحمة الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيًا وما أطيبك ميتًا، ثم غشاه بالثوب، ثم خرج سريعًا إلى المسجد يتوطأ رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر حتى رأى أبا بكر مقبلاً إليه فقام أبو بكر إلى جانب المنبر ثم نادى الناس، فجلسوا وأنصتوا فتشهد أبو بكر، بما علمه من التشهد، وقال: إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله (عز وجل)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران: ١٤٤) إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، فقال عمر: هذه الآية في القرآن! والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم، وقال: قال الله (عز وجل) لمحمد (ﷺ): ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣١)، ثم قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨)، وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧)، وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى عمَّر محمَّدًا (ﷺ) وأبقاه، حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد في سبيل الله، ثم توفاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة، فلن يهلك هالك إلَّا من بعد البينة والشفاء، فمن كان الله ربه، فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا وينزّله إلهًا فقد هلك إلهه، واتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله

تامة، وإن الله ناصر من نصر ومعز دينه، وإن كتاب الله (عَزَّوَجَلَّ) بين أظهرنا، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدًا (ﷺ) وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ماوضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله (ﷺ) فلا يبقين أحد إلا على نفسه، ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله (ﷺ)... ثم ذكر الحديث من غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.

عن عكرمة قال: توفي رسول الله (ﷺ) يوم الاثنين، فحبس بقية يومه وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء، وقالوا: إن رسول الله (ﷺ) لم يمت ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى، فقام عمر فقال: إن رسول الله (ﷺ) لم يمت، ولكنه عرج بروحه كما عرج بروح موسى، والله لا يموت رسول الله (ﷺ) حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم، فلم يزل عمر يتكلم حتى ازبد شدقاه مما يوعدويقول، فقام العباس فقال: إن رسول الله (ﷺ) قد مات، وإنه لبشر، وإنه يأسن كما يأسن البشر، أي قوم ادفنوا صاحبكم، فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتتين، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين وهو أكرم على الله من ذاك؟ أي قوم فادفنوا صاحبكم فإن يك كما تقولون فليس بعزيز على الله أن يبحث عنه التراب، إن رسول الله (ﷺ) والله ما مامت حتى ترك السبيل نهجًا واضحًا فأحل الحلال وحرام الحرام، ونكح وطلق، وحارب وسالم، ما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤس الجبال، يخبط عليها العضاة بمخبطه، ويمدر حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله (ﷺ) كان فيكم أي قوم ادفنوا صاحبكم، أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله (ﷺ) في وفاته فليحدنا؟ قالوا: لا، قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا، قال العباس: أشهد أيها الناس أن أحدًا لا يشهد على النبي (ﷺ) لعهد عهده إليه في وفاته، والله الذي لا إله إلا هو، لقد ذاق رسول الله (ﷺ) الموت.

فصل: ذكر تجهيزه بأبي هو وأمي (ﷺ) وغَسله وتكفينه ودفنه صلوات ربي وسلامه عليه

قال: ثم أخذوا في جهازه (ﷺ) وقالوا: لا ندري، أنجرد رسول الله (ﷺ) كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه الثياب؟ قال: فألقى الله تعالى عليهم النوم حتى ضربوا بأذقانهم على صدورهم، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: لا تجردوا رسول الله (ﷺ) واغسلوه وعليه ثيابه، قال: فغسلوه وعليه ثيابه، قال فغسلوه في ثيابه، غسله علي والعباس والفضل وأعانهم في الغسل، قثم -وهو غلام- وأسامة بن زيد يصب عليه الماء، فلم ير من رسول الله (ﷺ) ما يرى من الميت وجعل الفضل يقول: أرحني يا علي قطعت وتيني، أرى شيئًا يتنزل علي -وهم الملائكة- وكان علي كلما اجتمع الماء في محاجر رسول الله (ﷺ) حساه ويقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا، فغسل رسول الله في قميصه ثلاثًا بماء وسدر، فكان علي (رضي الله عنه) يدخل يده تحت قميصه فيغسله، وكان العباس والفضل يناولانه الماء وكفن في ثلاثة أثواب: برد أحمر حبرة، وثوبين أبيضين سحوليين واختلفوا في دفنه قال رسول الله (ﷺ): «ما من نبي قبض إلا دفن في الموضع الذي قبض فيه»، قال: فرفعوا فراشه، وحفروا تحته ثم لما فرغوا من غسله وكفنوه اختلفوا في دفنه، فقالوا: ما ندري، ندفنه مع أصحابه بالبقيع أم في المسجد؟ قالك فقال أبو بكر (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وعن أمهات المؤمنين. أن أصحاب رسول الله (ﷺ) قالوا: كيف نبني قبر رسول الله (ﷺ) أنجعله مسجدًا؟ فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالوا: كيف يحفر له؟ فقال أبو بكر: إن من أهل المدينة رجلاً يلحد، ومن أهل مكة رجلاً يشق، اللهم فأطلع علينا أحبهما إليك أن يعمل لنبيك، فأطلع أبا طلحة -وكان

يلحد- فأمره أن يلحد رسول الله (ﷺ) قال: ثم دفن، ونصب عليه اللبن.

قال ابن عباس: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله (ﷺ) وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح -يحفر- لأهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد، فدعا العباس، رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خر لرسولك، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به، فلحد لرسول الله (ﷺ)، فلما فرغ من جهاز رسول الله (ﷺ) يوم الثلاثاء، وضع على سريره، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل يدفن مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض، فرفع فراش رسول الله (ﷺ) الذي توفي فيه، فحفر له تحته، ثم دُعي الناس على رسول الله (ﷺ) يصلون عليه أرسالاً الرجال، حتى إذا فرغ منهم، أدخل النساء، حتى إذا فرغ من النساء، أدخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله (ﷺ) أحد، فدفن رسول الله (ﷺ) من أوسط الليل، ليلة الأربعاء.

وعن عبيد الله بن عتبة قال: ألقى المغيرة بن شعبة في قبر رسول الله (ﷺ) بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه، فقال علي بن أبي طالب: إنما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال: نزل في قبر النبي (ﷺ) والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبدًا ومنعه، وزاد ابن سعد عن الواقدي: ولا يتحدث الناس أنك نزلت فيه، ولا يتحدث الناس أن خاتمك في قبر النبي (ﷺ) فنزل علي وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه، وزعم المغيرة أنه آخر الناس عهدًا برسول الله (ﷺ) قال علي بن عبد الله: كذب والله، أحدث الناس عهدًا برسول الله (ﷺ) قثم بن العباس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد.

باب: ماجاء في زيارة قبر النبي (ﷺ)

عن ابن عمر قال، قال رسول الله (ﷺ): «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وقال (ﷺ): من أتى المدينة زائرًا وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمنًا.

وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ) من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزر قبري فقد جفاني.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال: من زار قبري بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا.

وقال رسول الله (ﷺ): من جاءني زائرًا لا ينزعه إلا زيارتي كان حقًا عليّ أن أكون له شفيعًا.

وقال رسول الله (ﷺ) من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.

فصل: في فضل ما بين قبره (ﷺ) ومنبره، وفضل منبره، وفيما يقال عند زيارته للسلام عليه (ﷺ)

قال رسول الله (ﷺ): ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وقال (ﷺ): منبري على ترعة من ترع الجنة.

وروى كعب الأحبار، ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًامن الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي (ﷺ) حتى إذا أمسوا وعرجوا وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج (ﷺ) في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه عن نافع قال: رأيت ابن عمر مئة مرة

أو أكثر من مئة مرة يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي (ﷺ)، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ثم ينصرف.

وروي عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر تقدم إلى قبر رسول الله (ﷺ) فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وكان أنس بن مالك يأتي قبر النبي (ﷺ) يقف ويرفع يديه حتى يُظَنَّ أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي (ﷺ) ثم انصرف.

وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قال: قدمت على عمر بعد، إذ كان خليفة بالشام فلما رأيته ودعته، قال لي: إني أراك إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي (ﷺ) فأقرئه مني السلام، وقيل: إن من وقف عند قبر النبي (ﷺ) فتلا هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وقال: صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، لم تسقط حاجته.

فصل: في أن الأنبياء أحياء في قبورهم وماورد من سماعه (ﷺ) وسلام من يسلم عليه ومعرفته به ورده عليه

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يبلغونني عن أمتي السلام، وفي الخبر: أن الله أعطى ملكًا من الملائكة أسماع الخلائق، وهو قائم على قبري إذا مت يوم القيامة، فليس أحد يصلي علي من أمتي صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه، وقال: يا محمد صلى عليك فلان كذا وكذا.

وعن سلمان بن سحيم قال: رأيت النبي (ﷺ) في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتوك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال (ﷺ): نعم وأرد عليهم، وقال (ﷺ): إن لله ملائكة يبلغونني صلاة أمتي، يقولون: يا رسول الله إن فلانا بن فلان صلى عليك، فقيل: يا رسول الله كيف وقد صرت رميمًا؟ فقال (ﷺ): إن الله حرم لحوم الأنبياء على الأرض أن تأكلها . عن ابن مسعود : إن لله ملائكة سياحين، وكذا حديث عمار بن ياسر مرفوعًا : إن الله أعطى ملكًا أسماع الخلائق، وفيه أيضًا من حديث يزيد الرقاش أيضًا قوله: إن ملكًا موكلاً يوم الجمعة بمن صلى على النبي (ﷺ) يبلغ النبي (ﷺ) يقول: إن فلانًا من أمتك يصلي عليك، وعن ابن شهاب الزهري مرسلاً : أكثروا عليّ من الصلاة في الليلة الغرّاء واليوم الأزهر، فإنهما يؤديان عنكم، وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وكل بني آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، وما من مسلم يصلي علي إلّا حملها ملك حتى يؤديها إليّ ويسميه حتى إنه يقول: إن فلانًا يقول كذاوكذا ، وحديث أوس بن أوس مرفوعًا : إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، قال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت يعني بليت؟ قال: (ﷺ): إن الله حرم لحوم الأنبياء على الأرض أن تأكلها ، ومن حديث أبي الدرداء مرفوعًا : أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لن يصلي علي إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها، قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبي الله حيٌّ يرزق.

فصل: ذكر بعض أحوال الزائرين والمجاورين

حُكي عن بعض مجاوري المدينة قال: قدم شيخ من أهل خراسان، فدخل من باب جبريل (عليه السلام)، وزار قبر رسول الله (ﷺ) فرجع من الباب الذي دخل

منه ومن قصد مكة لا يرجع من ذلك الطريق، قال: فظننت أنه أخطأ، فجئت خلفه، وقلت: يا شيخ ليس هذا طريق مكة، فقال: لم أرد مكة، وإنما جئت لأزور قبر النبي (ﷺ) ثم أرجع إلى بيتي، فإن اتفق لي الخروج إلى مكة خرجت، قال: وإنما قصدي هذه الزيارة.

وأقام أحد مجاوري المدينة ثلاثًا، وكان ثَمَّ شيخ لم يزر القبر، فقيل له يومًا من الأيام: أقمت هنا ثلاث سنوات لم أرك تقدمت إلى قبر النبي (ﷺ)؟ فقال: سبحان الله، أنا ها هنا منذ سبع لم أتجاسر أن أتقدم إلى وجه النبي (ﷺ) هيبة منه وإجلالاً له (ﷺ).

وسمعت أبا حامد الهروي المجاور بمكة قال: سمعت أستاذي عبد الله الطبري قال: أكلت الكراث بالمدينة، ثم أردت زيارة القبر فقلت: نهى رسول الله (ﷺ) عن أكل الكراث ودخول المسجد، ثم قلت في نفسي: قد مات رسول الله (ﷺ) كيف يتأذى؟ فتقدمت إلى القبر، فسمعت من وراء القبر صيحة كأنه يقول: آه.. قال: فما تناولت الكراث بعد ذلك بالمدينة.

قال إبراهيم الخواص: أصابتني فاقة فضجرت، فدخلت المدينة، وتقدمت إلى قبر رسول الله (ﷺ) لأشكوه فسمعت هاتفًا يقول من وراء القبر: لا تضجر يا أبا إسحاق.

وقيل: جاءت امرأة إلى قبر رسول الله (ﷺ) فقالت: إن إبليس يوسوس لي، ويقول لي: إلى كم تعذبين نفسك، فأقصري، قالت: فهتف بي هاتف من ناحية القبر: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: ٦) قالت: فخرجت ذعرة وجلة، ووالله ما عاودني ذلك الوسواس بعد تلك الليلة.

فصل: في قوله (ﷺ): لا تتخذوا قبري عيدًا

روي عنه (ﷺ) أنه قال: لا تتخذوا قبري عيدًا.

وعن علي بن الحسين عن أبيه أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي (ﷺ) فيدخلها، فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله؟ قال: لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم، وروي عنه (ﷺ) أنه قال: لا تتخذوا قبري وثنًا يعبد.

ما جاء في رؤية النبي (ﷺ) في المنام

قال: الحسن بن علي، قال لي علي (رضي الله عنه): إن رسول الله (ﷺ) سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود (العوج)، والكرب، فقال: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر لهم مني، قال: فخرج فضربه الرجل، وعن عمر بن عبد العزيز، قال: رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام وأبا بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، فأقبل رجلان يختصمان، وأنت بين يديه جالس فقال لك يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل كل من أبي بكر وعمر، فاستحلفه عمر بالله أرأيت هذه الرؤيا؟ فحلف فبكى عمر.

ويروى عن سالم، عن عبد الله بن عمر أنه قال: سمعت رجلاً يقول: رأيت في المنام أن الناس جمعوا للحساب، فجاءت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، مع كل نبي أمته، وأنه رأى لكل نبي نورين يمشي بهما، ورأى لكل من اتبعه من المؤمنين نورًا واحدًا يمشي به، حتى جاء رسول الله (ﷺ) فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور يستنير به كل امرئ نظر إليه، وإذا لكل من اتبعه من أمته من المؤمنين نور كنور الأنبياء قبل محمد (ﷺ) قال: فقال كعب: ولا يشعر حين يحدث الرجل أنها رؤيا: من حدثك بهذا الحديث؟ وما علمك بهذا الحديث؟ قال: إنها رؤيا، قال: فيناشدك كعب بالله الذي لا إله إلا هو لقد

رأيت ما تقول في منامك؟ فقال الرجل: نعم والله، لقد رأيت ذلك، فقال كعب: والذي بعث محمدًا (ﷺ) بالحق إنه لنعت محمد (ﷺ) وأمته، ونعت الأنبياء وأممهم في كتاب الله لكأنما قرأته من التوراة.

قال كعب الأحبار: إن خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) كانت من السماء، وقد علم خلافته قبل أن يبعث النبي (ﷺ) بست عشرة سنة، قيل: كيف ذلك؟ قال كعب: رؤيا رآها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بمكة، رأى كأن القمر سقط من السماء إلى الكعبة، فتقطع قطعة قطعة، فلم تبق حجرة في مكة إلا دخلها من القمر قطعة، ووقعت في حجر أبي بكر (رضي الله عنه) قطعة، فخرج القمر من حجرات مكة واستوى كما كان إلا الذي وقع في حجر أبي بكر الصديق فإنه بقي في حجره قال: فكره علماء مكة -حرسها الله- رؤياه، وكانوا يهودًا، قال: فخرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في رحلة الصيف إلى الشام وبها بحيرا الراهب: سيبعث الله (عز وجل) نبيًا بمكة، وتكون أنت وزيره في حياته، وخليفته بعد مماته.

قال: فلما سأل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) رسول الله (ﷺ) عن برهانه على النبوة، قال له (ﷺ): الرؤيا التي رأيتها بمكة.

وعن عبد الملك بن عمير قال: حدثني كثير بن الصلت قال: دخلت على عثمان بن عفان وهو محصور، فقال لي عثمان (رضي الله عنه): يا كثير بن الصلت ما أراني إلا مقتولاً من يومي هذا، قال قلت: رؤية لك في هذا اليوم أو قيل لك فيه شيء؟ قال: لا، ولكني سهرت في ليلتي هذه الماضية، فلما كان عند السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله (ﷺ) وأبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ورسول الله (ﷺ) يقول: يا عثمان الحقنا، لا تمسكنا فإنا منتظروك. قال: فقتل من يومه (رضي الله عنه).

وعن مصعب بن المقدام: رأيت النبي (ﷺ) في المنام في مسجده وسفيان الثوري آخذ بيده وهما يطوفان، فقال له سفيان: يا رسول الله مات مسعر بن كدام! قال: نعم، واستبشر بموته أهل السماء.

عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، سأل بلال عمر بن الخطاب أن يقره بالشام فرأى رسول الله في المنام يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال؟ وعلى الفور أتى قبر الرسول (ﷺ) فجعل يبكي عنده ثم لقي الحسن والحسين فضمهما، ثم أذَّن في المدينة لشوقهما سماع أذانه فبكى كل من بالمدينة.

ورأى ابن عباس النبي (ﷺ) في المنام أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم، فقال ابن عباس: ما هذه القارورة؟ قال (ﷺ): دم الحسين بن علي (ﷺ) لم أزل التقطه منذ الليلة، فأحصى من ذلك اليوم فوجدوه يوم قتل الحسين بن علي (رضي الله عنهما).

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: رأيت النبي (ﷺ) في المنام وهو على برذون أبلق، بيده قضيب أخضر، وعليه بغلان يتلألأ شراكهما وهو يبادر، قلت بأبي وأمي، اشتد شوقي إليك، فإلى أين تبادر؟ قال (ﷺ): إن عثمان (رضي الله عنه) أصبح في الجنة عروسًا ملكًا، وإنا قد دعينا إلى عرسه ورأى عثمان (رضي الله عنه) ليلة أن كان محصورًا في إغفاءة سحر أن النبي (ﷺ) وأبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ورسول الله يقول: يا عثمان الحقنا، لا تمسكنا، فإنا منتظروك، فقتل من يومه.

ورأى عمر بن عبد العزيز النبي (ﷺ) في المنام فقال (ﷺ): ادن يا عمر -ثلاث مرات- ثم قال لي: يا عمر إذا وليت فاعمل في ولايتك نحوًا من هذين وإذا كهلان اكتنفاه (ﷺ) وكانا أبا بكر وعمر.

ورأى أبو عبد الله مولى الليثيين كأن النبي (ﷺ) في المسجد والناس حوله ومالك بن أنس بين أيديهن وبين يدي رسول الله (ﷺ) مسك فهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها إلى مالك (رضي الله عنه) ومالك ينثرها على الناس.

وعن محمد بن المنكدر أنه رأى النبي (ﷺ) في المنام وهو يقول في رجلين من أهل المدينة: عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال ابن المنكدر: ما ذنبهما يا رسول الله (ﷺ)؟ قال (ﷺ) يأكلان لحوم الناس ويغتابانهم، وكان ابن المنكدر يعرفهما.

ورأى الحسن البصري (رضي الله عنه) النبي (ﷺ) في منامه فقال: يا رسول الله عظني، قال (ﷺ): من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان غده شرًا من يومه فهو ملعون، ومن لم يتعهد النقصان في نفسه فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموت خير له.

وعن أبي جعفر الصديلاني قال: رأيت النبي (ﷺ) في النوم، وحوله جماعة من الفقراء، فمنهم من أعرفه، ومنهم من لا أعرفه، واستحسنت نور رسول الله (ﷺ) من بين أولئك الفقراء، فبينا أنا كذلك إذا انشقت السماء ونزل منها ملكان، أحدهما بيده طست، والآخر بيده إبريق، فوضع الطست بين يدي رسول الله (ﷺ) فغسل يده (ﷺ) قال: ثم لم يزالا يغسلان يد كل واحد من القوم حتى وصلا إليّ، فوضعا الطست بين يدي، فقال أحدهما للآخر: لا تصب على يده، ليس منهم، فقلت: يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت: المرء مع من أحب؟ قال: بلى، فقلت: يا رسول الله فإني أحبك، وأحب هؤلاء الفقراء، فقال رسول الله (ﷺ): صبوا علي يده، فإنه منهم.

سمعت أبا القاسم الفارسي الحافظ بمصر بإسناد ذكره عن بعض سلفه قال: رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام وبين يديه سبعة عشر طبقًا عليهارطب،

قال: فناولني منها نيفًا وعشرين.

قال: فلما أصبحت خرجت من الدار فقالوا: نزل على بن موسى الرضا في بعض القرى، فخرجت إليه، فرأيته نازلاً في دار وبين يديه سبعة عشر طبقًا -تمرًا أو رطبًا شك الراوي فناولني منها نيفًا وعشرين عددًا، فقلت: زدني يا ابن رسول الله (ﷺ) فقال: لو زادك جدي لزدت.

قال ابن أبي الطيب الفقير: كان بي طرش عشر سنين فأتيت المدينة فبت بين القبر والمنبر، فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام فقلت: يا رسول الله أنت قلت: من سأل لي الوسيلة وجبت له شفاعتي؟ قال: عافاك الله، ما هكذا قلت، ولكني قلت: من سأل لي الوسيلة عند الله وجبت له شفاعتي. قال: فذهب عن الطرش ببركة قوله (ﷺ): عافاك الله.

قال أبو عبد الله المغربي: رأيت النبي (ﷺ) في المنام فقلت: يا رسول الله لي إلى الله (عز وجل) حاجة؟ فبماذا أتوسل إليه؟ قال: من كانت له حاجة إلى الله تبارك وتعالى فليسجد، وليقل أربعين مرة في سجوده ويشير بإصبعه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه تستجاب دعوته.

قال أبو عبد الله بن الجلاء قال: دخلت مدينة رسول الله (ﷺ) وبي فاقة، فتقدمت إلى قبر رسول الله (ﷺ) وسلمت على النبي (ﷺ) وصاحبيه، وقلت: يا رسول الله بي فاقة، وأنا ضيفك، ثم تنحيت ونمت دون القبر، فرأيت النبي (ﷺ) في المنام جاء إليّ فقمت فدفع إلي رغيفًا فأكلت بعضه، وانتبهت وفي يدي باقي الرغيف.

وكان رجل من رؤساء اليهود كثيرًا ما يقول: اختم لي بخير، فرأى رسول الله (ﷺ) في المنام فقال له: إلى متى تقول: اختم لي بخير، فقد ختم الله سبحانه لك بخير، اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد أن لا إله إلا

الله، وأن محمدًا رسول الله، على يديه في النوم.

وحكي عن أبي الفضل البلعمي أنه قال: دخل محمد بن نصر المروزي الفقيه على إسماعيل بن أحمد وعنده أخوه إسحاق -وكان أكبر منه سنًا- فقام إسماعيل وبالغ في تبجيله وإكرامه، فلما خرج عاتبه إسحاق على ذلك، فقال له إسماعيل: إنما قمت إجلالًا لإخبار رسول الله (ﷺ) أن العلماء ورثة الأنبياء، قال: ثم إن إسماعيل بن أحمد رأى رسول الله (ﷺ) كأنه يقول له: إسماعيل قمت لمحمد بن نصر المروزي الفقيه إجلالاً لإخباري ثبت الله ملكك وملك نبيك، ومكافأة لإجلالك محمد بن نصر المروزي.

عن القاسم بن محمد قال: أخذ بيدي سفيان الثوري فمضينا إلى رجل يكنى: أبا همام -من أهل البصرة-، فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز فقال: حدثني رجل من الحي -وذكر من فضله- قال: سألت الله (عز وجل) أن يرزقني الحج ثلاث سنين، فأريت النبي (ﷺ) أنه أتاني فقال: احضر الموسم العام، فانتبهت، فذكرت أنه ليس عندي ما أحج به، قال: فأتاني في الليلة الثانية فقال لي مثل ذلك، فانتبهت، فقلت مثل ذلك، قال: فأتاني في الليلة الثالثة -قال: وكنت قلت في نفسي: إن هو أتاني قلت: ليس عندي ما أحج به-، قال: فقلت له ذلك فقال لي: انظر في موضع كذا وكذا من دارك فاحتضره فإن فيه درعًا لجدك -أو: لأبيك- قال: فصليت الغداة، ثم احتضرت ذلك الموضع، فإذا درع كأنما رفعت عنها الأيدي، قال: فأخرجتها وبعتها بأربعمائة درهم، ثم أتيت المربد فاشتريت بعيرًا- أو: ناقة- فتهيأت كما يتهيأ الحاج، فوعدت أصحابًا لي، فخرجت معهم حتى شهدت الموسم، ثم أردت الانصراف، فذهبت لأودع أهلي، وقدمت بعيري إلى الأبطح لأصلي للحج الذي نويته، إذ غلبتني عيناي فرأيت النبي (ﷺ) في المنام فقال لي: يا هذا، إن الله (عز وجل) قد قبل منك سعيك، ائت عمر بن عبد العزيز وقل له: إن لك عندنا ثلاثة أسماء: عمر

ابن عبد العزيز، وأمير المؤمنين، وأبو اليتامى، شُدّ يدك بالعرّيف، والمكّاس.

قال: فانتبهت، فأتيت أصحابي فقلت لهم: امضوا على بركة الله، وأخذت برأس بعيري وسألت عن رفقة تخرج إلى الشام فمضيت معهم، حتى انتهيت إلى دمشق، فسألت عن منزله، فأنخت ناقتي على باب الدار وأوصيت بها -وذلك قرب انتصاف النهار -فإذا رجل قاعد على باب الدار فقلت له: يا أبا عبد الله استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال لي: ما أمنعك -أو قال: ما أمتنع عليك-، ولكني عالم بما كان من شأنه، من تشاغله بالناس، حتى كان الساعة أنت، فإن صبرت وإلا دخلت.

قال: فلما دخلت على عمر بن عبد العزيز قال لي: من أنت؟ قلت: رسول رسول الله (ﷺ)، قال: فنظرت فإذا نعلاه في إصبعيه، وإذا هو يستقي ماء، فلما رآني، تنحى فألقى نعليه ثم جلس، فسلمت عليه وجلست فقال: ممن أنت؟ قتل: رجل من أهل البصرة، فقال: ممن أنت؟ فقلت: من بني فلان، قال: كيف البُرُّ عندكم؟ كيف الشعير؟ كيف الزيت؟ كيف الزبيب؟ كيف التمر؟ كيف البرني؟ كيف السمن؟ حتى عد هذه الأنواع، فلما فرغ من هذا عاد إلى المسألة الأولى ثم قال لي: ويحك جئت لأمر عظيم؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما أتيت إلا بما رأيت، ثم اقتصصت رؤياي، من لدن رؤياي إلى مجيئي إليه -قال: فكأن ذلك تحقق عنده- فقال: ويحك أقم عندي، أو البث قليلاً، فأواسيك، قلت لا، قال: فدخل فأخرج صرة فيها أربعون دينارًا، وقال: لم يبق من عطائي غير ما ترى وأنا أواسيك منها، قال: قلت: لا والله لا آخذ على رسالة رسول الله (ﷺ) شيئًا أبدًا قال: فكأن ذلك تصدق عنده، فودعته، فقام إلى واعتقني، ومشى معي إلى باب الدار، ودمعت عيناه، ورجعت إلى البصرة، فمكثت حولاً ثم قيل لي: مات عمر بن عبد العزيز، فخرجت غازيًا، فلما كنت في أرض الروم إذا الرجل الذي كان يستأذن لي قد عرفني ولم أعرفه، فسلم علي ثم

قال: علمت أن الله (عزوجل) قد صدق رؤياك.

وعن الكلبي أنه قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأني عرضت على الله تعالى، فقال لي: تنسب إليَّ ما لا تعلم، وتتكلم فيما لا تعلم؟ ثم أمر بي إلى النار، فمُرَّ بي على حلقة رأيت فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: يا رسول الله رجل من أمتك أمِر به إلى النار فاشفع إلى ربك، قال: كيف أشفع وأنت تنسب إليّ ما لا تعلم؟ فقتل: إني مع ذلك أفسر القرآن، فقال لرجل من جلسائه. قم إليه فاسأله، قال: فقام إليّ رجل فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقال لي: ما الأيام المعدودات؟ قلت: أيام التشريق، قال: فما الأيام المعلومات؟ قلت: أيام العشر، حتى سألني عن أربع مسائل أو خمس، فأومأ بيده إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن أصاب وعقد ثلاثين، فشفع لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخلَّى عني، فجلست مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت: يا رسول الله إن بني أمية طال ملكهم علينا وهم يظلموننا، فمتى انقضاء ملكهم؟ فقال: إلى عدان أو عدانين أو نصف عدان.

قال: فقلت للكلبي: وما العدان؟ قال: سبع سنين، قال: فكان الكلبي بعد ذلك لا ينسب إلى القبائل إلا المعروفة التي لا شك فيها، ولما انقضى ذلك العدد ذهب ملكهم.

عن محمد بن سهل الأسدي قال: حدثني أبو يعقوب بن سليمان الهاشمي قال: حدثني شيخ من موالينا.. قال محمد: ثم رأيت الشيخ فسألته فحدثني به قال: كنت يومًا مع قوم، فتذاكرنا أمر علي وطلحة والزبير (رضي الله عنهم)، فكأني نلت من الزبير (رضي الله عنه)، فلما كان من الليل أريت في منامي كأني انتهيت إلى صحراء واسعة، فيها خلق كثير عراة، رؤسهم رؤس الكلاب، وأجسادهم أجساد الناس، مقطعو الأيدي والأرجل من خلاف، فيهم رجل مقطوع اليدين

والرجلين فلم أر منظرًا أوحش منه، فامتلأت رعبًا وفزعًا، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يشتمون أصحاب محمد (ﷺ)، فقلت: ما بال هذا من بينهم مقطوع اليدين والرجلين؟ قيل: هذا أغلاهم على شتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال: فبينا أنا كذلك إذ رفع لي باب فدخلته، فإذا درجة فصعدتها إلى موضع واسع، وإذا رجل جالس حواليه جماعة، فقيل لي هذا النبي (ﷺ) فدنوت منه وأخذت بيده فجذب يده من يدي وغمز عليّ غمزة شديدة، وقال: تعود؟ فذكرت ما كنت قلت في الزبير -فقلت: لا والله يا رسول الله لا أعود إلى شيء من ذلك؟ قال: فالتفت (ﷺ) إلى رجل خلفه فقال: يا زبير قد ذكرت أنه لا يعود، فأقلْه، فقال: قد أقلته يا رسول الله، قال: فأخذت بيده وجعلت أقبلها وأبكي وأضعها على صدري، قال: فانتبهت، وإنه ليخيل إليّ أنه أجد بردها في صدري.

وعن بعضهم قال: سألت أبا بكر الكتاني، قلت: بلغني أنك كثيرًا ما ترى رسول الله (ﷺ) في النوم؟ قال: نعم، قلت: رأيت عشرًا؟ قال: أكثر، إلي أن بلغ أربعمئة مرة، ثم قال: آخر ما رأيته البارحة، وكان على يمينه شيخ، وعلى يساره شيخ، وقدامه شيخ، ووراءه شاب فقال: سلمت عليه؟ فقلت: لا أعرفه؟ فقال: أبو بكر ثم أبو حفص، ثم عثمان، ثم علي، قال: فلما قال علي (رضي الله عنه) أعرضت، فقال: لم أعرضت؟ قلت: جرى في أيامه شيء قال: فضرب رسول الله (ﷺ) صدري وكنت نائمًا في المسجد فانتبهت وأنا على الصفا.

وعن سفيان بن عيينة قال: رأيت النبي (ﷺ) فقلت: يا رسول الله قد اختلفت عليّ القراءات، فعلى قراءة من تأمرني أن أقرأ؟ فقال (ﷺ): اقرأ على قراءة أبي عمرو بن العلاء.

سمعت أبا الحسين الإمام (رضي الله عنه) بمدينة رسول الله (ﷺ) قال: كنت عند

أبي مروان القاضي (رحمه الله) بالمدينة، فدخل طاهر العلوي (رحمه الله) فسلم على الصوفيين الذين بين يديَ أبي مروان، وأقبل عليه فقال له أبو مروان: إيش بينك وبين الصوفية؟ دعهم معنا، قال: إن لي معهم قصة، كنت نائمًا بالعقيق، فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام كأنه يقول لي: أطعم الرجل الذي عندي سكباجة، فانتبهت وفكرت وكان الليل، ثم نمت ثانيًا فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام، فقال: اذهب وأطعم الرجل سكباجة، فأسرجت لي الدابة، وجئت إلى المدينة في الليل، فدرت حول القبر فلم أجد أحدًا إلا رجلاً متصوفًا وضع رأسه بين ركبتيه فقلت: السلام عليك، فأجاب فقلت: تجيء معي إلى العقيق؟ قال: نعم، فجاء، وكان انفجر الصبح، فصلينا ودخلنا الباب، فقلت للجارية: أصلحي لنا شيئًا، وقدمي، فاتفق أنه كان عندنا سكباجة فقدمت الجارية ذلك ووضعت، فأمسك الرجل وقال: إيش هذا؟ أخبرني، فقلت: القصة كيت وكيت، فحلف ألا يأكل السكباجة عمره، وقال: كنت أوذي رسول الله (ﷺ) في السر، ولم أعلم.

وذكر أبو الحارث الأولاس قال: رأيت النبي (ﷺ) في المنام، فبادرت إليه فأعرض عني بوجهه، فجعلت أبكي وأقول: بأبي وأمي قد علمت مم إعراضك عني، وقد كنت فهمت منك ما أمرتني به، ولكني أخاف أن أكون قد حرمت التوفيق فمنعت العون على نفسي وهواي، فالتفت إلي وقال: والذي بعثني بالحق لو كان ثمة رغبة أو رهبة لساعدك بالتوفيق، ولجاءتك المعونة ولكن لا رغبة تحركك، ولا رهبة بقلبك فتهرب، وأنت بين الآمال الكاذبة وأماني الغرور، متردد حيران، أطلت الأمل، وسوّفت العمل، قلت: بأبي وأمي الآن أوصني، وسل الله أن يوفقني فقال: أمسك عليك لسانك، فإن لك في الصمت نجاة من أهل زمانك، وعليك بالورع في مطعمك ومشربك وملبسك وسائر حركاتك، واستعن على ذلك بالقلة، ووار شخصك عن الناس، وكن حلسًا

من أحلاس بيتك، فقد أصبح وأمسى كثير من الناس في أمر مريج، فإنك إن تتبع أهواءهم وتسلك مسالكهم وتلتمس رضاهم وتحذر سخطهم يضلك عن سبيل الله، وذلك هو الخسران المبين، صن مواهب الله وحكمته وعلمه وبيانه عن المتلذذين الحيارى، ولتكتم المصائب بجهدك، إياك وذم طعام وشراب، واحذر الشكوى عند النوازل كلها، فإن زللت فبادر بالتوبة والاستغفار وإياك والإصرار، قلت: بأبي وأمي زدني، فقال: نعم، ثم تنفس رسول الله (ﷺ) وقال: كن في الدنيا كأنك غريب في أرض مفازة، محزونًا مهمومًا قد أشرف على التلف، وأحاطت به المخاوف من كل جانب فهو لا يهدأ من الدعاء ولا يمل البكاء، واحذر طول الأمل فإنه مستراح نفسك، وسلاح عدوك، ومتى أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، ومتى أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، فبه تهزم عدوك، وتوهن كيد نفسك وغلبة هواك، فهذه حجة الله عليك، وأنا لك نذير.

وكان نصر بن أحمد صاحب خراسان (رحمه الله) استعمل رجلاً على بلخ، وجعل الحجبة إلى الطغناج، وكان يومًا من الأيام نام نصر وقت الظهيرة، وجلس صاحبه طغناج في موضع رسمه، فجاءت امرأة علوية متظلمة، وقالت: جئت من بلخ متظلمة من عاملها، أخبر الأمير بذلك، فقال الحاجب: ليس هذا وقت الدخول عليه، قال: ثم تفكّر وقال: ولد من أولاد رسول الله (ﷺ) كيف أرده فدخل فوجده نائمًا، وعند رأسه سيف مسلول، فقال: لا يمكنني أن أنبهه، فرجع ثم قال لنفسه: ولد من أولاد الرسول، كيف أرده؟ فرجع ثانيًا -مرارًا كان يرجع إلى رأسه ثم يبدو له فينصرف- فحس الأمير بذلك، وفزع- أن جاء ليكيد به كيدًا- فقام وأخذ السيف وقال: وما حملك على هذا؟ فقص عليه القصة، قال: أدخلها، فدخلت المرأة ومعها قصة فشكت من والي بلخ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم، وبغلة بآلاتها، وثلاثة تخوت ثياب، وكتب لها كتابًا

إلى والي بلخ عما التمست، فرجعت المرأة، قال: ونام نصر فرأى النبي (ﷺ) في المنام كأنه يقول له: حفظ الله حرمتك كما حفظت حرمتي، فانتبه، ودعا الحاجب، وقال: اعلم رأيت النبي (ﷺ) في المنام -وقص عليه القصة- فأحضر الفقهاء وأعلمهم بما رأيت، فأشاروا إليه أن يكتب إلى سائر البلدان بالإحسان إلى آل رسول الله (ﷺ) وكتب بذلك.

وقال أبو الوفاء القاري، الهروي: رأيت المصطفى (ﷺ) في المنام بفرغانة باشحكت سنة ستين وثلاثمئة، وكنت أقرأ للسلطان بها، وكانوا يتحدثون فلا يستمعون، فانصرفت إلى المنزل مغتمًا، فنمت فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام فكأنه تغير لونه فقال لي (ﷺ): أتقرأ كلام رب العزة بين يدي قوم وهم يتحدثون ولا يسمعون كلام رب العزة، مرَّ إنك لا تقرأ بعد ذلك إلا ما شاء الله، قال: فانتبهت وأنا ممسك اللسان أربعة أشهر، فكلما كانت لي حاجة أكتبها على الرقاع، فحضرني أصحاب الحديث وأصحاب الرأي فأفتوا أن آخر الأمر أتكلم، لقوله (ﷺ): إلا ما شاء الله، هو استثناء.

قال: فنمت تسعة أشهر على الموضع الذي كنت أولاً، فرأيت رسول الله (ﷺ) يجيء ووجهه يتهلل فقال: (ﷺ): فقد تبت، ومن تاب تاب الله عليه، أخرج لسانك، فمسح بسبابته، فقال (ﷺ) مر، إن كنت بين يدي قوم وأنت تقرأ كلام رب العزة وهم يتحدثون ولا يستمعون كلام رب العزة، فاقطع قراءتك حتى يستمعوا كلام رب العزة، قال فانتبهت: وقد انفتح لساني بحمد الله ومنه.

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت شيخًا من أهل صنعاء - وكان حليمًا لوهب بن منبه (رضي الله عنه) قال: رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام، فقلت: يا رسول الله، أين بدلاء أمتك؟ قال: فأوما بيده (ﷺ) نحو الشام، فقلت: أما بالعراق

منهم أحد؟ قال (ﷺ) نعم، محمد، محمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار يمشي في الناس بزهد أبي ذر.

وعن محمد بن علي السمان (رحمه الله) قال: كان لي جار في منزلي وسوقي، وكان يشتم أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، قال: فكثر الكلام بيني وبينه، فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بيني وبينه كلام حتى تناولته وتناولني، فانصرفت إلى منزلي وأنا مهموم حزين، ألوم نفسي، قال: فنمت وتركت العشاء من الغم، فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام من ليلتي، فقلت: يا رسول الله (ﷺ) فلان جاري في منزلي وسوقي وهو يسب الأصحاب، قال: من سب من أصحابي؟ قلت: أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، فقال رسول الله (ﷺ) خذ هذه المدية واذبحه بها، قال: فأخذتها، وأضجعته وذبحته، فرأيت كأن يدي قد أصابها من دمه، قال: فألقيت المدية، وأهويت بيدي إلى الأرض أمسحهما، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره، فقلت: انظروا، ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجاءة، فلما أصبحنا نظرنا إليه فإذا خط موضع الذبح في عنقه.

وحكي أن امرأة -قرابة لابن برزك المجوس- رأت النبي (ﷺ) في المنام، فقال لها (ﷺ): ألا تستحين؟ فقالت: ومن إيش استحي؟ فقال: لا تؤمنين بإلهي، فآمنت في المنام، فأصبحت وقسيها مقطع بأربع.

وعن عباس بن أحمد بن عثمان بن أبي صخر قال: كنت مجاورًا سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة، إذ قدمت امرأة التمار المتكلم من مصر في بحر القلزم ومعها جارية بلال الخليلي، وحملت للفقراء طعامًا ودعتهم إليه، وكنت ذلك اليوم في المسجد الحرام قد طفت أسبوعًا وركعت، وجلست إذ سرقتني عيناي فرأيت رسول الله (ﷺ) بالنعت والصفة، وهو جالس وظهره إلى المقام، ووجهه إلى باب الكعبة، عن يمينه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

وعلي بن أبي طالب، وعن يساره: ابن عباس (رضي الله عنهم) أجمعين، وإلى جنب ابن عباس القراء: أبو عمرو بن العلاء، وحمزة، وعاصم، والكسائي.. القراء السبعة (رضي الله عنهم) أجمعين، وعن يمينه أبو حنيفة، والشافعي وباقي الفقهاء (رضي الله عنهم) وشيوخ الصوفية، (رضي الله عنهم) جلوس بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إذ أقرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أُبيَّ بن كعب، فقرأ (رضي الله عنه) من سورة الكهف: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ (الكهف: ٢٨) قال: فاغرورقت عيناه (صلى الله عليه وسلم).

قال: ثم التفت إلى ابن عباس فسأله عن مسألة من تفسير آية من كتاب الله (عز وجل)، فلما فسرها ابن عباس تبسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال: ثم التفت إلي الفقهاء فسألهم عن مسألة فأجابه الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل، وسكت الباقون.

قال: ثم سأل الصوفية مسألة في التوحيد فوثب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فجلس مع الصوفية بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يتكلم أحد من الصوفية، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): تكلموا يرحمكم الله، فأشاروا إلى علي ابن أبي طالب، فقال لهم عليّ (رضي الله عنه): تكلموا يرحمكم الله، فتكلم الجنيد وكل واحد منهم، ففهمت ما تكلموا به غير أبي يزيد البسطامي فإنه تكلم بالفارسية فلم أفهمها، قال: ففسر النبي (صلى الله عليه وسلم) كلام أبي يزيد وشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) لكلهم بالصحة، وأنا في ذلك ما أصرف بصري عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا أنظر إلى غيره إذ نبهني أبو عبد الله الفرغاني، فقمت مغتاظًا عليه وقلت: يا قاطع الطريق حركتني، إيش تريد مني؟ فقال أبو عبد الله: يقول لك: تحضر مع الفقراء قال: فعلمت أني ما بلغت مكان أبي عبد الله، وأنا مع العلم والتوفيق.

جامع أبواب ما كان للنبي (ﷺ) من الأزواج والأموال والحفدة والمتاع

باب: ذكر أزواج النبي (ﷺ) ومن تزوج بهن ولم يدخل بهنّ

عن أبي سعيد الخدري -قال: قال رسول الله (ﷺ): ما تزوجت شيئًا من نسائي ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي (عَزَّوَجَلَّ) ومات رسول الله عن تسع أزواج له وكن في دار واحدة هن: عائشة، وسودة، وحفصة، وأم حبيبة، وصفية، وجويرية، أم سلمة، زينب بنت جحش، ميمونة.

وبينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم واضع رأسه في حجر فاطمة إذ بكت ثم ضحكت، فقلن لها أزواجه (ﷺ): يا فاطمة ما أضحكك وما أبكاك؟ فقال رسول الله (ﷺ): دعن ابنتي، فإني أخبرتها أنه قد نعيت إليّ نفسي فبكت، ثم أخبرتها أني سألت ربي جل وعلا أن يجعلها معي في الجنة فضحكت.

وأول امرأة تزوجها (ﷺ) **خديجة بنت خويلد** بن أسد بن العزى بن قصي، تزوجها (ﷺ) وهو ابن خمس وعشرين سنة وأشهر، وأقامت معه أربعًا وعشرين سنة وشهرًا، وماتت بعد أبي طالب بثلاثة أيام، أمهرها (ﷺ) اثنتي عشرة أوقية، وكذلك سائر نسائه ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكانت قبله عند عتيق المخزومي، فولدت له جارية، ثم تزوجها بعده أبو هالة بن زرارة بن نبَّاش الأسدي، فولدت له هندًا ثم تزوجها رسول الله (ﷺ) وربى ابنها هندا، وكان يقول: أنا أكرم الناس أبًا وأخًا وأختًا، أبى رسول الله (ﷺ) وأمي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة، ومات في الطاعون الجارف (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ثم تزوج (ﷺ) بعدها سودة بنت زمعة، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو، وهو من مهاجرة الحبشة، فمات ولم يعقب، فتزوجها رسول الله (ﷺ) بعده.

ثم تزوج **عائشة** بمكة، وهي ابنة سبع، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ودخل بها وهي ابنة تسع، لسبعة أشهر من مقدمة المدينة، وأقامت عنده تسعًا وبقيت

إلى خلافة معاوية وتوفيت سنة ثمان وخمسين، وقد قاربت السبعين، فقيل لها ندفنك مع رسول الله (ﷺ) فقالت: إني قد أحدثت بعده فادفنوني مع إخواني، فدفنت بالبقيع، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير بن أختها.

ثم تزوج (ﷺ) غزية بنت دودان بن عوف بن عمرو بن خالد، وهي أم شريك التي وهبت نفسها لرسول الله (ﷺ).

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت تحت خنيس بن عبد الله ابن حذافة السهمي (رضي الله عنه) وكان قد أسلم - وكان رسول الله (ﷺ) وجهه إلى كسرى، فمات ولا عقب له، فتزوجها رسول الله (ﷺ) بعده وماتت بالمدينة في خلافة عثمان (رضي الله عنه) وصلى عليها أخوها لأبيها وأمها عبد الله بن عمر بن الخطاب.

ثم تزوج (ﷺ) أم حبيبة واسمها: رملة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي، هاجر بها إلى الحبشة فتنصر وهلك هناك، فتزوجها رسول الله (ﷺ) بعده.

ثم تزوج أم سلمة وهي ابنة عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهي ابنة عم أبي جهل، وأخوها عبد الله بن أبي أمية كان من أشد قريش عداوة للنبي (ﷺ) ثم أسلم واستشهد يوم الطائف وقيل إن ابنها هو الذي زوجها وكان غلامًا.

ثم تزوج (ﷺ) زينب بنت جحش الأسدية، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب وهي أول من مات من أزواجه بعده، توفيت في خلافة عمر، وأول من حمل على نعش، وكانت عند زيد بن حارثة قبله، وفيها نزلت ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ

﴿ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ (الأحزاب: ٣٧) وطلقها زيد فتزوجها رسول الله (ﷺ).

ثم تزوج **زينب بنت خزيمة الهلالية** من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبله تحت عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فلما قتل ببدر تزوجها النبي (ﷺ) وكان يقال لها أم المساكين وماتت قبله.

ثم تزوج (ﷺ) **ميمونة بنت الحارث** بن حزن بالمدينة من العباس عمه وبني بها بسرف حين رجع من عمرته بعشرة أميال من مكة، وتوفيت ودفنت بسرف وكانت قبله تحت أبي سبرة بن أبي رهم العامري.

وصفية بنت حييي بن أخطب النضيري من خيبر، اصطفاها لنفسه من الغنيمة، ثم أعتقها وتزوجها وجعل (ﷺ) عتقها صداقها، وكانت تحت رجل من يهود خيبر اسمه: كنانة، فضرب رسول الله (ﷺ) عنقه لأمر، وتوفيت سنة ست وثلاثين.

وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق: سباها (ﷺ) وأعتقها وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين، وكان يولم لكل نسائه باللحم والتمر والسويق ويأمر به ويقول: أولموا ولو بشاة.

فصل: ذكر من تزوجهن (ﷺ) ولم يدخل بهن

منهن: **قتيلة بنت قيس** -أخت الأشعث- الكندي، مات (ﷺ) قبل أن يدخل بها فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعده، وقال بعضهم: هذا غلط، لأن سببها منه لم ينقطع بالموت، ولعله طلقها (ﷺ) قبل أن يدخل بها ثم مات.

ابن سعد في الطبقات (١٤٧/٨)، قال: أخبرنا المعلى بن أسد، عن وهيب، عن داود بن أبي هند: أن النبي (ﷺ) توفي وقد ملك امرأة من كندة يقال لها قتيلة، فارتدت مع قومها، فتزوجها بعد ذلك عكرمة بن أبي جهل، فوجد أبو

بكر من ذلك وجدًا شديدًا، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله (ﷺ) إنها والله ما هي من أزواجه، ما خيرها ولا حجبها ولقد برأها الله منه بالارتداد الذي ارتدت مع قومها، هذا مرسل برجال الصحيح.

عن ابن عباس قال: لما استعاذت أسماء بنت النعمان من النبي (ﷺ) خرج والغضب يعرف من وجهه، فقال له الأشعث بن قيس: لا يسؤك الله يا رسول الله، ألا أزوجك من ليس دونها في الجمال والحسب؟ قال: من؟ قال: أختي قتيلة، قال: قد تزوجتها، قال: فانصرف الأشعث إلى حضرموت، ثم حملها، حتى إذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبي (ﷺ) فردها إلى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن ارتد.

وفاطمة بنت الضحاك، تزوجها بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين أنزلت عليه آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البعير وتقول: أنا الشقية، اخترت الدنيا، وعن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أنها لما دخلت عليه ودنا منها قالت: إني أعوذ بالله منك، فقال رسول الله (ﷺ): لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك.

وعالية بنت ظبيان، طلقها (ﷺ) حين أدخلت عليه.

وسنا بنت الصلت ماتت قبل أن يدخل بها (ﷺ)، ولما بلغها أن رسول الله (ﷺ) تزوجها فرحت فرحًا شديدًا فماتت منه.

وكذلك شراف، أخت دحية الكلبي ولم يدخل بها وخولة بنت الهذيل، وقيل خولة بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها له وهو الأرجح.

وأميمة بنت النعمان، لما أدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك، فقال: قد أعذتك، الحقي بأهلك، وكان بعض أزواجه علمتها ذلك، وقالت: إنك تحظين

عنده، **ومليكة الليثية**، لما دخل (ﷺ) عليها قال لها: هبي لي نفسك قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده يضعها عليها لتسكن، قالت: أعوذ بالله منك، فقال (ﷺ): لقد عذت بمعاذ فسرحها ومتعها.

وليلى بنت الخطيم الأنصاري، ضربت ظهره فقال: أكلك الأسود ثم لما تزوجها، قالت: أقلني، فأقالها، فأكلها الذئب.

عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبي (ﷺ) وهو مولي ظهره الشمس فضربت على منكبه فقال: من هذا! أكله الأسد، -وكان كثيرًا ما يقولها- فقالت: أنا ابنة مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض عليك نفسي، تزوجني؟ قال: قد فعلت، فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوجني النبي (ﷺ)، فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرى، والنبي (ﷺ) صاحب نساء، تغارين عليه، فيدعو الله عليك، فاستقيليه نفسك، فرجعت فقالت: يا رسول الله أقلني، قال: قد أقلتك، قال: فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها ذئب لقول النبي (ﷺ)، فأكل بعضها فأدركت، فماتت.

وعمرة بنت يزيد، رأى بها بيضاً، فقال أبوها: إن بها برصًا- ولم يكن بها- فرجع فإذا هي برصاء.

وخطب (ﷺ) عمرة من بني القرطات، فوصفها أبوها ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال (ﷺ): ما لهذه عند الله من خير، وقيل: إنه تزوجها، فقال أبوها ذلك، فطلقها ولم يبن بها.

فلذلك جميع أزواجه (ﷺ) إحدى وعشرون امرأة طلق منهن ستًا، ومات عنده خمس، ومات (ﷺ) عن عشر، ثلاث عشرة لم يدخل بهن، وتسع كان

يقسم لهن، ثم أراد (ﷺ) طلاق سودة فوهبت ليلتها لعائشة، وقالت: لا رغبة لي في الرجال، وأنا أريد أن أحشر في أزواجك.

باب: ذكر موالي رسول الله (ﷺ)

عن أنس: أن رسول الله (ﷺ) كان في مسير له ومعه غلام أسود يقال له: أنجشة، فقال (ﷺ) يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير -يعني النساء- أما مواليه: فزيد بن حارثة فقد كان لخديجة (رضي الله عنها) اشتراه لها حكيم بن حزام بسوق عكاظ بأربعمئة درهم، فسألها رسول الله (ﷺ) أن تهبه له -بعد أن تزوجها- ففعلت فأعتقه وزوجه أم أيمن، فولدت له أسامة، وكان زيد بن حارثة بن شراحيل من كلب، أدركه سبي فجاء أبوه وعمه إلى رسول الله (ﷺ) وقالا: ولدنا سبي منا فخذ منا ثمنه، فقال (ﷺ): ما كنت لآخذ له ثمنًا، ولكن خيراه، فإن اختاركم فشأنكم به، فقالوا: لقد أكرمت، فاجتهدا به فلم يتبعهما، واختار رسول الله (ﷺ) وذلك قبل مبعثه، فتبناه (ﷺ) فكان يُدْعي زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٥) فقالوا:

زيد مولى رسول الله (ﷺ) أمره على الجيوش يوم مؤتة، فاستشهد في سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

أسامة بن زيد بن حارثة، زوجه رسول الله (ﷺ) بفاطمة بنت قيس وأمه: بركة، أم أيمن، حاضنة رسول الله (ﷺ) وكان لأسامة ابنان: محمد والحسن.

أيمن بن عبيد الخزرجي، أمه: أم أيمن مولاة النبي (ﷺ) وحاضنته.

أبو رافع واسمه أسلم، كان للعباس فوهبه للنبي (ﷺ) فلم أسلم العباس بشَّر أبو رافع النبي (ﷺ) بإسلامه، فأعتقه وزوجه سلمى مولاته فولدت له

عبيد الله بن أبي رافع، فلم يزل كاتبًا لعلي بن أبي طالب خلافته كلها.

سفينة، واسمه: رباح، سماه رسول الله (ﷺ) سفينة، لأنه كان في سفر، فكان كل من أعيا ألقى عليه بعض متاعه، حتى حمل من ذلك شيئًا كثيرًا، فمر به النبي (ﷺ) فقال: أنت سفينة وكان أسود، من مولدي الأعراب، اشتراه رسول الله (ﷺ) فأعتقه.

ثوبان، يكنى أبا عبد الله، من حمير، أصابه سبي، فاشتراه النبي (ﷺ) فأعتقه، ولم يزل معه حتى قبض، ثم تحول إلى الشام، فنزل حمص.

يسار، كان عبدًا نوبيًا، أصابه في غزوة بني عبيد بن ثعلبة فأعتقه وقتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح النبي (ﷺ) فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات وانطلقوا بالسرح وأدخل المدينة ميتًا.

شقران واسمه صالح، اشتراه رسول الله (ﷺ) من عبد الرحمن بن عوف فأعتقه.

أبو كبشة واسمه سليمان، من مولدي أرض دوس ابتاعه رسول الله (ﷺ) فأعتقه وتوفي في أول يوم استخلف فيه عمر.

أبو ضميرة، كان مما أفاء الله على رسوله فأعتقه وكتب له كتابًا - هو في يد ولده- بالإيصاء به وبأهل بيته.

مدعم، كان عبدًا لرفاعة بن يزيد الجذامي، وهبه لرسول الله (ﷺ) وحين قُتل قال عنه رسول الله (ﷺ): إن الشملة التي غلَّها يوم خيبر تحترق عليه نارًا، أصابه سهم في وادي القرى فمات.

أبو مويهبة، من مولدي مزينة، اشتراه فأعتقه، وهو الذي انطلق به إلى البقيع وقال (ﷺ): إني أمرت أن استغفر لهم.

أنيسة، كان من مولدي السراة، اشتراه فأعتقه.

فضالة، نزل الشام، ومات بها.

وردان.

أبو بكرة سباهما من الطائف فأعتقهما.

طهمان.

وأبو أيمن.

أبو هند، قال فيه (ﷺ): زوجوا أبا هند، وتزوجوا إليه، ابتاعه عند منصرفة من الحديبية وأعتقه وكان قد حجم النبي (ﷺ) في اليافوخ وقال (ﷺ) أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه، إن كان في شيء مما تداوون به خير فالحجامة.

وأنجشة، وهو الذي قال له النبي (ﷺ) رويدك يا أنجشة رفقًا بالقوارير وكان يحدو بالجمال.

وصالح. **وأبو سلمى.**

أبو عسيب. **وعبيد.** **وأفلح.**

رويفع، من سبي هوازن، صار للنبي (ﷺ) فأعتقه.

أبو لقيط، كان نوبيًا عاش إلى أيام عمر.

أبو رافع الأصغر كان غلامًا لسعيد بن العاص فأعتقه.

يسار الأكبر، كان عبدًا لآل عمرو بن عبيد الثقفي، تزوج من تميم، وولد له تسعون ولدًا من ذكر وأنثى.

كركرة، كان نوبيًا، أهداه هوذة بن علي الحنفي إلى النبي (ﷺ) فأعتقه.

رباح، كان نوبيًا، اشتراه من وفد عبد القيس، فأعتقه.

أنسة، كان يتولى الحجامة، فأعتقه بالمدينة، شهد بدرًا وكان حبشيًا فصيحًا.

أبو لبابة، كان لبعض عماته، فوهبته لرسول الله (ﷺ).

بجيل بن حبيب، مولى رسول الله (ﷺ) من بلاد الطائف.

أبو البشر، له عقب.

وفاق، من أهل الطائف.

أما خدمة من الأحرار: **أنس بن مالك، وهند وأسماء** بنتا خارجة ألأسلميتان.

باب: في ذكر مواليات رسول الله (ﷺ)

عن أنس بن مالك: أن النبي (ﷺ) أعتق صفية، وجعل عتقها صداقها.

وأهدى أمير القبط -وهو المقوقس، صاحب الإسكندرية- إلى رسول الله (ﷺ) جاريتين أختين وبغلة.

فكان (ﷺ) يركب البغلة بالمدينة، واتخذ إحدى الجاريتين -وهي مارية القبطية- لنفسه فولدت له إبراهيم وماتت بعده بخمس سنين في خلافة عمر ووهب الأخرى لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن.

وأم أيمن حاضنة النبي (ﷺ)، وكانت سوداء، ورثها عن أمه، وكان اسمها بركة، فأعتقها رسول الله (ﷺ) وزوجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن، ثم هلك فزوجها النبي من زيد بن حارثة فولدت له أسامة أسود يشبهها،

وأسامة وأيمن أخوان لأم.

وريحانة بنت شمعون، غنمها من بني قريظة.

وروضة.

وسلمى، زوجها مولاه أبا رافع.

خَضْرة.

ميمونة بنت سعد.

باب: ذكر ما ترك رسول الله (ﷺ) يوم وفاته من الثياب والقُمُص والأزر والسَّرير والصاع والمد

قوله: «ذكر ما ترك رسول الله (ﷺ)»:

من حديث عمرو بن مهاجر قال: كان متاع رسول الله (ﷺ) عند عمر ابن عبد العزيز في بيت ينظر فيه كل يوم، قال: وكان ربما اجتمعت إليه قريش فأدخلهم في ذلك البيت ثم استقبل ذلك المتاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله به وأعزكم الله به، قال: وكان سريرًا مرمولاً بشريط ومرفقة من آدم محشوة بليف، وجفنة، وقدح، وقطيفة صوف كأنها جرمقانية، قال: ورحى وكنانة فيها أسهم، وكان في القطيفة أثر وسخ، فأصيب رجل فطلبوا أن يغسلوا بعض الوسخ فيسعط به، فذكر ذلك لعمر فسعط فبرأ.

وأخرج الواقدي من حديث ابن أبي سبرة، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء، عن عائشة (ﷺ) قالت: كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إلينا من السرير ننام عليه، فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة، ونزل منزل أبي أيوب قال (ﷺ): يا أبا أيوب، أما لكم سرير؟ قال: لا والله، فبلغ ذلك أسعد بن

زرارة فبعث إلى رسول الله (ﷺ) بسرير له عمود، وقدامه ساج مرسول بحزم -يعني: المسد-، فكان ينام عليه حتى تحول إلى منزلي وكان فيه فوهبه لي، فكان ينام عليه حتى توفي (ﷺ) فوضع عليه، وصلى عليه وهو فوقه، فطلبه الناس منا يحملون عليه موتاهم، فحمل عليه أبو بكر وعمر والناس بعد طلبًا لبركته.

قال الواقدي: أجمع أصحابنا -لا اختلاف بينهم- في أن سرير النبي (ﷺ) اشترى ألواحه عبد الله بن إسحاق الإسحاقي -من موالي معاوية بن أبي سفيان- بأربعة آلاف درهم، فلما كان مروان -يعني على المدينة- منع أن يحمل عليه إلا الرجل الشريف، وفرق في المدينة سررًا يحمل عليها الموتى، قال: وكان وسطه بليف منسوج.

ترك (ﷺ) يوم مات ثوبي حبرة، وإزارًا عمانيًا، وثوبين صحاريين، وقميصًا صحاريًا، وآخر سحوليا، وجبة يمانية، وخميصة، وكساءً أبيض، وقلانس صغارًا لاطئة ثلاثًا وأربعًا، وإزارًا طوله خمسة أشبار، وملحفة مورسة.

وكان له سرير وقطيفة، وقصعة.

وكان له صاع يكال بها في بيته، ويخرج بها زكاته، وكان يطعم بها الكفارات، ويأخذ بها الزكاة من الثمار والحبوب.

وكان له مد وهو الذي كفَّر به عن أم ولده: طعام عشرة مساكين مدًا مدًا.

وكان له (ﷺ) محجن قدر الذراع أو نحوه يمشي به، وينكت به، ويعلقه بين يديه على بعيره، ويأخذ به الشيء، ولقد استلم به الركن حين طاف على بعيره، وذلك أنه كان محمومًا يومئذ.

قوله: «وذلك أنه (ﷺ) كان محمومًا».

بوب لذلك البخاري في صحيحه، فقال في كتاب الحج: باب المريض يطوف راكبًا، وأخرج فيه حديث ابن عباس المشار إليه ليس فيه التصريح بمرضه، وكأنه أشار إلى حديث عكرمة عن ابن عباس عند أبي داود وفيه: أن رسول الله (ﷺ) قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته، كلما أتى على الركن استلم الركن بمحجن، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين، ولم يورث (ﷺ) ولده وقال: أنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.

فصل: في ذكر أسماء سيوفه (ﷺ) ودروعه

عن ابن عباس: اسم راية النبي (ﷺ): **العقاب**، واسم درعه: **ذات الفضول** واسم حماره: **يعفور**، واسم سيفه: **ذو الفقار**، واسم بغلته: **دلدل**، واسم فرسه: **ذو الجناح**، واسم ناقته: **القصواء**.

وذات الفضول، من حديث ابن أبي سبرة، عن عبد الرحمن بن عطاء، قال: كانت درع رسول الله (ﷺ) ذات الفضول، أرسل بها سعد بن عبادة إلى رسول الله (ﷺ) حين سار إلى بدر، وسيفٍ يقال له: العضب، فشهد بهما بدرًا، حتى غنم سيفه ذا الفقار يوم بدر من منبه بن الحجاج.

وأما ذو الفقار، فكان سيفًا أصابه من منبه بن الحجاج يوم بدر وهو الذي شهد به الحروب، ودخل الأصمعي على هارون الرشيد وعنده جماعة إذ قال: أريكم سيف رسول الله (ﷺ) ذا الفقار؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين!! فقام فجاء به، فما رأيت شيئًا قط أحسن منه، إذا نُصِب لم ير فيه شيء، وإذا بُطح على الأرض عد فيه سبع فقر، وإذا هو صفيحة يمانية يحار الطرف فيه من حسنه.

وأصابه من منبه بن الحجاج يوم بدر من حديث ابن عباس: أن النبي (ﷺ) تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وأقر رسول الله (ﷺ) اسمه، وله سيف ورثه عن أبيه، وله سيف يقال له: القضيب وهو أول ما تقلد به من السيوف وكان له **العضب**، **والبتارة ومخذم**، **والرسوب**، **والقلعي**، **والحتف**، وقضيب يسمَّى: **المشوق**، ومنطقه من أديم منشور فيها ثلاث حلق والإبزيم والطرف من فضة، وكانت له (ﷺ) حربة تسمَّى: **النبعاء**، وكان له مِجَن يسمى **الذقن**، وكان له ترس أبيض، وكان له بساط يسمَّى: **الكر**، وكانت له عنزة تسمى: **النمر**، وكانت له ركوة، تسمى: **الصادر**، وكانت له مرآة تسمى: **المرآة**، وكان له مقراض يسمى: **الجامع**، وكان له قضيب شوحط، يسمَّى: **المشوق**.

ودروعه ذات الفضول والسعدية، والفضة، ويقال: كانت عنده درع داود النبي (عليه السلام) التي كان لبسها يوم قتل جالوت، وهي السعدية، وكان للنبي (ﷺ) قوس تدعى: **الكتوم** كُسِرَتْ يوم أحد، وكان له درعان: درع تسمى **الصفرية**، والأخرى تدعى **فضة**، وأسماء أدرعته: **ذات الوشاح**، **وذات الحواش**، **البتراء**، **والخرنق**.

عن الشعبي، قال: أخرج لنا علي بن الحسين درع رسول الله (ﷺ) فإذا هي يمانية رقيقة ذات زرافين، إذا علقت بزرافينها لم تمس الأرض، وإذا أرسلت مست الأرض، ومن حديث جعفر بن محمد، عن أبيه قال: كان في درع النبي (ﷺ) حلقتان من فضة عند موضع الثدي، وحلقتان من فضة خلف ظهره، وعن محمد بن مسلمة قال: رأيت على رسول الله (ﷺ) وسلم يوم أحد درعين: درعه ذات الفضول، والسعدية وهي درع داود التي لبسها لقتال جالوت.

فصل: في أسماء رماحه وألويته وترسه ومغفره وراياته (ﷺ)

المثنى، والمحجن، والعنزة -وهي حربة دون الرمح -كان (ﷺ) يدعم عليها، ويمشي بها في يده، وكانت تحمل بين يديه في العيدين أمامه يتخذها سترة يصلي بها.

وكانت له (ﷺ) راية سوداء مخملة يقال لها: **العقاب**، فربما جعلت من مروط عائشة (رضي الله عنها)، وكان لواؤه أبيض، وربما جعلت الألوية من خمر نسائه.

وكانت لرسول الله (ﷺ) راية قطعة قطيفة كانت لعائشة، فسألها فشقها، وكان لواؤه أبيض، وكان يحملها سعد بن عبادة حتى يركزها في الأنصار في بني عبد الأشهل، وهي الراية التي دخل بها خالد بن الوليد من ثنية دمشق، فسميت **ثنية العقاب** وكان له مغفر يقال له: **السُّبوغ**، وله ترس يُسمى، **الزَّلق**. وكان له قدح يقال له **الريان**، وقدح غيره يقال له: **المضبَّب** أكثر من نصف المد وأصغر من المد فيه ثلاث ضبات من فضة، وحلقه يعلق بها، للسفر كان (ﷺ) يسقى فيه من استسقى.

وكان له تور من حجارة يقال له: **المخْضَب**، وكان كثيرًا ما يتوضأ منه، ولقد توضأ (ﷺ) منه يومًا فاحتاج الناس إلى الوضوء فأقبلوا إليه، فأذن لهم أن يتوضؤا منه، فتوضأ منه يومئذ من ذلك المخضب بضعة وثلاثون رجلاً.

ومن حديث أنس، قال: حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار إلى أهله، وبقي قوم، فأتى رسول الله (ﷺ) بمخضب من حجارة فيه ماء، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه، فتوضأ القوم كلهم، قلنا: كم كنتم؟ قال: ثمانين وزيادة.

وكان له قدح من خشب، وقدح من زجاج، وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب - وكان الأنصار يرسلون أولادهم الصغار فيدخلون على رسول

الله (ﷺ) فلا يدفعون عنه، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا به وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة.

وكان له (ﷺ) مخضب من شبه، يكون فيه الحناء والكتم، توضع على رأسه من الحر الذي يجده (ﷺ).

وفي حديث عاصم الأحول: رأيت قدح النبي (ﷺ) عند أنس بن مالك، وكان قد انصدع فسلسله بفضة وقال: هو قدح جيد عريض من نضار.

وفي حديث أميمة قالت: كان للنبي (ﷺ) قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت السرير، وعن أنس أنه أخرج إليهم قدحًا من خشب وقال: كان النبي (ﷺ) يشرب فيه ويتوضأ فيه، وعن ابن عباس: أن صاحب إسكندرية بعث إلى رسول الله (ﷺ) بقدح قوارير.

فصل في أسماء قسيه (ﷺ)

الروحاء، والبيضاء، والصفراء، والكتوم -كسرت يوم أحد- وروي أنه كان بيده (ﷺ) قوس عربية فرأى رجلاً بيده قوس فارسية فقال (ﷺ): ما هذه؟ ألقها، عليكم بهذه وأشباهها.

وكانت له الجعبة: تسمى **الكافور**.

وأصاب رسول الله (ﷺ) في غزوة بني قينقاع ثلاثة قِسي منها **الزوراء**، **السداد** فهي بذلك ستة.

فصل: ذكر خيل رسول الله (ﷺ)

عن علي (رضي الله عنه) قال: كان حمار رسول الله (ﷺ) يسمى: **عفيرًا** وبغلته: **دلدل**، وفرسه: **المرتجز**، وناقته: **القصواء**، ودرعه: **ذات الفضول**، وسيفه: **ذو الفقار**.

وكان فرس رسول الله (ﷺ) يسمى: **السَّكب**، اشتراه من فزارى وسماه سكبًا وكان تحته يوم أحد وكان أغرَّ محجلاً طلق اليمين، وهو أول فرس ملكه رسول الله (ﷺ): فقد ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي: الضرس فسمَّاه رسول الله السكب، ويوم أحد لم يكن مع المسلمين غيره، وفرس لأبي بردة بن نيار يقال له: ملاوح.

أما فرسه (ﷺ) **المرتجز**، اشتراه من أعرابي من بني تميم ثم جحده وقال: من يشهد لك؟ فشهد له خزيمة بن ثابت، فقال له النبي (ﷺ): كيف تشهد على ما لم تحضر؟ فقال: نصدقك في علم السماء، ولا نصدقك على ما في الأرض؟ فسماه النبي (ﷺ): ذا الشهادتين، وعن ابن عباس: أن النبي (ﷺ) ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي (ﷺ) ليقبضه ثمن فرسه، فأسرع النبي (ﷺ) المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي (ﷺ) ابتاعه، فنادى الأعرابي النبي (ﷺ): إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعته.

وفرسه **الضرس**، وكان له فرس يقال له: **لزاز**، أهداه إليه المقوقس ملك القبط، فأعجب به (ﷺ) وكان يركبه، في أكثر غزواته، وفرس يقال له: **الظَّرب**، وفرس يقال له: **الورد**، أهداه تميم الداري فدفعه إلى عمر بن الخطاب، وفرسه **ملاوح**، كان لأبي بردة بن نيار، وفرس يقال له: **اللحيف** أهداه فروة بن عمرو الجذامي، وكان له (ﷺ) فرس يقال له: **سبحات**، جاءت سابقة فسبح عليها، فسميت سبحة، وكان له (ﷺ): فرسه: **السجل** وكذلك فرسه (ﷺ): البحر اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه ثلاث مرات، فجثا (ﷺ) على ركبتيه ومسح وجهه، وقال: ما أنت إلا بحر، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: ركب رسول الله (ﷺ) فرسا لأبي طلحة عريًا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال (ﷺ): إنه لبحر، قال: فوالله ما سُبِق

بعد ذلك اليوم.

وأصاب فرسًا جميلاً في غزوة تبوك فأعجبه صهيلة، ووقع منه كل موقع، فقال له رجل من الأنصار: بأبي أنت وأمي لو وهبت لي هذا الفرس، فقال (ﷺ): هو لك، ولكن إن استطعت أن لا تزال تنزل قريبًا مني، فإن صهيله قد كان يعجبني، وهذا الحصان أهداه (ﷺ) رجل من خزاعة، ولما قدم المدينة فقد صهيلة، فسأل عنه صاحبه، فقال: خصيته، فقال (ﷺ) مه! فإن الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، فاتخذوا من نسلها، وباهوا بصهيلها المشركين، أعرافها أردافها، وأذنابها مذابها، فوالذي نفسي بيده إن الشهداء ليأتون يوم القيامة بأسيافهم على عواتقهم، لا يمرون بأحد من الأنبياء إلا تنحى عنهم حتى يجلس على منابر من نور فيقال: من هؤلاء؟، فيقال: هؤلاء الذين أهرقوا دماءهم لرب العالمين.

وكان (ﷺ) يمسح وجوه خيله بطرف كمه بيده، وربما مسحها بطرف ردائه.

ذكر أسماء البغال والحمير التي أهديت لرسول الله (ﷺ) والتي كان يركبها

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): ولقد أهديت لرسول الله (ﷺ) بغلته **الشهباء** فركبها وأردفني خلفه،وأهدى إليه ملك الروم بغلة فجعلنا لها رسنا من صوف وشعر فرشتها به، ثم دعا بعباءة فثناها، ثم طرحها على ظهرها، ثم ركب وأردفني، فسار هنية ثم حرك رأسه فقال: يا غلام لو اجتمع من في السموات ومن في الأرض على أن ينفعوك بغير ما كتب الله لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمع من في السموات ومن في الأرض على أن يضروك بغير ما كتب الله لم يقدروا على ذلك، فقلت: يا رسول الله فكيف لي أن أكون على ذلك؟ فقال (ﷺ):

تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

وكانت البغلة التي يقال لها دلدل أهداها إليه المقوقس حاكم مصر، فكان يركبها في المدينة، وكان يركبها علي (رضي الله عنه) وبقيت إلى زمن معاوية.

وكان له حمار يقال له: يعفور، وكانت له بغلة أخرى يقال لها: **فضة** وهبها لأبي بكر، وله بغلة أخرى يقال لها **أيلية** أهداها له ملك أيلة.

فصل: ذكر ما كان له (صلى الله عليه وسلم) من النوق

كان له (صلى الله عليه وسلم) من النوق: **القصواء** ابتاعها أبو بكر (رضي الله عنه) وأخرى معها من بني الحريش بثلاثمئة درهم، فأخذها منه النبي (صلى الله عليه وسلم) بأربعمئة درهم وكان لا يحمله غيرها إذا أنزل عليه الوحي، وقد بركت عند الثنية التي يهبط عليهم منها، فقال الناس: حل، حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال (صلى الله عليه وسلم): ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، وهي التي هاجر عليها.

وأما **العضباء**، فكانت لا تسبق، ثم جاء أعرابي على ناقة فسبقها، فعجب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقال: إن من قدر الله تعالى أن لا يرتفع شيء إلا وضعه، وكانت له (صلى الله عليه وسلم): **الجدعاء**، وفيها: أن النبي (صلى الله عليه وسلم): أتى أبا بكر فقال: أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج؟ فقال: يا رسول الله الصحبة، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) الصحبة، قال: يارسول الله عندي ناقتان قد كنت أعددتهما للخروج، فأعطى النبي (صلى الله عليه وسلم) إحداها وهي الجدعاء فركبا.

أما أسماء لقاحه (صلى الله عليه وسلم): **المروة، البَغُوم**، وكانت لقاحه التي أغار عليها عيينة بن حصن بالغابة عشرين لقحة وكان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقحة تدعى: **بردة** لم ير مثلها من الإبل، تحلب ما تحلب لقحتان غزيرتان، فكانت تروح على البيوت يرعاها هند وأسماء، يعتقبانها بأحد مرة وبالجماء مرة -والكلام لأم

سلمة- ثم يأوي بها إلى منزلنا معه ملء ثوبه مما يسقط من الشجر وما يهش من الشجر، فتبيت في علف حتى الصباح، فربما حَلبت على أضيافه فيشربون حتى ينهلوا غبُوقًا ويفرق علينا بعد ما فضل، وحلابها صبوح حسن.

وقيل: كانت لقاحه سبعًا، فأغار عليها العرنيون وقتلوا غلامه يسارًا، وساقوا اللقاح، فوجه (ﷺ) عليًا في آثارهم، فردهم وقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم وصلبهم في الشمس.

فصل: ذكر أعنزه (ﷺ)

كن سبعًا ترعاهن أم أيمن وتروح بهن إليه، وسئلت أم سلمة: هل كان رسول الله (ﷺ) يبدو؟ قالت: لا والله ما علمته، كانت لنا أعنز سبع، فكان الراعي يبلغ بهن مرة الجماء، ومرة أحدًا، ويروح بهن علينا فكانت لرسول الله (ﷺ) لقاح بذي الجدر، وتكون بالغابة فتؤب إلينا ألبانها بالليل، وكان أكثر عيشنا من الإبل والغنم.

وأسماؤها: **عجوة، وزمزم، وسقيان وبركة، وورسة، وإطلال، وإطراف**.

وكان اسم شاته (ﷺ) التي يشرب لبنها: **غيثة**.

وكان له مئة من الغنم، فكان كلماولد الراغي بهمة ذبح، مكانها شاة وقال ابن سيد الناس: وأما البقر فلم ينقل أن رسول الله (ﷺ) ملك منها شيئًا.

وكان له (ﷺ) ديك أبيض يبيته معه في بيته وقد امتدح النبي (ﷺ) الديك، وثبت أنه نهى (ﷺ) عن سبه ولعنه.

فصل: ذكر ما كان يلبسه (ﷺ) وما كان يعجبه من اللباس

كان أحب الثياب إليه (ﷺ) **القميص**، وكان إزاره (ﷺ) إلى نصف

الساق كان (ﷺ) يلبس الشملة ويأتزر بها، ويصلي فيها بالناس، ويلبس (ﷺ) القلانس تحت العمائم وبغير العمائم والعمائم بلا قلانس، والقلانس ذوات الآذان في الحرب وربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها، وكثيرًا ما تعمم بالعمائم الحرقانية السوداء في أسفاره وربما يعتجر اعتجارًا وكانت له عمامة يعتم بها يقال لها: **السحاب** فكساها علي بن أبي طالب، وكان يعجبه الثياب الخضر وكانت له جباب: **جبة سندس** بزيون خضراء ومن حديث ركانة: أن النبي (ﷺ) قال: فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس، عن أنس أن أكيدر دومة أهدى للنبي (ﷺ) جبة سندس، فتعجب الناس منها، فقال رسول الله (ﷺ): أتعجبون من هذه فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه.

وكانت له **جبة من طيالسة مكفوفة بالديباج** يلقى بها العدو.

عن عبد الله مولى أسماء قال: أخرجت إلينا أسماء جبة من طيالسة لها لبنة شبر من ديباج كسرواني، وفروجها مكفوفة به، فقالت: هذه جبة رسول الله (ﷺ) كانت عند عائشة (ﵥ)، فلما توفيت عائشة (ﵥ) قبضتها، فنحن نغسلها للمريض منا إذا اشتكى، وكان رسول الله (ﷺ) يشتري لنفسه الثياب، وربما طلب اللبيس من القمص والسراويلات، وربما يشتري الجدد، وقميصه، وجبابه، وأقبيته كلها مشمرة فوق الكعبين، وقمصه مشدودة الأزر.

من حديث الأشعث بن سليم قال: سمعت عمتي، تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي في المدينة إذا إنسان خلفي بقول: إرفع إزارك فإنه أتقى وأنقى، فإذا هو رسول الله (ﷺ)، فقلت: يا رسول الله (ﷺ) إنما هي بردة ملحاء، قال: أما لك فيّ أسوة؟ فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه.

وربما لبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه، وربما لبس الإزار الواحد

ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه فيصلي فيه، وكان له كساء صوف سيحاني، كساء ملبد، كساء أسود كانت تعجب به أم سلمة من حسن بياض الرسول (ﷺ) معه، وكان له ثوبان لجمعته دون ثيابه في غير الجمعة، وفي يوم الجمعة يلبس برده الأحمر، ويعتم ويسدل طرف العمامة، وكان له منديل يمسح به وجهه، فإذا لم يكن معه مسح وجهه بطرف ردائه، وأهدى له النجاشي خفين ساذجين، لبس خاتماً من فضة، فصه حبشي، وجعل الفص مما يلي الكف، عن طريق دلهم بن صالح قال: سمعت عبد الله بن بريدة، عن أبيه: أن النجاشي كتب إلى النبي (ﷺ) أني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك: أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديت لك هدية جامعة: قميصًا، وسراويل، وعطافًا وخفين ساذجين، فتوضأ النبي (ﷺ) ومسح عليهما.

وله خاتم من حديد عليه فضة أهداه له معاذ بن جبل مكتوب عليه: محمد رسول الله.

فصل: ذكر مرآته ومكحلته ومشطه وغير ذلك من أدواته

كان إذا أراد أن يخرج دعا بالمرآة، ثم لا يخرج حتى ينظر فيها، ويمتشط وكان في حجرة عائشة (رضي الله عنها) ركوة فيها ماء كان (ﷺ) ينظر فيها ويسوي جمته ويقول (ﷺ): إن الله يحب عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل، وكان في يده مدرى يرجل بها رأسه، ويضع (ﷺ) المشط تحت وسادته، كانت لا تفارقه قارورة الدهن في أسفاره والمكحلة والمرآة، والمشط، والمقراض، والسواك ويكون معه الخيوط، والإبرة، والمخصف، والسيور فيخيط ثيابه ويخصف نعله.

وعن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا أخذ مضجعه من الليل وضع له سواكه ومشطه، فإذا أهبه الله (عز وجل) من الليل استاك وتوضأ وامتشط

ورأيت رسول الله (ﷺ) **يمتشط بمشط من عاج.**

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: خرج رسول الله (ﷺ) إلى الصلاة فمر بركوة فيها ماء، فاطلع فيها فسوى من لحيته ومن رأسه، قالت عائشة: يا رسول الله -يعني: سألته عن ذلك فقال: ينبغي للرجل إذا خرج إلى أصحابه أن يهيئ من لحيته ومن رأسه، **فإن الله جميل يحب الجمال.**

جامع أبواب الدلائل التي يستدل بها على نبوته (ﷺ) وما خص به النبي (ﷺ) من المعجزات

دلائل نبوته (ﷺ)

الدلائل التي يستدل بها على نبوته من خمسة أوجه:

الأول: ما أتى به من الآيات التي يعجز عنها طوق البشر.

الثاني: هو الاستدلال بالظاهر من أمره على الخفي.

الثالث: وجود الأخبار في الكتب المتقدمة شاهدة لتصديقه.

الرابع: إخباره لما يكون في المؤتنف والمستقبل، ثم يكون الأمر كما أخبر.

الخامس: البرهان العقلي الذي يضطر العقول إلى معرفة صدقه.

الوجه الأول مثل: شكوى البعير، كلام الذئب، حنين الجذع، ومشي الشجر، تفجر الماء من بين أصابعه الشريفة، إخباره الشاة المسمومة عن نفسها، وإطعامه أصحابه وهم كثيرون من طعام يسير، ومسحه ضرع الشاة لابن مسعود، وأم معبد حتى صار حافلاً، وكذلك ما ظهر في حفره الخندق وفي سفره ومسيره وفي عامة مغازيه.

أما الوجه الثاني: وهو ما يستدل بالظاهر من أمره على الخفي؛ فهو ما وجد فيه من الفضائل والمعالي والمكارم والأخلاق الحسنة الشريفة التي لم تجتمع مثلها في واحد قط ثم يكون مع ذلك كذابًا.

كما في قول ابن سلام: أتيت المدينة حين قدم النبي (ﷺ) فوجدت رسول الله (ﷺ) قائمًا يقول: يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وألينوا الكلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

وكان أكثم بن صيفي – وهو من حكماء العرب، عاش ثلثمائة وستين سنة، ولم يكن أحد من العرب يفضل عليه في الحكمة –، لمَّا سمع برسول الله (ﷺ) بعث إليه ابنه وكتب إليه كتابًا، فأجابه رسول الله (ﷺ) عن كتابه، فلما ورد عليه ابنه بالكتاب قال لابنه: ما رأيت؟ قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن لئامها، يدعو إلى أن يُعبد الله وحده لا شريك له، ويأمر بخلع الأوثان، فقال: قد علم ذو الرأي والعقل أن الفضل فيما يدعو إليه، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخرًا، واتبعوه تشرفوا، وأتوه طائعين من قبل أن تأتوه كارهين، فإني والله أرى أمرًا ليس بالهين، لا يترك مصعدًا إلا صعده، ولا مضربًا إلا ضربه، ولينفرن بالمقيم، إن الذي يدعو إليه لو لم يكن دينًا لكان في العقل حسنًا، وإني والله أرى أمرًا لا يتبعه ذليل إلا عز، ولا يخالفه عزيز إلا ذل، اتبعوه تزدادوا مع عزكم عزًا.

الوجه الثالث من آياته فالأخبار في الكتب المتقدمة قبل مبعثه شاهدة لتصديقه، وناطقة بنعوته ومبينة عن صفاته بما وجدت حقيقة ذلك كله فيه وتلك الأخبار ضربان:

أحدهما: ما وجد في الكتب المنزلة من السماء مثل: التوراة، والإنجيل والزبور وغيرها من كتب شعيا ودانيال.

الضرب الثاني: ما وجد من قبل الكهان، والمنامات، وما روي من حديث سطيح وشق وما أشبه ذلك.

وأما الوجه الرابع: فإخباره عن الحوادث والكوائن التي تكون بعده: مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ (الفتح: ٢٧)، ومثل قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ (الفتح: ٢٠) ومثل قوله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥) ومثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (الصف: ٩) ومثل قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (الفتح: ١١) ومثل قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ (الفتح: ١٦) وما أشبه ذلك من الآيات.

ومن هذا الضرب أيضًا: دعواته (ﷺ) التي لم تخلف قط، كقوله (ﷺ) في دعائه لأنس بن مالك: اللهم أكثر ماله وولده، وكقوله للعباس بن عبد المطلب: لا يفضض الله فاك،وكذلك في النابغة الجعدي، فكانت أسنانه تزف زفيفا على كبر سنه، ومات ولم ينفض له سن، ودعاؤه (ﷺ) على قريش بالقحط، وعلى كسرى أن يُمزَّق ملكه، وعلى عتبة بن أبي لهب وأبي جهل، وما أشبه ذلك.

والوجه الخامس: البرهان العقلي -وهو القرآن-: الذي تحدى به العرب مرة بعد أخرى، وتارة بعد أولى إلى أن يأتوا بسورة مثله، وفيهم الشعراء والخطباء والبلغاء، ولم يتركهم على ذلك بل توعدهم بأشد الوعيد، ووبخهم أغلظ التوبيخ، إن لم يأتوا بسورة مثله أن يدعوا شهداءهم من دون الله إن كانوا صادقين، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢٤) يعني: إن لم تفعلوا ولن تقدروا عليه وأصررتم على ما أنتم عليه من التكذيب فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة.

وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ (هود: ١٣) وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

وكيف يجوز أن يكونوا -مع أوتوا من البسطة في اللسان والقدرة على البيان والفصاحة والجزالة والحمية والأنفة- قد جاء واحد من جملة عددهم بدين يخالف دينهم فسفَّه عقولهم وضلل أحلامهم وسب آلهتهم وشتت جموعهم، وجاءهم بكلام منظوم يبين بذلك الكلام على صدقه وأنه دليل على نبوته، وأنهم لا يقدرون على أن يأتوا بسورة مثله!! فقرعهم بذلك في المواقف والرد عليهم مقالة في المواطن، وهم قادرون على أن يكذبوا في انتحاله، ويكفون أنفسهم أمره بمعارضتهم، مختارين بذلك بذل النفوس والأموال، والعزيز من الأهل والأولاد على ما هو أخف وأيسر من مقابلته بكلام يسير يلوح منه كذبه، ويظهر به افتعاله وإفكه، فدل ما قلنا: إن تركهم المعارضة إنما كان لظهور العجز والانقطاع، والكلام في إعجاز القرآن يطول.

فصل: في إعلام نبوته الباهرة، وما في تأييد الله ونصرته له على أعدائه ورد كيدهم عنه (ﷺ) من الدلائل الظاهرة

فمن أعلام نبوته (ﷺ) التي بهرت عقول قريش، وتركتهم في أمرهم حيرى: ليلة أسرى الله به من مكة إلى المسجد الأقصى بالشام، فبات معهم أول الليل، ثم اخترق الشام ورجع من آخر الليل، فلما أنبأهم بذلك أنكره من لم يعقل آيات الرسل عقله، ونفروا منه، وعرف صدقه العارفون بالله من أصحابه، فأعداؤه انكروا ما أخبرهم به.

عن ابن عباس: قال: قال رسول الله (ﷺ) لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعدت معتزلاً حزينًا، فمر عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله (ﷺ) نعم، قال: ما هو؟ قال: إنه أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فلم ير

أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله (ﷺ): نعم، فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي، حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال: حدث قومك بما حدثتني به فقال رسول الله (ﷺ): إني أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قلت: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: ممن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا للكذب وامتحنوه بوسع طاقتهم ومبلغ جهدهم، جهدًا في إطفاء نوره وإبطال دعوته وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألونني عن شيء إلا أنبأتهم.

فأخبرهم (ﷺ) بمجيء عيرهم، وأن الجمل الذي يتقدمها عليه غرارتان، وإخباره بأمر العير من أعجب العلامات التي أخبر بها فلو كان مخبرًا عن غير الله لم يدر أن يتفق أن يتقدم بعير آخر فيجيء الأمر بخلاف ما أخبر به، والحق واضح لمن لم يلحد فيه.

وحديث أم هانئ في قصة الإسراء: قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فقال (ﷺ): أتيت على عير بني فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه، ثم انتهيت إلى عير بني فلان فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا، ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق، وها هي ذي تطلع عليكم من الثنية، فقال الوليد ابن المغيرة: ساحر، فانطلقوا، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد، فأنزل الله (عَزَّ وَجَلَّ) قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠) ومنها أنه لما خرج في متوجهه إلى الهجرة، وأدى إلى

غار بقرب مكة، وأقام ثلاثًا لا يطرقه بشر حتى كأن لم يكن هنالك أثر، وخرج القوم في طلبه، فأعماهم الله (عَزَّوَجَلَّ) وصدهم عنه وهو نصب أعينهم، فبعث الله عنكبوتًا فنسجت عليهم، كما بعث الله حمامتين، فوقفتا أمام الغار، فآيسهم من الطلب فيه بعد أن قصدوا له وأمر سراقة بن مالك بن جعشم، ملتمسًا لغرته ليحظى به عند قريش ويبيعه بعرض من الدنيا يسير، فأمهله الله حتى أيقن أنه ظفر ببغيته، إذ خسف الله به الأرض فساخت قوائم فرسه حتى تغيبت بأجمعها في الأرض وهو بموضع جدد، وقاع صفصف كأنه ظهر صفوان، فارتاب وعلم أن الذي أصابه أمر سماوي فنادى: يا محمد، فأجابه (ﷺ) آخذًا بالفضل، ورحمة بعباد الله، فقال: ادع ربك يطلق لي فرسي، وذمة الله عليَّ أن لا أدل عليك أحدًا، فدعا، فوثب جواده كأنه أفلت من أنشوطة، ولم يكن موضع عثار ولا غبار، وقال سراقة لأبي جهل:

أباحكم والله لو كنت شاهدًا	لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدًا	رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه فإنني	أرى أمره يومًا ستبدو معالمه

ومنها: أن أبا جهل عدوه اشترى من رجل طارئ بمكة إبلا فبخسه أثمانها فأتى الرجل يستجير قريشًا، فأحالوه إلى النبي (ﷺ) استهزاءً به لقلة منعته عندهم، ولكثرة أعوان عدوه عليه، فأتاه مستجيرًا به، فمضى معه ودق الباب على أبي جهل، فعرفه، فخرج منخوب العقل فقال: أهلاً أبا القاسم -قول باخع ذليل -فقال: (ﷺ): أعط هذا حقَّه، قال: نعم، فأعطاه من فوره، فلما أتى قومه عيروه، فقال: إني رأيت ما لم تروا، رأيت والله على رأسه تنينًا فاتحًا فاه، لو أبيت لألتقمني.

ومنها: أن أبا جهل طلب غرَّته، واحتال في ختله، وراقب ساعات غفلته فوافقه

يومًا ساجدًا لربه، فاهتبلها منه، فظن أن قد ظفر ببغيته، فأخذ صخرة بوسع طاقته وهيأها ليطرحها عليه، فألزقها الله بكفه، وحال بينه وبين الرسول (ﷺ)، فلما عرف ألا نجاة له إلا به سأله -فسأل رحيمًا- أن يدعو ربه، فدعا له، فسلها من يده.

وعن ابن عباس قال: قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدًا بحجر، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

قال: فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا ثم جلس لرسول الله (ﷺ) ينتظر، وغدا رسول الله (ﷺ) كما يغدو، وكانت قبلته الشام، فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله (ﷺ) ثمة يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون، فلما سجد رسول الله (ﷺ) احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا لونه مرعوبًا، قد يبست يداه على الحجر، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش، فقالوا: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم أن يأكلني، قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله (ﷺ) قال: ذاك جبريل (عليه السلام) لو دنا مني لأخذه.

ومنها: أن نفرا من قريش اجتمعوا وتآمروا أن يقتلوه فابتدر أبو جهل لذلك وتقلد سيفه، وجاء إلى رسول اله (ﷺ) ليقتله، ورسول الله (ﷺ) يقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١) حتى فرغ من صلاته، تأخر، فقالوا لأبي جهل: لم

لا تتقدم إليه؟ قال: أما رأيتم ما رأيت؟ فقالوا: وما رأيت؟ قال: والله لقد رأيت بيني وبينه أمثال الجبال.

منها: تآمر قريش عليه في دار الندوة فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل من نجد، واتفقوا على حبسه، إلا أن إبليس أشار عليهم بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا نسيبًا وسيطًا، ثم يعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ويتوزع دمه بين القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فأتى جبريل (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه، فقال (صلى الله عليه وسلم) لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نم على فراشي، وتسج ببردي هذا فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك منهم شيء تكرهه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينام في برده ذلك.

ولما اجتمعوا له، خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم على بابه فأخذ حفنة من تراب في يديه، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر من ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (يس: ١، ٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ (يس: ٩) فلم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه التراب، ثم انصرف، وآتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم لم يترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه التراب، وانطلق لحاجته أفلا ترون ما نزل بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم انطلقوا فرأوا عليًا مكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في فراشه، فظنوه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كان متسجيًا ببرده (صلى الله عليه وسلم)، حتى قام علي عن الفراش.

ومنها ما روى ابن عباس قال: دخلت فاطمة على النبي (صلى الله عليه وسلم) تبكي، فقال:

يا بنية ما يبكيك؟ فاخبرته أن الملأ من قريش سيقتلونه، فتوضأ رسول الله (ﷺ) وخرج إلى المسجد، فلما رأوه طأطأوا رؤسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم، فتناول النبي (ﷺ) قبضة من التراب وهو في الحجر فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من تلك الحصى إلا قتل يوم بدر كافرًا.

ومنها: ما روى ابن عباس قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١)، جاءت امرأة أبي لهب إلى أبي بكر، وأبو بكر جالس مع رسول الله (ﷺ)، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله إنها امرأة بذيئة، وأنا أخاف أن تؤذيك فقال (ﷺ): إنها لن تراني، فقالت: يا أبا بكر هجاني صاحبك، فقال لها أبو بكر: لا، وما يقول الشعر، قالت: فإنك عندي مصدق، وانصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما رأتك؟ قال: ما زال الملك يسترني منها بجناحيه.

ومنها: ما روي عن عروة بن الزبير أن النضر بن الحارث انتهز فرصة ابتعاد النبي (ﷺ) إلى أسفل ثنية الحجون لقضاء حاجته في نصف النهار شديد الحر، فلما دنا من رسول الله (ﷺ) عاد مرعوبًا، فسأله أبو جهل فأخبره النضر: اتبعت محمدًا رجاء أن أغتاله، وهو وحده ليس معه أحد، فإذا أساود تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها، فهالتني فذعرت منها ووليت راجعًا، قال أبو جهل: هذا بعض سحره.

ومنها: ما روي عن الحكم بن أبي العاص، قال: مررت يومًا بحراء، فإذا أنا بنور عظيم، ورأيت شجرة لم أر مثلها قط أحسن وجها منه يحدثه، وكنت شجاع قومي، فقلت: ما لي لا أريح قريشًا من هذا؟ فهممت بقتله، فإذا أنا بأسد قد استقبلني يريدني، فوليت مدبرًا، فسمعته يقول: والذي بعث محمدًا بالنبوة لولا أنك وليت لتركتك لا تمشي على قدميك أبدًا.

ومنها: ما روي عن عكرمة: أن قومًا أرادوا إيذاء رسول الله (ﷺ) فأتى

رسول الله (ﷺ) فجعل يذر التراب على رؤسهم ويقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يس: ١، ٢) وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) قال: ﴿سَدًّا﴾: غطاء ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ يقول: ألبسنا أبصارهم وغشيناهم فهم لا يبصرون النبي (ﷺ) فيؤذونه، ذلك أن أناسًا من بني مخزوم تواصوا بالنبي (ﷺ) ليقتلوه، منهم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، ونفر من بني مخزوم، فبينا النبي (ﷺ) قائم يصلي فلما سمعوا قراءته أرسلوا الوليد ليقتله، فانطلق حتى انتهى إلى المكان الذي كان يصلي النبي (ﷺ) فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فانصرف إليهم فأعلمهم بذلك، فأتاه من بعده: أبو جهل، والوليد، ونفر منهم، فلما انتهوا إلى المكان الذي هو يصلي فيه سمعوا قراءته، فيذهبون إلى الصوت، فإذا الصوت من خلفهم فينتهون إليه فيسمعونه أيضًا من خلفهم، فانصرفوا، ولم يجدوا إليه سبيلاً فذلك قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ (يس: ٩) وعن ابن عباس قال: كان رسول الله (ﷺ) يقرأ في المسجد حتى تأذى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عمي لا يبصرون، فجاؤا إلى النبي (ﷺ) فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، قال: ولم يكن بطن من بطون قريش إلا وللنبي فيهم قرابة، فدعا النبي (ﷺ) حتى ذهب عنهم، فنزلت: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ١-٣) إلى قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: ١٠) قال: فما آمن من أولئك النفر أحد.

وروي عن أنس بن مالك: عندما هزم المسلمون في غزوة حنين وكان رسول الله (ﷺ) على بغلة يقال لها: دلدل، فقال (ﷺ) لها: التزمي دلدل، فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجوههم، وولى المشركون منهزمين، ما ضرب بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم.

وحديث سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله (ﷺ) حنينا، فلما واجهنا

العدو تقدمت لأعلو الثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتوارى عني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة رسول الله (ﷺ)، فولى صحابة النبي (ﷺ) وأرجع منهزمًا وعليّ بردتان متزرًا بإحداهما، مرتديًا بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعًا، ومررت على رسول الله (ﷺ) منهزمًا وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله (ﷺ): لقد رأى ابن الأكوع فزعًا، فلما غشوا رسول الله (ﷺ) نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين فهزمهم الله (عز وجل)، وقسم رسول الله (ﷺ) غنائمهم بين المسلمين.

ولما نزل (ﷺ) خيبر قال: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

ومنها: ما روي عن عروة بن الزبير قال: قدم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على رسول الله (ﷺ) وقد توافقا على ما توافقا عليه من الغدر برسول الله (ﷺ) فلما قدما قال عامر لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف، فلما قدما على رسول الله (ﷺ) قال عامر: يا محمد خالّني، قال: لا حتى تؤمن بالله وحده، قال: يا محمد خالّني، قال: لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له، وجعل يكلمه وينظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يجيب شيئًا، فلما رأى عامر ما صنع أربد قال: يا محمد خالّني، قال: لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له، فلما أبى عليه رسول الله (ﷺ) قال: أما والله لأملانها عليك خيلا جردًا ورجالاً مردًا ولأربطن بكل نخلة فرسًا، فلما ولَّى، قال رسول الله (ﷺ): اللهم اكفني عامر بن الطفيل، فلما خرجا من عنده قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أوصيتك به؟ فلما كانا ببعض الطريق أصاب عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في

بيت امرأة من بني سلول، وخرج أربد ومن معه من أصحابه حين رأوا عامرًا قد مات بأرض بني عامر، فقالت بنو عامر: يا أربد ما وراءك؟ قال: لا شيء، والله لقد دعاني إلى عبادة شيء لوددت أنه الآن عندي فأرميه بمثل هذه -وأشار إلى مكان قريب- حتى أقتله، فخرج أربد بعد ذلك بيوم أو يومين ومعه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه صاعقة فاحترق هو وجمله.

ومنها ما روي عن ابن عباس قال: مر أبو جهل على رسول الله (ﷺ) وهو ساجد يصلي، فقال: ألم أنهك يا محمد؟ لتنتهين عن هذا أو لأفعلن بك، فانتهره رسول الله (ﷺ) وأغلظ فقال: بم تهددني يا محمد؟ ما بهذا الوادي أحد أكثر مني ناديًا، فقال (عز وجل): ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (العلق: ١٧، ١٨)، ومنها: أن شيبة بن عثمان الحجبي كمن لرسول الله ليقتله وكان شيبة بن عثمان رجلاً صالحًا له فضل، وكان يحدث عن إسلامه وما أراد الله (عز وجل) به من الخير، ويقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه من الضلالات آباؤنا، ثم يقول: لما كان عام الفتح ودخل رسول الله (ﷺ) مكة عنوة قلت: أسير مع قيس إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلفوا أن أصيب من محمد غِرة وأثأر منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدًا ما اتبعته أبدًا، فكنت مرصدًا لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس اقتحم الناس رسول الله (ﷺ) عن بغلته، وأصلتُّ السيف، ودنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفي حتى كدت أسوره، فرفع لي شواظ كالبرق من نار كاد يمتحشني، فوضعت يدي على بصري خوفًا عليه، والتفت إلى رسول الله (ﷺ) فناداني: يا شيبة ادن مني، فدنوت منه، فمسح صدري ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان، قال: فو الله لهو كان الساعة إذن أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله (عز وجل) ما كان بي، ثم قال: (ﷺ): ادن فقاتل، فتقدمت أمامه

أضرب بسيفي، الله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، فجعلت ألزمه فيمن لزمه، حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد، وقربت بغلة رسول الله (ﷺ) فاستوى عليها، فخرج في إثرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه (ﷺ) فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبًا له ولرؤية وجهه وسرورًا به، فقال (ﷺ) يا شيبة، الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك، ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أذكره لأحد قط، قال: فقلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله (ﷺ)، ثم قلت: استغفر لي يا رسول الله، قال (ﷺ)، قال: غفر الله لك.

ومنها: إطلاع الله رسوله (ﷺ) على أمر صحيفتهم وأن الأرضة أكلت ما فيها من جور وظلم وما بقي فيها من ذكر الله وهو باسمك اللهم، فأخبر أبو طالب قريشًا بما قال ابن اخيه (ﷺ) فأرسلوا إلى الصحيفة فوجدوا كلام رسول الله (ﷺ) صحيحًا ويومها فُكَّ حصار المسلمين الجائر من قريش والذي استمر قرابة ثلاث سنوات ومنها: أنه (ﷺ) توجه إلى وادي أضم فلقيه ركانة وليس مع نبي الله (ﷺ) أحد، فقام إليه ركانة وكان من أفتك الناس فقال: يا محمد أنت الذي تشتم آلهتنا وتدعو إلهك العزيز الحكيم؟ ولولا رحم بيني وبينك ما كلمتك الكلام حتى أقتلك، ولكن ادع إلهك العزيز الحكيم ينجيك مني اليوم وطلب ركانة من النبي (ﷺ) أن يصارعه على عشرة من الغنم فقال النبي (ﷺ): نعم إن شئت فأخذ، ودعا نبي الله (ﷺ) إلهه العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة، ودعا ركانة اللات والعزى فأخذه النبي (ﷺ) فصرعه وجلس على صدره، فقال ركانة: لست أنت الذي فعلت هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم خذلني اللات والعزى، وما وضع أحد جنبي قبلك وقال له ركانة: عد، فإن أنت صرعتني فلك عشرة أخرى، فصرعه النبي (ﷺ) وجلس على صدره، فطلب ركانة المصارعة للمرة الثالثة فصرعه النبي (ﷺ) ورفض

النبي أخذ الثلاثين شاة ورفض ركانة دعوة النبي للإسلام وطلب آيةمن النبي (ﷺ) فأشار النبي لشجرة ذات فروع وقضبان فجاءت تشق الأرض وأمرها فرجعت مكانها وتكبر ركانة ولم يسلم خشية حديث نساء المدينة أنه دخل الإسلام خوفًا ورعبًا.

فجاء من خلفه، فلما أراد أن يسوره وأن يعلوه بالسيف رُفع له شواظ من نار كاد أن يحترق، فنكص على عقبيه وتركه (ﷺ).

ومنها: أنه انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر. فقال: يا رسول الله انكسر سيفي، فأخذ (ﷺ) جزلاً من حطب فأعطاه إياه وقال له: هزه فصار سيفًا، فتقدم وجاهد به الكفار، فكان لم يزل بعد ذلك معه.

ومنها: أنه كان في سفر من أسفاره فكان إذا أصابته الشمس أظلته سحابة تدور معه حيث دار، وتزول معه حيث زال، يراها رفقاؤه ومعاشره.

ومنها: عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله ما من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر قال (ﷺ): نعم قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، قال: فضرب الله (عز وجل) وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم الله بالريح.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) كان في سفر، ونزل تحت شجرة وعلق سيفه بها فدسوا رجلا ليقتله، فجاء وهو (ﷺ) لا يشعر فأخذ سيفه وسله فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ قال: الله، فضرب رسول الله (ﷺ) بين كتفيه فسقط الرجل، وقام رسول الله (ﷺ) وأخذ سيفه وقال: من يمنعك الآن مني؟ فقال: لا أحد، فعفا عنه (ﷺ).

ومنها: أنه (ﷺ) إذا نظر إلى السحابة علم رعدها وفيم ترعد، فمرت

سحابة ورعدت عند نكث أهل مكة عهودهم فقال (ﷺ): والذي نفسي بيده إنها لترعد بنصر بني كعب، فكان كذلك، وسار (ﷺ) عند ذلك ففتحها.

عن عروة بن الزبير، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، أنهما حدثاه جميعًا، قالا: كان في صلح رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية بينه وبين قريش: أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دَخَلَ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد (ﷺ) وعهده، وتواثبت بنو بكرٍ، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهرًا، ثم أن بني بكر الذين كانوا في عقد قريش وعهدهم، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله (ﷺ) وعهده ليلاً بماءٍ لهم يقال له: الوتير، قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحدٌ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح، فقاتلوا معهم للطعن على رسول الله (ﷺ)، وأن عمر بن سالم ركب إلى رسول الله (ﷺ) عند ما كان من أمر خزاعة وبني بكرٍ بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله (ﷺ) يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعرٍ، فلما قدم على رسول الله (ﷺ) أنشده إياها:

اللهم إني ناشدٌ محمدًا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

كنا والدًا وكنت ولدًا ... ثم أسلمنا ولم ننزع يدًا

فانصر رسول الله نصرًا أعدنا ... وادع عباد الله يأتوا مددًا

فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفًا وجهه تربدا

في فيلقٍ كالبحر يجري مزبدًا ... إن قريشًا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وزعموا أن لست أرجو أحدًا

فـهـم أذل وأقـــل عـــددًا		قد جعلوا لي بكداء مرصدًا
هـم بيـتونـا بـالـوتـير هـجـدا		فـقـتـلـونـا ركـعًـا وسـجـدًا

فقال رسول الله (ﷺ): نصرت يا عمرو بن سالم.

فما برح رسول الله (ﷺ) حتى مرت عنانةٌ في السماء، فقال رسول الله (ﷺ): إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعبٍ، وأمر رسول الله (ﷺ) الناس بالجهاز، وكتمهم مخرجه، وسأل الله أن يعميَ على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم.

ومن ذلك: أنه لما فتح مكة قصد الكعبة وفيها ثلاثمئة وستون صنمًا، فأخذ عودًا وجعل يطعن في وجوههم، ويقول ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) وأنه (ﷺ) كلما أشار بيده إلى صنم خر لوجهه من غير أن يمسه.

ومن ذلك: أن كسرى كتب إلى باذان عامله على اليمن أن يبعث إليه محمدًا (ﷺ) فكتب له (ﷺ) إن أجابه شفع له وإن لم يجب فهذا كسرى مخرب بلادك، ومستأصل قوتك، فنزل جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: سلطت ابن كسرى على أبيه فقتله لخمس ساعات من ليله كذا، فدعا النبي (ﷺ) برسل باذان فأخبرهم، وكتب إلى باذان: إن أسلمت استعملتك،وانصرف الرسولان بما كتب، وقال: فقدما علي باذان فأخبراه بما قاله (ﷺ) عن شيرويه وقتله كسرى، فأسلم باذان، وأسلمت الأبناء من آل فارس.

ومنها: يوم صافّ (ﷺ) أعداءه ببدر وهم ألف أو زهاء ألف، وهو في عصابة تكون ثلثهم، فلما حمي الوطيس والتحمت الحرب أخذ قبضة من التراب

ملء كفه، والقوم متفرقون في نواحي عسكرهم، فرمى به وجوههم فلم يبق منهم رجل إلّا امتلأت عيناه منه، وإن الريح لتعصف يومها إلى الليل، لم يكن ليصيب اثنين منهم.

ثم قرعهم الله بذلك في القرآن، وثبت به المؤمنين.

فأي أحد يقدر أن يرمي قومًا بينه وبينهم مائتا ذراع بتراب ملء كفه فيصيبهم جميعًا؟ فهل هي إلّا قدرة الخالق تبارك وتعالى معجزة لنبيه (ﷺ)؟.

فصل: ذكر ما ظهر من الآيات والدلائل فيمن دعا عليه النبي (ﷺ)

أتى عامر بن الطفيل النبي (ﷺ) فقال له: يا عامر أسلم، قال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر؟ قال (ﷺ): لا، ثم قال: يا عامر أسلم، قال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر؟ قال (ﷺ): لا قال: فولى وهو يقول: والله يا محمد لأملانها عليك خيلاً جردًا، ورجالاً مردًا، ولأربطن بكل نخلة فرسًا، فخرج فقام عند امرأة سلولية فأخذته غدة في حلقه فمات.

ومنها أنه دعا على عتبة بن أبي لهب، وكان يؤذيه هو وأبواه كثيرًا، وكان هو ختن رسول الله (ﷺ) على ابنته، فأمره رسول الله (ﷺ) أن يطلقها، فطلقها، وتعلق برسول الله (ﷺ) فمزق ثيابه، فقال (ﷺ): اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك.

فخرج إلى الشام في نفر من قريش تاجرًا، فلما كان في بعض الطريق وضعوا أمتعتهم وأناخوا إبلهم ليلاً، فسمعوا زئير الأسد، فقال عتبة: إن هذا والله آكلني، فقيل له: كيف تخافه أنت من بيننا؟ فقال: إن محمدًا قد توعدني به، وقلَّ ما قال شيئًا إلا كان كما قال، فجعلوه وسطهم إشعارًا له بالأمان وحماية له من الأسد وما كانوا يدرون أن القضاء قد نفذ وأن الله (عزّ وجلّ) قد

استجاب لدعاء حبيبه محمد (ﷺ) ولم يتبق إلا التنفيذ، فجاء الأسد فتخطاهم وهم نائمون فهو يعرف مهمته ويدرك هدفه وعنده خطة التنفيذ فتوجه إليه أي إلى عتبة إنها المعجزة الإلهية فهل كان الأسد يعرف عتبة؟ وهل هذا الحيوان لديه قوة الإدراك وكأن لديه جهاز استشعار عن بعد لكنها مشيئة الإله الذي ينصر حبيبه وأخذه برأسه واحتمله من بينهم لخطة التنفيذ وما تحرك واحد منهم وذهب به وحطمه وقتله وكان يستغيث وأنى له الاستغاثة فلم يغثه أحد وكانت هذه آية عظيمة لأهل مكة وما اتعظوا.

وعن قتادة قال: تزوج أم كلثوم ابنة رسول الله (ﷺ) عتيبة بن عبد العزى أبي لهب، فلم يبن بها حتى بعث النبي (ﷺ)، وكانت رقية ابنة النبي (ﷺ) عند أخيه عتبة بن عبد العزى أبي لهب، فلما أنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: ١)، قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، وسأل النبي (ﷺ) عتبة طلاق رقية، وسألته رقية ذلك، فقالت له أمه وهي حمالة الحطب: طلقها يا بني فإنها قد صبئت، فطلقها وطلق عتيبة أم كلثوم، وجاء إلى النبي (ﷺ) حين طلق أم كلثوم، وقال: كفرت بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك ثم سطا عليه فشق قميص النبي (ﷺ) وهو خارج نحو الشام تاجرًا، فقال رسول الله (ﷺ): أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه، فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا بمكان من الشام -يقال له: الزرقاء- ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلني -كما دعا عليّ محمد- أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام؟! فعدا عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه وضغمه ضغمة فدغه، فتزوج عثمان بن عفان، رقية، فتوفيت عنده ولم تلد.

ودعا (ﷺ) الحكم بن أبي العاص الذي كان يستهزئ برسول الله (ﷺ) كلما تمثل أمرًا، فالتفت رسول الله (ﷺ) إليه فقال: كن كذلك، فضربته

اللقوة فانقلب وجهه ورأسه.

ودعاؤه ثلاثًا على قريش عندما نحرت جزورًا بمكة ثم طرحوا سلاها بين كتفي رسول الله (ﷺ) فجاءت فاطمة فطرحته عنه، فقال (ﷺ): اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط قال عبد الله ابن مسعود راوي الحديث: فلقد رأيتهم صرعى في قليب بدر.

منها دعاؤه (ﷺ) على كسرى حين مزق كتابه (ﷺ) فقال: اللهم مزق ملكه كل ممزق وفي رواية: أما أنكم ستملكون أرضه.

ومن ذلك دعاؤه على مضر حين آذوه بالتكذيب: اللهم اشدد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، فقام عليهم القحط ثماني سنوات، ثم كان انكشاف العذاب عنهم بدعائه (ﷺ) فأتاهم الغيث، وكثر حتى هدم بيوتهم، فلما شكوا إليه، قال (ﷺ): اللهم حوالينا ولا علينا، فانحدرت السحابة عن رأسه، فسقى الناس حولهم.

وروى أن النبي (ﷺ) رأى رجلاً يأكل بشماله فقال (ﷺ) كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال (ﷺ): لا استطعت، قال: فما وصلت يده إلى فيه بعد.

ومن ذلك أنه (ﷺ) مر برجل يسوق فرسا فقال: أعطها فارسًا تربت يمينك، فسقط عن فرسه فتربت يمينه.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) سأل عن رجل فأخبروه بنعته، فقال (ﷺ): لا أقرت به الأرض، فكان كلمادخل أرضًا لم يستقر فيها، حتى يخرج منها.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة وكان رسول الله في بيتي فقام (ﷺ) إليه حتى اعتنقه وقبله، وكانت أم قرفة جهزت ثلاثين راكبًا من

ولدها وولد ولدها ثم قالت لهم: سيروا حتى تدخلوا المدينة فتقتلوا محمدًا، فبلغ ذلك رسول الله فقال: اللهم اثكلها بولدها، فقتلهم زيد بن حارثة في رجعته إلى بني فزارة مع أمهم.

ومن ذلك: أن نفرًا من المشركين خرجوا عليه يوم الحديبية شاكين السلاح، فدعا (ﷺ) عليهم، فأخذ الله على أبصارهم حتى أخذوا سِلما، ثم عفا عنهم (ﷺ).

باب: الآيات في تكليم الأحجار وإطاعة الأشجار وسائر الجمادات له (ﷺ)

كان في مسجده (ﷺ) بالمدينة جذع يستند إليه، فيخطب الناس، فلما كثر الناس اتخذ له بعض غلمان العباس درجًا وقال غيره: اتخذ له منبر، فلما صعد حن الجذع حنين الناقة إذا فقدت ولدها، فدعاه فأقبل يخد الأرض، والناس حوله ينظرون، والتزمه وكلمه، ثم قال له: عد إلى مكانك، فمر كأحد الخيل حتى صار في مكانه وبحضرته المؤمنون فازدادوا إيمانًا.

وعن ابن مسعود: لقد كنا نأكل مع النبي (ﷺ) الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام.

ومنها أنه (ﷺ) أخذ حصيات فوضعها في يده فسبحت، ثم وضعها في يد أبي بكر فسبحت، ثم في يد عمر فسبحت، ثم في يد عثمان فسبحت ومنها انشقاق القمر وهو بمكة في أول مبعثه، رآه أهل الأرض طرًا، وتلا به عليهم قرآنًا.

ومن ذلك: ما روي عن أبي أسيد: أن رسول الله (ﷺ) قال للعباس: يا أبا الفضل الزم أنت وبنوك منزلك غدًا، فإن لي فيكم حاجة، فصبحهم وقال

(ﷺ): تقاربوا حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال: يا رب هذا عمي صنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، فآمّنت أسكفة الباب وحوائط البيت، آمين آمين آمين -ومنها أنه (ﷺ) أتي بشاة مسمومة أهدتها له امرأة من اليهود، فدعا أصحابه إليها، فرفع يده ثم قال: ارفعوا أيديكم، فإنها تخبرني أنها مسمومة.

ومنها: أنه (ﷺ) أراد الوضوء في سفره فقال ليعلى بن برة: اذهب إلى تينك الشجرتين وقل لهما: إن رسول الله (ﷺ) يأمركما أن تجتمعا، فأقبلتا تخدان الأرض خدًا حتى اجتمعتا، فتوضأ رسول الله (ﷺ) خلفهما، ثم أمرهما بالرجوع إلى مكانيهما فرجعتا.

وكذلك جاءت سمرة وطافت حوله، ثم رجعت إلى منبتها فقال النبي (ﷺ): إنها استأذنت ربها أن تسلم عليّ.

ومن ذلك أنه (ﷺ) انتهى إلى نخلتين بينهما فجوة من الأرض، نابت أصلهما، باسقة فروعهما، فقال لهما (ﷺ) وأصحابه حضور: انضما، فأقبلتا تخدان الأرض حتى اصطفتا، فأي عبرة أبين من هذه؟!

ومنها ما روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: كنت مع النبي (ﷺ) فلم يمر على شجرة ولا مدر إلا سلم على النبي (ﷺ).

ومن ذلك أنه (ﷺ) كان في غزوة الطائف في مسيره ليلاً على راحلته بواد قرب الطائف، فعثر بسدرة في سواد الليل، فانفرجت السدرة له نصفين، فمر (ﷺ) بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة إلى زماننا هذا لا ينالها أحد بعضد ولا حصد معرفة بحالها وتعظيمًا لشأنها ولشهرة أمرها هنالك وأنها آية بينة عجيبة، وحجة باقية على مر الدهر.

عن بريدة أنهم خرجوا في طريق مع رسول الله (ﷺ) فأتاه أعرابي فقال: أمنكم محمد؟ قلنا: نعم، فقال: يا رسول الله (ﷺ) إني قد أسلمت، فأرني شيئًا ازدد به يقينا، فقال: ما تريد، ادع تلك الشجرة فلتأتك قال: اذهب إليها فقل لها: أجيبي رسول الله (ﷺ)، فمالت على شقها الأيمن فقطعت عروقها، ثم مالت على شقها الأيسر فقطعت عروقها، ثم أقبلت مغيرة تجر عروقها وفروعها حتى انتهت إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله (ﷺ) مرها فلترجع، فأمرها فرجعت حتى انتهت إلى حفرتها فدلت عروقها فيها، ثم استوت كما كانت، فقال الأعرابي: يا رسول الله إذن لي فأسجد لك، فقال (ﷺ): لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد، ولو كنت أمرت أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ومن ذلك: أن رسول الله (ﷺ) دخل وأصحابه حائطًا من حوائط بني النجار، فلما دخل ناداه حجر على رأس بئر لهم عليها السواني: السلام عليك يا رسول الله (ﷺ) اشفع إلى ربك أن لا يجعلني من حجارة جهنم التي يعذب بها الكفرة، فقال النبي (ﷺ): اللهم لا تجعل هذا الحجر من أحجار جهنم، ثم ناداه الرمل: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ادع الله أن لا يجعلني من كبريت جهنم فرفع النبي (ﷺ) يديه وقال: اللهم لا تجعل هذا الرمل من كبريت جهنم، فلما دنا (ﷺ) من النخل نادته العراجين من كل جانب: السلام عليك يا رسول الله، وكل واحد منا يقول: خذ مني فأخذ منها رسول الله (ﷺ) فأكل وأطعم، ثم دنا من العجوة، فلما أحسته سجدت، فبرك عليها رسول الله (ﷺ) وقال: اللهم بارك عليها، وانفع بها.

ومنه كلامه (ﷺ) ومعجزته (ﷺ) في كلام الركن الغربي، قال له الركن: يا رسول الله ألست قاعدة من قواعد بيت ربك؟ فما بالي لا أستلم؟ فدنا منه النبي (ﷺ) فقال: اسكن عليك السلام غير مهجور.

فصل: ذكر آياته (ﷺ) مع الحيوانات وما في طاعتها وانقيادها له من الدلائل

اشترى رجل من بني سلمة جملاً ينضح عليه، فأدخله في مربد فحرد الجمل، فلم يقدر أحد أن يدخل عليه إلا تخبطه، فجاؤا إلى رسول الله (ﷺ) فذكروا ذلك له فقال: افتحوا عنه، فقالوا: نخشى عليك منه، قال: افتحوا عنه، قال: ففتحوا، فلما رآه الجمل خر ساجدًا، فسبح القوم، فقالوا: يا رسول الله (ﷺ) كنا أحق أن نسجد من هذه البهيمة، فقال (ﷺ): لو ينبغي لشيء من الخلق أن يسجد لشيء دون الله لكان ينبغي للمرأة أن تسجد لزوجها.

ومنها: أن ظبية كلمته حين وقعت في الشبكة، فقالت: يا رسول الله إن لي حشفًا ذا لبن وإني قد وقعت في شبكة فخلني حتى أرضعه، فقال رسول الله (ﷺ): كيف أخليك وصاحب الشبكة غائب؟ فقالت: خلني حتى أرجع، فخلاها وجلس حتى رجعت الظبية، وجاء صاحبها، فتشفع رسول الله (ﷺ) حتى خلى سبيلها، فاتخذ القوم من ذلك الموضع مسجدًا.

ومن ذلك الذئب الذي تكلم عندما أقبل صاحب الشاة عليه ليخلصها منه فقال: تمنعني رزقًا ساقه الله إلي؟ فقال الرجل: يا عجبي! الذئب يتكلم؟ فقال الذئب: أنتم أعجب، هذا محمد يدعو إلى الحق ببطن مكة، وأنتم لاهون عنه، فأبصر الرجل حظه وهدي لرشده فأقبل حتى أسلم وحدث القوم بقصته، وبقي لعقبه شرفًا لا تخلقه الأيام يفخرون به على العرب والعجم فيقولون: أنا ابن مكلم الذئب.

ومن حديث شهر بن حوشب قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ شاة منها، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال فصعد الذئب على تل فأقعى فاستذفر، وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله (عَزَّ وَجَلَّ) انتزعته مني؟! فقال الرجل: لله إن

رأيت كاليوم، ذئبًا يتكلم؟! فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم.

قال: وكان الرجل يهوديًا، فجاء إلى النبي (ﷺ) وأخبره، فصدقه النبي (ﷺ)، ثم قال رسول الله (ﷺ): إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده.

ومنها: ما روي أنه (ﷺ) دخل حائش نخل فرأى فيها بعيرًا، فلما رآه البعير خرَّ له ساجدًا، وذرفت عيناه، فمسح النبي (ﷺ) سراته يعني ظهره وذفراه يعني: أصول الأذن، ثم سرنا ورسول الله بيننا كأنما علينا الطير تظللنا، فإذا جمل ناد، حتى إذا كان بين السماطين خرَّ ساجدًا، فجلس رسول الله (ﷺ) وقال: عليَّ الناس، من صاحب الجمل؟، فإذا فتية من الأنصار قالوا: هو لنا يا رسول الله، قال: فما شأنه؟، قالوا: استتينا عليه منذ عشرين سنة، وكانت به شحيمة فأردنا أن ننحره فنقسمه بين غلماننا، فانفلت منا، قال (ﷺ): بيعونيه، قالوا: لا، بل هو لك يا رسول الله، قال: أما لي فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله، قال المسلمون عند ذلك: يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من البهائم، قال: لا ينبغي لشيء أن يسجد لشيء، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن.

ومن حديث جابر بن عبد الله أيضًا قال: أقبلنا مع رسول الله (ﷺ) حتى دفعنا إلى حائط في بني النجار، فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، فذكروا ذلك للنبي (ﷺ)، فأتاه فدعاه فجاء واضعًا مشفره على الأرض حتى برك بين يديه، فقالوا: هاتوا خطاما، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت فقال: ما بين السماء والأرض إلا ويعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس.

ومن ذلك رجل من بني سليم صاد ضبًا جاء فتخطى الرقاب حتى قام بحذاء رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد، والله ما اشتملت النساء على ذي لهجة هو أكذب منك، ولا أبغض إليّ منك، ولولا خصلة لملأت سيفي منك.

فهمَّ عمر بن الخطاب به، فقال رسول الله (ﷺ): يا عمر كاد الحليم أن يكون نبيًا، ثم أقبل النبي (ﷺ) على السلمي فقال: مه يا أخا بني سليم، فوالله إني لأمين في السماء محمود عند الملائكة، أمين في الأرض محمود عند الآدميين، فلا تسمعني في مجلسي إلا خيرًا، ولا تقل فيَّ إلا الحق.

فقال: يا محمد، أتلومني أن أقول الحق؟ فباللات والعزى ما آمنت بك ولا صدقتك ولا اتبعتك حتى يشهد لك هذا الضب.

ثم قال النبي (ﷺ): أيها الضب، من أنا؟ قال: أنت محمد بن عبد الله سيد النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، قد أفلح من آمن بك وصدقك واتبعك، وخاب وخسر من كذبك وخالفك.

فولى السلمي وهو ضاحك فقال له رسول الله (ﷺ): يا أخا بني سليم، أبالله تستهزئ ثم بي؟ فقال السلمي: والله يا محمد ما استهزئ بالله ولا استهزئ بك، وقد أتيتك وما على الأرض أحد هو أبغض إليَّ منك، وقد وليت عنك وما على الأرض أحد هو أحب إليَّ منك.

فقال النبي (ﷺ): أسلم تسلم، فقال السلمي: أما أنا فقد أسلمت أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، ثم سأله النبي (ﷺ) عن حاجته فأخبر رسول الله (ﷺ) بشدة فقره، فسأل الرسول (ﷺ) أصحابه من يعطيه ناقة وله مثلها في الجنة، فأعطاه عبد الرحمن بن عوف ناقة، فأمره رسول الله (ﷺ) أن يركبها فركبها وأن يدبر بها فأدبر ثم أنزله وأوصاه بالصلاة ثم علمه (ﷺ) سورًا من القرآن، علمه فاتحة الكتاب والإخلاص والمعوذتين ثم أوصاه بدوام

الشكر لله.

ومن ذلك الجمل الصائح الذي أقبل على رسول الله (ﷺ) فخافوا عليه (ﷺ) فأخبرهم أنه جاء مستغيثًا، فأقبل حتى وضع مشفرة على عاتق ثوب رسول الله (ﷺ) فقال: أنا بالله وبك يا رسول الله، إن مواليّ اشتروني فصيلاً وكدّوني حتى بلغت من السن ما ترى، وإنهم يريدون نحري، فأنا بالله وبك أستغيث، وجاء أصحابه فأخبرهم رسول الله (ﷺ) بما قال، فصدقوه ولم يتركهم رسول الله (ﷺ) حتى سرّحوه يرتع حيث شاء، فتباعد الجمل قليلاً ثم خر ساجدًا للنبي (ﷺ).

ومن ذلك لما فتح الله على نبيه خيبر أصاب من سهمه أربعة أزواج نعال ومثلهن خفاف، وعشرة أواق ذهب وفضة وحمارًا أقمر، فكلم (ﷺ) الحمار حين ركبه فقال يا حمار: ما اسمك؟ قال: عفير قال: ولمن كنت؟ قال: ليهودي وكنت أعثر به عمدًا، فقد كان يسيء إلي، ويجيع بطني ويضرب ظهري، وسأله (ﷺ) هل لك من رب؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنه حدثني أبي عن آبائه وأجداده أنه قال: ركب نسلنا سبعون نبيًا، وإن آخر نسلنا يركبه نبي يقال له محمد (ﷺ)، ولم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، فقال النبي (ﷺ): قد سميتك يعفورًا، يا يعفور، فقال: لبيك يا رسول الله. فكان النبي (ﷺ) يركبه في حاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله (ﷺ) ولما قبض رسول الله (ﷺ) مكث يعفور بعده ثلاثة أيام ثم تردى في بئر.

ومنها: ما رواه عبد الرحمن العنبري يرفعه قال: كان رسول الله (ﷺ) في يوم عرفة يخطب الناس ويحث على الصدقة، فقام شاب فقال: يا رسول الله (ﷺ)، هذه الناقة للمساكين، فنظر إليها النبي (ﷺ) فقال: اشتروها

لي، قال: بينما هو يسير ذات يوم ومعه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: يا ابن الخطاب ألا أخبرك بالعجب؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: خرجت في بعض الليل إلى الدار، فقالت الناقة: السلام عليك يا رسول الله، قلت: بارك الله فيك، قالت: يا رسول الله كانت أمي لرجل من قريش، إذا حلبوها علفوها، وإذا لم يحلبوها لم يعلفوها، وكنت خامس خمسة أبطن، فكانت الجاهلية إذا وضعت الناقة خمسة أبطن جعلوا الخامس لأصنامهم لا يركبونها ولا يستعملونها، ولا يأخذون وبرها، فاستعارني الأعراب فهربت منهم في بعض الطريق، فكنت أرعى، فيناديني الحشيش: إليّ إليّ فإنك لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فإذا كان الليل نادى السباع والهوام بعضها بعضًا: لا تقربوها فإنها لمحمد (صلى الله عليه وسلم) حتى صيرني الله لك قال (صلى الله عليه وسلم) فقلت لها: ماكان اسم مولاك؟ قالت: العضباء فسميتها العضباء باسم مولاها، قال: فلما حضر النبي (صلى الله عليه وسلم) الوفاة قالت العضباء: يا رسول الله بمن توصني من بعدك؟ قال: يا عضباء بارك الله فيك أنت لابنتي فاطمة تركبك في الدنيا والآخرة، قالت: يا رسول الله ما أحب أن يركبني أحد بعدك، قال: لا يركبك غيرها، قال: فلما قبض النبي (صلى الله عليه وسلم) خرجت فاطمة ليلاً فإذا هي بالعضباء فقالت: السلام عليك يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد حان فراقي من الدنيا، والله ما تهنأت بعلف ولا شراب بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ومنها ذلك الجمل لرجل من الأنصار، لشدته لا يستطيع أحد أن يقربه فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما رآه الجمل جاء إليه فسجد له ووضع جرانه، فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) برأسه فمسحه ثم دعا بالخطام فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، فقال له أبو بكر وعمر: قد عرف يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنك نبي، وأنك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إنه ليس شيء إلا يعرف أني رسول غير كفرة الإنس والجن.

ومن ذلك دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) حائطًا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل

من الأنصار، وفي الحائط غنم، فسجدت لرسول الله (ﷺ).

ومنها سكوت وحش كان لآل رسول الله (ﷺ) وإذا خرج (ﷺ) لعب وتحرك من موضع إلى موضع، فإذا أحس برسول الله (ﷺ) قد دخل ربض فلم يتحرك ما دام رسول الله (ﷺ) في البيت.

جاءت الذئاب إلى النبي (ﷺ) تطلب أرزاقها، فقال (ﷺ) لأصحابه: إن شئتم صالحتها على شيء فتخرجوه إليها ولا ترزأ من أموالكم شيئًا، وإن شئتم تركتموها تعدو، وعليكم بحفظ أموالكم، قالوا: بل نتركها كما هي، تصيب منا ما أصابت ونمنعها ما استطعنا.

فصل: ذكر ما ظهر من الآيات والدلائل من نبع الماء من بين أصابعه (ﷺ) وما جاء في تكثيره وتصييره عذبًا ببركته

عن ابن مسعود: نزلنا مع رسول الله (ﷺ) منزلاً ليس فيه ماء فطلب (ﷺ) إداوة فيها ماء فوجد فضل إداوة فصبه في قدح، ثم وضع يده فيه فجعل الماء يتفجر من بين أصابعه، فنادى: حي على الطهور والبركة من الله (عز وجل)، فأقبل الناس، فتوضؤا وشربوا، وجعلت لا هم لي إلا ما أجعل في بطني؛ لقول رسول الله (ﷺ) والبركة من الله (عز وجل).

فقيل له: كم كنتم يومئذ؟ قال: خمس عشرة مئة.

وعن عمران بن حصين قاله: كنا في سفر مع رسول الله (ﷺ) فسرنا ذات ليلة، حتى إذا كان قرب السحر نزلنا فنمنا فما أيقظنا إلا حر الشمس، فارتحل رسول الله (ﷺ) وسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بوضوء، ثم نادى بالصلاة، فصلى بالناس، ثم سار فشكا إليه الناس العطش، فدعا رسول الله (ﷺ) عليًا ورجلا آخر، فقال: اذهبا وابغيا الماء، فانطلقا فلقيا امرأة بين مزادتين على بعير

لها، فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ثم أخذوها إلى رسول الله (ﷺ) وأمر بإنزالها، ودعا بإناء، فأفرغ فيه من أفواه المزادتين، ثم أعاده في الإناء، ثم في أفواه المزادتين، ثم أطبق أفواههما، ثم نودي في الناس أن استقوا، وكان آخر ذلك أن أعطى رجلاً أصابته جنابة إناء من الماء، وقال (ﷺ): اذهب فأفرغه عليك، وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها، وايم الله، لقد أقلع عنه حين أقلع، وإنه ليخيل إليّ أنه أشد امتلاء منها حين ابتدأ فيها، فأمر رسول الله (ﷺ) بعجوة وسويق ودقيق في ثوب وحملوها على بعيرها، فقال رسول الله (ﷺ)، لها: اعلمي والله ما رزأناك من مائك شيئًا ولكن الله سقانا، قال: فأتت أهلها وحكت لهم ما رأت من هذا الفتى الصابئ وما فعل بمائها.

فقالت: فوالله إنه لأسحر ما بين السماء والأرض أو أنه رسول الله حقًا، وكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فعرفت أن المسلمين يفعلون ذلك عن عمد فسألت قومها هل لهم في الإسلام؟ فطاوعوها، فجاؤا فدخلوا جميعًا في الإسلام.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) صلى بهم الظهر ذات يوم ثم خرجوا إلى مسجد قباء فمكث حتى النداء أرسلني إلى بيت أم سلمة آتيه بوضوء فجئته بقدح -ثلثه أو نصفه ماء- فتوضأ، فلما فرغ من وضوئه فضل في القدح فضل، ثم رفع رأسه فإذا الناس قيام، فقال: ما لهؤلاء؟ قال أنس: فقلت: يا رسول الله، إنهم لا يجدون ماء، قال (ﷺ): ادعهم، فدعوتهم فجاؤوا، فأدخل يده (ﷺ) في القدح في الفضلة من وضوئه فوالذي نفسي بيده ما منهم إنسان إلا وتوضأ مما في كفِّ رسول الله (ﷺ) وفضل في القدح فضل فرجعت به إلى البيت، وذلك ببركته وبركة دعائه (ﷺ).

ومنها البئر الذي يقل ماؤه في الصيف فجاء زياد بن الحارث الصدائي

فأخبر النبي (ﷺ) بذلك وأنهم لا يستطيعون أن يتفروا فكل ما حولهم عدو لهم، فطلب من النبي (ﷺ) أن يدعو الله أن يسعهم ماؤهم، فدعا النبي (ﷺ) بسبع حصيات، فحركهن في يده، وقال (ﷺ): إذا رأيتموها فألقوها فيها واحدة واحدة واذكروا اسم الله عليها، قال: فوالله ما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد.

كان المسلمون في سفر فأشرفوا على الهلاك فلا ماء معهم فقال (ﷺ): كلا إن معي ربي عليه توكلت، ثم دعا بركوة فيها ماء ما كان ليروي رجلاً ضعيفًا، فوضع يده عليها، فنبع الماء من بين أصابعه، وصاح في الناس، فشربوا وسقوا، ثم نهلوا وعللوا، وتداخلوا وهم ألوف وهو يقول: أشهد أني رسول الله حقًا.

قوله: «أنهم كانوا معه في سفر»:

الظاهر أنه سفر غزوة تبوك، أخرجه مسلم بطوله من حديث أبي قتادة، وليس فيه التصريح بذلك، لكن أخرجه البيهقي ضمن ما وقع في غزوة تبوك من الدلائل، قال أبو قتادة: خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال: إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله، غدًا، فانطلق الناس لا يلوي أحدٌ على أحدٍ.

قال أبو قتادة: فبينما رسول الله (ﷺ) يسير حتى ابهارَّ الليل وأنا إلى جنبه. قال: فغمس رسول الله (ﷺ)، فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته، من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، ثم قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين، حتى كاد ينجفل، فأتيته فدعمته، فرفع رأسه فقال: من هذا؟ قلت: أبو قتادة، قال:

متى كان هذا مسيرك مني؟ قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة، قال (ﷺ): حفظك الله بما حفظت به نبيه، ثم قال (ﷺ): هل ترانا نخفى على الناس؟ ثم قال: هلّا ترى من أحد؟ قلت: هذا راكب، ثم قلت: هذا راكب آخر، حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب، قال فمال رسول الله (ﷺ) عن الطريق، فوضع رأسه، ثم قال: احفظوا علينا صلاتنا، فكان أول من استيقظ رسول الله (ﷺ) والشمس في ظهره، قال: فقمنا فزعين، ثم قال: اركبوا فركبنا فسرنا، حتى إذا ارتفعت الشمس نزل، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء، قال: فتوضأ منها وضوءًا دون وضوء، قال: وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأٌ، ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله (ﷺ) ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال: وركب رسول الله (ﷺ) وركبنا معه، قال: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال (ﷺ): أما لكم فيّ أسوة؟، ثم قال: أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها، ثم قال: ما ترون الناس صنعوا؟ قال: ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله (ﷺ) بعدكم لم يكن ليخلفكم، وقال الناس: إن رسول الله (ﷺ) بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا.

قال فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون: يا رسول الله! هلكنا، عطشنا، فقال: لا هلك عليكم، ثم قال: أطلقوا لي غمري، قال ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله (ﷺ) يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسول الله (ﷺ): أحسنوا الملأ، كلكم سيروي، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله (ﷺ) يصب وأسقيهم

حتى ما بقي غيري وغير رسول الله، قال: ثم صب رسول الله (ﷺ) فقال لي: اشرب، فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله (ﷺ) فقال: إن ساقي القوم آخرهم شربًا، قال: فشربت، وشرب رسول الله (ﷺ) قال: فأتى الناس الماء جامين رواءً.

ومنها: أن قومًا شكوا إليه (ﷺ) ملوحة مائهم وأنهم لا قوة لهم على شربه، فجاء (ﷺ) وأشرف على بئرهم تفل فيها وانصرف وكانت مع ملوحتها غائرة، فانفجرت بالماء العذب الزلال المعين.

ومن ذلك أنه لما انصرف (ﷺ) من غزوة تبوك قافلًا إلى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل، ما يروي الراكب والثلاثة بواد يقال له المشقق، وحذرهم رسول الله (ﷺ) من الاستقاء منه لمن سبق فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا من الماء ولم يبق منه شيء، فلما أتاه رسول الله (ﷺ) وقف عليه ولم ير فيه ماء فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل: فلان وفلان، قال: (ﷺ) أو لم أنههم أن لا يستقوا منه شيئًا حتى آتيه؟ ثم لعنهم ودعا عليهم، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يديه ما شاء أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا الله بما شاء أن يدعوه به، فانخرق من الماء، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه، فقال (ﷺ): لئن بقيتم -أو من بقى منكم- ليسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه، قيل: وهو اليوم كما قال (ﷺ).

ومنها أنه ظهر في القوم عطش، فبعث عليا (رضي الله عنه) وآخر معه ليطلب لهم الماء، فوجد غلامًا أسود أو جارية سوداء على راوية الماء، فقال: أجب رسول الله (ﷺ) فقال: تعني هذا الساحر الفاعل؟ قال: هو الذي تعنيه، فجاء النبي (ﷺ) فاستعملوا ماءه، وملأوا سطائحهم وأوانيهم، وبقي الماء في الراوية كما هو وأمر الرسول (ﷺ) أصحابه أن يعطوه هدية من خبز وتمر وسويق ودراهم

وكعك، فاجتمع عنده شيء كثيره فمسح النبي (ﷺ) بيده على وجهه فابيض وجهه، فرجع إلى مواليه وكانوا ينتظرونه، فلما رأوه من بعيد قالوا: الراوية راويتنا، والجمل جملنا والعبد ليس بعبدنا فلما وصل أخبرهم بالقصة، فأسلموا وأسلم العبد معهم.

نزل المسلمون مع رسول الله (ﷺ) زمن الحديبية على بئر قليل الماء في بضع عشرة مئةمن أصحابه فشكو إليه العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

ورد (ﷺ) في بعض غزاته على ماء لا يبل حلق واحد، والقوم عطاش، فشكوا ذلك إليه فأخذ (ﷺ) سهمًا من كنانته فدفعه إلى رجل من أصحابه ثم قال (ﷺ): انزل فاغرزه في الركي، فنزل فغرزه ففار الماء حتى طفا إلى أعلى الركي، فارتوى القوم، للمقام والظعن، وهم ثلاثون ألفًا، ورجال من المنافقين حضور الأبدان، غائبون العقول.

ومن ذلك أنه (ﷺ) كان يمج في القدح والدلو والكوز فيجدون لذلك ريحًا أُطيب من المسك، فقد أتى (ﷺ) بدلو من ماء فشرب ثم مج في الدلو، ثم صب في البئر ففاح ريح المسك.

فصل: ذكر ما ظهر من الآيات والدلائل في تكثيره (ﷺ) الطعام وإطعامه الآلاف من الناس بالشيء اليسير

اعتنت أم شريك في قراه وإلطافه (ﷺ) فأخرجت عكة فيها أوضار السمن، فالتمست ما فيها فلم تجد شيئًا، فأخذها (ﷺ) فحركها بيده، فامتلأت سمنًا سائلاً عزيًا، وهي تعالجها قبل ذلك لا يبض منها شيء، فأنهلت القوم، وأبقت فضلاً كافيًا، وأبقى لها (ﷺ) شرفًا يتوارثه الأعقاب.

وعن يحيى بن سعيد: هاجرت أم شريك الدوسية، فصحبت يهوديًا في الطريق، فأمست صائمة، فقال اليهودي لامرأته: لئن سقيتها لأفعلن، فباتت كذلك حتى إذا كان في آخر الليل إذا على صدرها دلو موضوع وصفن فشربت، ثم بعثتهم للدلجة، فقال اليهودي: إني لأسمع صوت امرأة، لقد شربت؟ فقالت: لا والله إن سقيتني، قالت: وكانت لها عكة تعيرها من أتاها، فاستامها رجل فقالت: ما فيها ربّ، فنفختها فعلقتها في الشمس فإذا هي مملوءة سمنا، قال: فكان يقال: ومن آيات الله عكة أم شريك، قال: والصفن: مثل الجراب والمزود.

وعن أبي الزبير، عن جابر، عن أم شريك.أنها كانت عندها عكة تهدي فيها سمنًا لرسول الله (ﷺ)، قال: فطلبها صبيانها ذات يوم سمنًا فلم يكن، فقامت إلى العكة لتنظر فإذا هي تسيل، قال: فصبت لهم منه فأكلوا منه حينا، ثم ذهبت تنظر ما بقي فصببته كله ففني، ثم أتت رسول الله (ﷺ) فقال لها: أصببته؟! أما إنك لو لم تصببيه لقام لك زمانًا.

وكانت امرأة تهدي للنبي (ﷺ) العكة من العسل ثم استرجعت الإناء، فأمر رسول الله (ﷺ) برد العكة عليها، فأخذتها ووضعتها في بيتها، فدخلت البيت فوجدت العكة ملآى، فقالت: يا رسول الله (ﷺ) ما لك رددت عليّ العسل؟ فقال رسول الله (ﷺ): إنا لم نرده عليك، ولكن الله أراد أن يبارك لك فيه، وما زالت تأكل من ذلك العسل هي وأهلها حتى أفرغته في إناء آخر ففني، فقال رسول الله (ﷺ) أما إنك لو لم تفرغيه لأكلتم منه ما بقيت الدنيا.

وأتى بعض العجائز تلتمس عسلاً من رسول الله (ﷺ) فأعطاها قصعة فيها عسل، فبقي معها لا يفنى حتى حولته إلى إناء آخر، ففني سريعًا، فجاءت رسول الله (ﷺ) فقال: لأن الأول كان من صنع الله، والثاني من فعلك.

وضاق الحال بأصحابه يوم الأحزاب وليس لديهم إلا قوت رجل واحد، فقال رسول الله (ﷺ): غطوا إناءكم، ثم برَّك عليه وقدمه والقوم ألوف، كل رجل منهم أكل أضعافها، ثم صدروا كأن لم يشبعوا قط شبعًا، والطعام بكليته لم يفقدوا منه شيئًا.

تُوفي رسول الله (ﷺ) وعند عائشة (رضي الله عنها) قليل من شعير فأكلت منه حتى طال عليها ولا يفنى، فكالته ففني.

كان مع أبي هريرة (رضي الله عنه) تميرات فسأل النبي (ﷺ) أن يدعو الله بالبركة، قال: فوضعهن رسول الله (ﷺ) في يده ثم دعا بالبركة، ثم قال (ﷺ): خذه يا أبا هريرة فأعده إلي مزودتك، فإذا أردت أن تأخذ منه شيئًا فأدخل يدك، ولا تكبه ولا تنثره، فلم يزل يأكل منه ويطعم وكان على حقوه لا يُفارقه، فلما قتل عثمان سقط فذهب وكان أبو هريرة في شغل.

سأل رسول الله (ﷺ): أبا هريرة؟ وكانوا في غزاة فقال أبو هريرة: شيء من تمر في مزود لي، قال (ﷺ): جيء به فجئته بالمزود وبالنطع، فأدخل يده فقبض على التمر، فإذا هو إحدى وعشرون تمرة، وجعل يسمي الله مع كل تمرة يضعها، ثم قال: ادع فلانًا وأصحابه فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا وأعاد ذلك (ﷺ) ثلاث مرات ثم فضل تمر فقال لي: اقعد، فقعدت فأكل (ﷺ) وأكلت وفضل تمر فأخذه وأدخله في المزود وقال: يا أبا هريرة إذا أردت شيئًا فأدخل يدك فخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك، قال: فما كنت أريد تمرًا إلا أدخلت يدي فأخذت منه خمسين وسقا في سبيل الله وكان مغلقًا خلف راحلتي، فوقع في زمان عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فذهب.

روى جابر: أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) يستطعمه فأطعمه وسقًا من شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي فقال (ﷺ):

لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم.

دعا رسول الله (ﷺ) ثلاثين رجلاً من أهل بيته على فخذ شاة وقعب من لبن، فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا، ثم قال (ﷺ): علي بن أبي طالب يقضي ديني، وينجز موعدي، فكان يقعد منهم عشرة في عشرة وكان الطعام لا يكفي لعشرة نفر فما دونهم وفضل منه.

واتخذت أم أنس بن مالك حيسًا وبعثت لرسول الله (ﷺ) ليأكل منه، فقام رسول الله (ﷺ) وقال لأصحابه: قوموا بنا، قال: فلما رأت أمي الجماعة، قالت: يا رسول الله إنما أعددت لك شيئًا مقدار ما تأكله وحدك، فدعا رسول الله (ﷺ) بالبركة وقال: ادخلوا عشرة عشرة، وكانوا يأكلون ويشبعون ويخرجون وأكلنا معهم وشبعنا.

سمع أبو طلحة صوت النبي (ﷺ) ضعيفًا يعرف فيه الجوع، فسأل زوجته أم سليم فأخرجت أقراصًا من شعير، فلفه في خمار وأرسلت أنسًا إلى رسول الله (ﷺ) في المسجد والناس حوله قال (ﷺ): أرسلك أبو طلحة؟ قلت: نعم، فأخذ رسول الله (ﷺ) أصحابه إلى أبي طلحة ليأكلوا فأسقط في يديه فليس عندهم ما يكفي هذا العدد، حتى دخل النبي (ﷺ) فقال: يا أم سليم هلمي ما عندك، فجاءت بذلك الخبز، وعصرت عكة لها فأدمته، وقال رسول الله: ائذن لعشرة ثم دخل غيرهم وغيرهم وسئل أنس: كم كانوا؟ قال: تسعون أو ثمانون.

دعا (ﷺ) بفضله زاد عندما اشتكى فقراء الصحابة وأهل الخصاصة في غزوة تبوك فلم يوجد لهم إلا بضع عشرة تمرة، فطرحت بين يديه، فوضع يده عليها، وقال (ﷺ): كلوا باسم الله، فأكلوا حتى شبعوا وهي بحالها.

ذهب واثلة بن الأسقع إلى رسول الله (ﷺ) يعرض شكوى أصحاب الصفة من الجوع، فأخذ (ﷺ) فتات خبز من زوجته عائشة (رضي الله عنها) فجاءته بالجراء

فدعا بصحفة فأفرغ فيها الخبز، ثم جعل يصلح الثريد بيده، وهي تربو حتى امتلأت الصحفة، فقال (ﷺ): يا واثلة، اذهب فجئني بعشرة من أصحابك، فأكلوا حتى شبعوا، ثم جئته بعشرة أخرى، فأكلوا حتى شبعوا ثم بعشرة ثالثة، فأكلوا حتى شبعوا ثم قاموا وبقي في الصحفة مثل ما كان فيها، ثم قال (ﷺ): يا واثلة ارفع هذا إلى عائشة.

جاء أربعمئة وأربعون راكبًا يسألون رسول الله (ﷺ) طعامًا فقال (ﷺ) لعمر: اذهب فأطعمهم، فقال: ما معي إلا صاع من تمر يكفي أهلي، قال انطلق فأعطهم، قال: سمعًا وطاعة، قال: فانطلقنا معه فارتقينا إلى علو له، ففتح الباب فإذا مثل الفصيل الرابض تمرًا، فقال (ﷺ) خذوا، فأخذ كل واحد منا ما أراد، والتمر كما هو لم ينقص تمرة واحدة.

انقلب عبد الله بن طهفة مع النبي (ﷺ) فلما دخل قال (ﷺ): يا عائشة هل من شيء؟ فأحضرت حويسة أعدتها لإفطاره في قعب، فتناول منها بإصبعه شيئًا ثم قال (ﷺ): هل عندكم من لبن؟ فجاءت بلُبَيْنة أعدتها لإفطاره (ﷺ) فمص منها شيئًا، ثم قال: بسم الله اشربوا فشربنا منها حتى ما ننظر إليها.

أهدي إلى فاطمة (رضي الله عنها) من بعض جيرانها قرصان بينهما لحم فوضعتهما في نقير لها، فدخل رسول الله (ﷺ) زائرًا، فقال: هل عندكم من طعام؟ فقالت: نعم، فذهبت لتحمل القرصين فإذا النقير قد امتلأ أقراصًا ولحمًا، فأكل منها خلق كثير وفضل منه.

ومن حديث جابر بن عبد الله قال: أقام رسول الله (ﷺ): أيامًا لم يطعم طعامًا حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئًا، فأتى فاطمة فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ فقالت: لا والله، فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته

منها فوضعته في جفنة لها وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله (ﷺ) على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعًا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسنًا أو حسينًا إلى رسول الله (ﷺ) فرجع إليها، فقالت له: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك، فقال (ﷺ) هلمي بالجفنة، فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزًا ولحمًا، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله، فحمدت الله تعالى وقدمته إلى النبي (ﷺ) فلما رآه حمد الله وقال (ﷺ): من أين لك هذا يا بنية؟ قالت يا أبت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧) فحمد الله ثم قال: الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها فسئلت عنه قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧) فبعث رسول الله (ﷺ) إلى علي، ثم أكل رسول الله (ﷺ) وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي (ﷺ) وأهل بيته حتى شبعوا جميعًا، قالت: وبقيت الجفنة كما هي، قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيرًا كثيرًا.

أعطى رسول الله (ﷺ) رجلاً طعامًا ونحي سمن فنظر الرجل إلى النحي فإذا هو قد قل ما فيه، فأصلح لرسول الله طعامه ثم وضع النحي في الشمس ونام، فانتبه بخرير النحي، فإذا هو يجري من السمن، قال: فقمت فأخذت رأسه بيدي، فقال رسول الله (ﷺ): لو تركته لسال الوادي سمنًا.

جاء علبة بن زيد الحارثي بثلاث بيضات أداحي وجدها في مفحص نعام فأمره النبي (ﷺ) فعملها، وجعل يطلب خبزًا فلا يجده، فأكل رسول الله (ﷺ) وأصحابه بغير خبز حتى انتهى إلى حاجته وأمسك يده والبيض في القصعة كما هو، ثم قام رسول الله (ﷺ) فأكل منه عامة الصحابة.

قال النبي (ﷺ) لسعد مولى أبي بكر الصديق: يا سعد ذهب إلى تلك العنز فاحلبها، ويقول سعد: وعهدي بذلك المكان وما فيه عنز، فذهبت، فإذا عنز حافل، فحلبها حتى أروى الجيش كله وهم أربعمئة واختفت بعد ذلك من أمامهم.

فصل: ذكر الآيات في دعائه المبارك، وما جاء في إبرائه المرضى وذوي العاهات، وآثار يده الشريفة فيما مسته وريقه الطيب فيما نفث فيه

أُتي رسول الله (ﷺ) بغلام في خرقة، فقال له رسول الله (ﷺ): يا غلام من أنا؟ فقال: أنت رسول الله (ﷺ) فقال له رسول الله (ﷺ): بارك الله فيك، ثم إن الصبي لم يتكلم بعد حتى شب، وكانوا يسمونه مبارك اليمامة.

أقبلت امرأة معها ابن لها، ابن شهرين حتى حاذت رسول الله (ﷺ)، فأقبلت عليه بوجهها، فقال وهو في حجرها: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، فأنكرت الأم ذلك من ابنها، فقال رسول الله (ﷺ): ما يدريك يا غلام أني رسول الله؟ وأني محمد بن عبد الله؟ قال: علمنيه رب العالمين، والروح الأمين جبريل، وها هو قائم على رأسك ينظر إليَّ، فقال جبريل (عليه السلام): يا محمد هذا تصديق لك بالنبوة والرسالة كي يؤمن بقية قومك، فقال رسول الله (ﷺ): ما اسمك يا غلام؟ قال سَمَّوني عبد العزى وأنا به كافر، فسمِّني يا رسول الله، قال رسول الله (ﷺ): أنت عبد الله، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني من خدمك في الجنة، فقال جبريل (عليه السلام): ادع الله يعطه ما سأل، فقال الغلام: السعيد من آمن بك، والشقي من كذبك، ثم شهق شهقة فمات.

وكانت أمه مكذبة وبعد أن رأت من آيات نبوته شهدت الشهادتين، وتأسفت على ما فاتها فقال لها (ﷺ): أبشري، فوالذي ألهمك الإيمان أني

لأنظر إلى حنوطك وكفنك مع الملائكة، فما برحت حتى شهقت وفاضت نفسها، فصلى رسول الله (ﷺ) عليهما ودفنهما جميعًا.

وطوى الله تعالى لنبيه (ﷺ) الأرض عند موت النجاشي حتى نظر إلى جنازته في اليوم الذي مات فيه، ثم قام فصلى عليه هو وأصحابه، ثم قال (ﷺ): استغفروا لأخيكم.

وطويت الأرض للنبي (ﷺ) عند موت معاوية بن معاوية بالمدينة حيث كانت الشمس صافية مضيئة بشعاع لم يكن من قبل في تبوك فسأل (ﷺ) جبريل فأخبره أيضًا أنه نزل لجنازته سبعون ألف ملك، فصلى عليه رسول الله (ﷺ).

مر النبي (ﷺ) بعلي بن أبي طالب فوجده يشكو ويقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفع عني، وإن كان بلاء فصبرني، فقال رسول الله (ﷺ): كيف قلت؟ فأعاد عليه، فضربه برجله، وقال: اللهم عافه، اللهم اشفه، قال عليّ: فما اشتكيت وجعي بعد.

وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف، وقد أعطاه رسول الله (ﷺ): يوم خيبر الراية وكان أرمد العينين فتفل فيهما رسول الله (ﷺ) وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، يقول علي بن أبي طالب: فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ يومئذ.

مرض أبو طالب فعاده النبي (ﷺ) فقال: يا ابن أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني، فقال النبي (ﷺ): اللهم اشف عمي، قال: فقام كأنما نشط من عقال، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إن ربك الذي تعبد ليطيعنك، قال (ﷺ): وأنت يا عماه لئن أنت أطعت الله ليطيعنك.

قدم مكة رجل من أزد شنوءة اسمه: ضماد وكان باليمن يعالج من الرياح،

فسمع أهل مكة يتحدثون عن رسول الله (ﷺ) أنه مجنون وشاعر وكاهن وساحر فقال للنبي (ﷺ): يامحمد إني أعالج، وإن الله يشفي على يدي، وإني أعالج من هذه الرياح.

فقال رسول الله (ﷺ): الحمد لله نحمده ونستهديه ونستعينه ونستغفره، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله أما بعد، فقال الرجل: أعد علي، فأعادها رسول الله (ﷺ) عليه ثلاثًا، وأقر الرجل بأن هذا الكلام ليس من كلام الكهنة والسحرة والشعراء وأنه لم يسمع بهذه الكلمات وأنها بلغت قاموس البحر، فمد يده وبايع النبي (ﷺ) على الإسلام قال (ﷺ): وعلى قومك، فبايعه على قومه.

أصيب سلمة بن الأكوع في ساقه يوم خيبر، فأتى بها النبي (ﷺ) ونفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكى ساقه بعد ذلك.

قدم عبد الله بن عتيك بيده المقطوعة إلى النبي (ﷺ) فمسح رسول الله (ﷺ) عليها فاستوت، فلم تكن تعرف من اليد الأخرى.

لم يدر عثمان بن أبي العاص ما يصليه، فدخل على رسول الله (ﷺ): فقال (ﷺ): ما حاجتك؟ قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: ذاك شيطان، ادن مني، فجلست على صدر قدمي فقال (ﷺ): افغر فاك قال: فضرب صدري بيده وتفل في فيّ وقال: اخرج عدو الله، قال: ففعل ذلك ثلاثًا، ثم قال (ﷺ): الحق بعملك.

قال عثمان: فلعمري ما أحسبني خالطني بعد.

وفي رواية: أن عثمان شكا إلى رسول الله سوء حفظه القرآن فقال (ﷺ): ذاك شيطان يقال له: خنزب، ادن مني عثمان، ثم تفل في فيّ، ووضع يده على

صدري حتى وجدت بردها بين كتفي، فقال: يا شيطان اخرج من صدر عثمان، قال: فما سمعت بعد ذلك شيئًا إلا حفظته.

أقبلت أم جميل بابنها محمد بن حاطب بعدما انقلب على ذراعه إلى النبي (ﷺ) فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سمي بك، فتفل (ﷺ) في فيه ومسح على رأسه، ودعا بالبركة، وجعل (ﷺ) يتفل على يده وليقول:

أذهب البأس رب العالمين، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا، قالت: فما قامت به من عنده إلا وقد برئت يداه.

جاء رجل من أصحابه (ﷺ) بيده محترقة حيث سقط عليها قدر فيه طبخ، فتفل (ﷺ) عليها ودعا، فضم الرجل يده فلم يشكها بعد.

قال ابن عباس لعطاء بن رباح: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي (ﷺ) فقالت: إني أصرع فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، ثم قالت: فإني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.

ومن ذلك: أن امرأة بذيئة كانت ترافث الرجال، فمرت بالنبي (ﷺ) وهو يأكل على الأرض فقالت: تأكل ولا تطعمني؟ فقال (ﷺ) تعالي كلي، فقالت: أريد مما في يدك، فناولها، فقالت: أريد مما في فمك، فناولها، فلما وصلت اللقمة إلى فيها ألقى الله تعالى عليها الحياء، فكانت لا تنظر إلى شيء بعد ذلك.

جاءت الحمى إلى رسول الله (ﷺ) فقرعت بابه، فقال: من هذا؟ قالت: أم ملدم، فقال: لا مرحبًا ولا أهلاً، قالت يا رسول الله (ﷺ) ابعثني إلى أحب

أصحابك إليك، قال: اذهبي إلى قباء، قال: فمضت إليهم فصبت عليهم سبعًا، فدخل عليهم رسول الله وهم لا يعقلون، ثم دعا لهم بالشفاء فشفوا.

ومنها أنه (ﷺ) أتى يوم الخندق بقبضتين من تمر فأمر فصب بين يديه، ونادى مناديه في الجيش، فأكلواوشبعوا.

عن أبي هريرة قال: شكونا إلى رسول الله (ﷺ) الجوع فقال: اجمعوا زادكم، فجعل الرجل يجيء بالحفنة من التمر والحفنة من السويق، وطرحوا الأنطاع والأكسية، فوضع النبي (ﷺ) يده عليها ثم قال: كلوا، فأكلنا حتى شبعنا، وأخذنا من مزاودنا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، من جاء بها غير شاك فيها لم يحجب عن الجنة.

أعدت أم أنس بن مالك غداء لرسول الله (ﷺ) من عكة وتمر قدر مد بقي، فجعلت له حيسًا لما تزوج بزينت بنت جحش وقالت: يا أنس اذهب به إلى رسول الله (ﷺ) وامرأته، ويقول أنس: فلما أتيت رسول الله (ﷺ) بتور من حجارة فيه ذلك الحيس قال (ﷺ): ضعه في ناحية واذهب فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا ونفرًا من أصحابه، ثم ادع لي أهل المسجد، ومن رأيت في الطريق، فجعلت أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة من يأمرني أن أدعو من الناس، وكرهت أن أعصيه، حتى امتلأ البيت والحجرة، فقال: يا أنس هل ترى من أحد؟ فقلت: لا يا نبي الله قال (ﷺ): هلم ذلك التور، فجئت به ووضعته قدامه، فغمس ثلاث أصابع في التور ودعا بالبركة، فجعل يربو ويرتفع، فأكلوا حتى فرغوا وبقي في التور نحو ما جئت به، فقال: احمل وضعه قدام زينب، فوضعته قدامها، وخرجت وأصفدت عليها بابا من جريد ويقول أنس: إنهم كانوا نحوًا من سبعين.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) ثلاثين ومئة،

فقال النبي (ﷺ): هل مع أحد طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم اشترى رسول الله شاة من رجل وأمر أن تشوى فأكل الثلاثون والمئة من سواد بطنها وخبأ للغائب منها قال: وجعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعين وشبعنا، وفضل في القصعتين فحملتا على البعير.

طلب رسول الله (ﷺ) من أبي هريرة أن يجمع له أصحاب الصفة فجمعهم، وجاؤوا واستأذنوا فأذن لهم رسول الله (ﷺ) ووضع بين أيديهم صحفة فيها ثريد من شعير، فوضع رسول الله (ﷺ) يده وقال: خذوا باسم الله، فأكلنا وشبعنا ثم رفعنا أيدينا فقيل لأبي هريرة: كم كانت الصحفة حين فرغتم؟ قال: مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله إن ابني به لمم، وأنه يأخذ عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، فقال: فمسح رسول الله (ﷺ) صدره، ودعا له، فثع ثعة، فخرج من فيه مثل الجرو الأسود.

وعن أم جندب قالت: رأيت رسول الله (ﷺ) رمى جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر وهو على دابته، ثم انصرف، فتبعته امرأة من خثعم ومعها صبي أصابه بلاء فقالت: يا رسول الله (ﷺ): إن هذا ابني وبقية أهلي، وإن به بلاء لا يتكلم، فقال رسول الله (ﷺ): إيتوني بشيء من ماء فأتى به، وغسل يديه ومضمض فاه، ثم أعطاه فقال: اسقيه، وصبِّي عليه منه، فقالت: إنما هو لهذا المبتلى، فلقيت المرأة من الحول، فسألتها عن الغلام، فقالت: برأ وعقل عقلاً ليس كعقول الناس.

ومن ذلك: حديث أبيض بن حمال أنه أتى النبي (ﷺ): وكان بوجهه حزازة -يعني القوباء- وقد التمع وجهه، فدعاه النبي (ﷺ) فمسح وجهه، فلم يمس

ذلك اليوم وفيه أثر.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) دخل على جابر بن عبد الله وهو مريض دنف قد أغمي عليه فقام (ﷺ) فتوضأ وصب عليه وضوءه، فعقل جابر وعوفي من مرضه.

ومن ذلك: أن رجلاً من أصحابه (ﷺ) ضرب في بعض غزواته بالسيف فتعلقت يده فآذته فأتى رسول الله (ﷺ) فنفث عليها فلزقت يده كأصح ما يكون.

وعن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال:

أتيت النبي (ﷺ) أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نستحيي أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده، قال: أسلمتم؟ قلنا: لا، قال: فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين، قال: فأسلمت، وشهدت مع رسول الله (ﷺ) فأصابتني ضربة على عاتقي فخانتني فتعلقت يدي، فأتيت النبي (ﷺ) فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأت، وقتلت الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي ضربني فقتلته، وحدثتني فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار.

ومنها: أن ملاعب الأسنة كان ممن ببطنه استسقاء فبعث إليه يستشفيه، فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها، ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجبًا يرى أن قد استهزئ به، فشربها فأطلق من مرضه.

وروي أن رسول الله (ﷺ) ذكر يوم عاشوراء وعظمه، وجعل يدعو صبيانه وصبيان فاطمة (ﷺ) الرضع فيتفل في أفواههم ويقول لأمهاتهم: لا ترضعنهن إلى الليل، قال: فكان ريقه (ﷺ) يجزئهم.

وعن عثمان بن حنيف أن رجلاً أعمى أتى النبي (ﷺ) فقال: إني أصبت في

بصري فادع الله تعالى لي، قال: توضأ، ثم صل ركعتين وقل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (ﷺ) نبي الرحمة يا محمد إني أستشفع بك إلى ربي في رد بصري، اللهم شفعني في بصري، وشفع نبيك فيّ.

قال: فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك، فرد الله عليه بصره.

وروى عن حبيب بن فديك: أن أباه خرج به إلى رسول الله (ﷺ) وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئًا، فسأله (ﷺ): ما أصابك؟، قال: وضعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري، فنفث رسول الله (ﷺ) في عينه فأبصر.

قال: فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه ابن ثمانين وإن عينه لمبيضتان.

ومن ذلك: ما ذكر قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: نأتي رسول الله (ﷺ) فنستشيره في ذلك، فجئنا رسول الله (ﷺ) فأخبرناه الخبر، فأدناه منه فرفع حدقته حتى وضعها في موضعها، ثم عمَّها براحتيه، وقال: اللهم اكسه جمالاً، قال: فمات، ولا يدري من لقيه أي عينه أصيبت.

ومن ذلك ما روت ابنة خباب بن الأرت قالت: خرج أبي في غزاة له ولم يدع لنا إلا شاه، وقال: إذا أردتم أن تحلبوها فأتوا بها أهل الصفة، قالت: فانطلقنا بها وإذا رسول الله (ﷺ) جالس، فأخذها واعتقلها فحلب ملأ القدح ثم قال: اذهبوا فأتوني بأعظم إناء عندكم، فذهبنا فلم نجد إلا الجفنة التي نعجن فيها، فأتينا بها فحلب (ﷺ) حتى ملأها، فقال (ﷺ): اذهبوا به واشربوا واسقوا جيرانكم، فإذا أردتم أن تحلبوها فأتوني بها، فكنا نختلف بها إليه، فأخصبنا حتى قدم أبي فأخذهاواعتقلها وحلبها، فعادت إلى لبنها، فقالت أمي: أفسدت علينا شاتنا! قال: وما ذاك؟ قالت: إن كانت لتحلب ملء هذه الجفنة، قال: ومن كان يحلبها؟ قالت: رسول الله (ﷺ)، قال خباب: أوقد

عدلتني به، هو والله أعظم بركة يدًا مني (ﷺ).

ومن ذلك: أن بشر بن معاوية قدم مع أبيه معاوية بن ثور، وكان معاوية قال لابنه بشر يوم قدم به وله ذؤابة: إذا جئت رسول الله (ﷺ) فقل ثلاث كلمات لا تنقص منهن ولا تزد عليهن، قل: السلام عليك يا رسول الله، أتيتك يا رسول الله لأسلم عليك، وأسلم إليك، تدعو لي بالبركة، قال بشر: فقلتهن، فمسح رسول الله (ﷺ) على رأسه ودعا له بالبركة، فكان في وجهه مسحة رسول الله (ﷺ) كأنها غرة، فكان لا يمسح شيئًا إلا برأ.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) أتي بغلام من الأنصار فمسح جبهته فنبتت له في جبهته كهلبة الفرس.

وعن جرير بن عبد الله قال: كنت لا أثبت على الخيل، وكنت أسقط عن فرسي، فقال لي رسول الله (ﷺ): ألا تريحني من ذي الخلصة، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) فضرب بيده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري فقال (ﷺ): اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا، فانطلقت في خمسين ومئة فارس مجاهدين كانوا أصحاب خيل، قال: فماوقعت عن فرس بعد.

وعن محمد بن المنكدر عن جابر قال: مر رسول الله (ﷺ) بموضع فقامت إليه امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي لا يقربني ولا يأتيني، فبينا هي كذلك إذ جاء زوجها فقال (ﷺ): إن هذه تزعم أنك لا تقربها ولا تأتيها فقال: عهدي بها البارحة، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم أدن كل واحد منهما من صاحبه -أو نحو ذلك- ثم مر بها النبي (ﷺ) بعد ذلك فقامت إليه فقالت: يا رسول الله لقد كلمتك بما كلمته به، وما على الأرض أحد أحب إليَّ منه.

منها: ما رواه جابر بن عبد الله أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا وترك ست بنات وعليه عشرون وسقًا دينًا، قال: فأتيت النبي (ﷺ) فبعث إلى غريمي، فأبى

إلا أن يأخذ الكل، فقال رسول الله (ﷺ): انطلق فأعطه، قال: فانطلقت إلى عريش لنا من النخل ومعي صاحبتي جزاها الله حسنًا، فعالجنا نخلنا وصرمنا، ولنا عنز نطعمها من الحشف، وقد سمنت، إذ أقبل رجلان، فإذا رسول الله (ﷺ) وعمر، فقلت: مرحبًا يا رسول الله ومرحبًا يا عمر، فقال رسول الله (ﷺ): انطلق بنا يا جابر حتى نطوف في نخلك، قال: فقلت: نعم، فأمرت بالعنز فذبح فطفنا ثم جيء بمائدة عليها رطب ولحم فقدمت إلى رسول الله (ﷺ) وعمر فأكلا، فلما أراد رسول الله (ﷺ) أن يخرج قالت صاحبتي: نرجو دعواتك يا رسول الله، فدعا بالبركة، فأرسلت إلى غرمائي بأحمرة وجواليق، وقد حدثت نفسي أن اشتري حتى أوفيهم ما كان على أبي من الدين، فوالذي نفسي بيده لقد أوفيتم عشرين وسقًا، وفضل لنا فضل، فأتيت النبي (ﷺ) وبشرته، فقال (ﷺ): اللهم لك الحمد.

وعن عمرو بن أخطب قال: استسقى رسول الله (ﷺ) فسقيته في قدح قوارير، فرأيت فيه شعرة فأخذتها، فقال (ﷺ): «اللهم جمله»، قال الراوي: فرأيته وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء.

وفي رواية أن النبي (ﷺ) قال: «أمتعه بشبابه»، وقال يعلى بن الأشدق العقيلي: سمعت النابغة الجعدي يقول: أتيت النبي (ﷺ) فأنشدته:

بلغنا السماء مجدنا وثراءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

فقال النبي (ﷺ): إلى أين المظهر يا أبا ليلى؟

فقال قلت: إلى الجنة، فقال رسول الله (ﷺ): إن شاء الله، فقلت:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي (ﷺ): لا يفضض الله فاك.

قال يعلى: فلقد رأيته وأتى عليه أكثر من مئة سنة، وكان من أحسن الناس ثغرًا.

وعن عروة بن الجعد البارقي قال: دفع إليّ رسول الله (ﷺ) دينارًا وأمرني أن أشتري له كبشًا يُضحى به، فاشتريته، فلقيني رجل فأربحني فيه دينارًا فبعته، ثم رجعت فاشتريت بأحد الدينارين كبشًا آخر ثم أتيت النبي (ﷺ) فقبض الكبش والدينار، وقال (ﷺ): اللهم بارك له في صفقة يمينه.

وفي رواية أنه قال: أعطاني النبي (ﷺ) دينارًا وقال: يا عروة إيت الجلب فاشتر لنا شاة، فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت شاتين بدينار، فجئت أسوقهما، فلقيني رجل في الطريق فساومني فبعته شاة بدينار، فجئت بالدينار وجئت بالشاة، فقلت: يا رسول الله، هذا ديناركم وهذه شاتكم، قال: (ﷺ): وما صنعت؟ قال: فحدثته الحديث، فقال: (ﷺ) اللهم بارك له في صفقة يمينه، قال: فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين دينارًا قبل أن أرجع إلى أهلي.

وروى عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وكانت تحت المقداد بن عمرو -قالت: إنما كان الناس يذهبون الغائط فرط اليوم واليومين والثلاثة فيبعرون كما تبعر الإبل، فلما كان ذات يوم خرج المقداد لحاجته إلى بقيع الغرقد، فدخل خربة لحاجته، فبينا هو جالس إذ أخرجت جرذ من جحر دينارًا، فلم يزل يخرج دينارًا دينارًا حتى أخرجت سبعة عشر دينارًا، ثم أخرجت طرف خرفة خمرًا، فقال المقداد: فقمت فأخذتها فوجدت فيها دينارًا فتمت ثمانية عشر دينارًا، فأخذتها فجئت رسول الله (ﷺ) فأخبرته خبرها فقال: هل اتبعت يداك الحجر؟ قلت: لا والذي بعثك بالحق، قال رسول الله (ﷺ): لاصدقه

فيها، بارك الله لك فيها.

قالت ضباعة: فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد.

وعن عمران بن حصين قال: كنت عند النبي (ﷺ) إذ أقبلت فاطمة (رضي الله عنها)، فنظرت إليها وقد ذهب الدم من وجهها وعلتها الصفرة من شدة الجوع، فنظر النبي (ﷺ) إليها فأدناها فقامت بين يديه، فوضع يده على صدرها في موضع القلادة وفرج أصابعه وقال (ﷺ): اللهم مشبع الحاجة، ورافع الوضعة، لا تجع فاطمة بنت محمد.

قال عمران: فنظرت إليها وقد علا الدم على الصفرة في وجهها فلقيتها بعد ذلك، قالت (رضي الله عنها): ما جعت بعد ذلك يا عمران.

ومن ذلك: دعاؤه (ﷺ) لعبد الله بن عباس وقوله (ﷺ): اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فكان أفقه خلق الله وأعلمهم، حتى سُمِّي البحر، فقيل: رأيت البحر، وسمعت البحر، وكان ابن عباس يقال له: البحر.

وعن ابن عباس قال: أتى النبي (ﷺ) الخلاء فوضعت له وضوءًا، فلما خرج قال (ﷺ): من وضع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال (ﷺ): اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وأعطه الحكمة. ودعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد، فكثر ماله وولده وعاش عمرًا طويلاً.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن رسول الله دخل على أم سليم فأتته بتمر وسويق فقال (ﷺ): أعيدوا تمركم في وعائه، وسمنكم في سقائه، فإني صائم، ثم قام إلى ناحية البيت فصلى بنا صلاة غير مكتوبة، ثم دعا لأم سليم ولأهلها بخير، فقالت: يا رسول الله إن لي خويصة، فقال (ﷺ): وما هي؟ قالت: أنس خادمك، فما ترك من أمر الدنيا والآخرة شيئًا إلّا دعا لي.

ثم قال (ﷺ): اللهم ارزقه مالاً وولدًا، وبارك له فيما أعطيته.

فقال أنس: أخبرني بعض ولدي أنه دفن من ولدي وولد ولدي أكثر من مئة، وما من الأنصار أحد أكثر مني مالاً.

وفي صحيح البخاري: وحدثتني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومئة، أخرجه في الصوم، باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم.

وأخرج مسلم من حديث ابن أبي طلحة قال: حدثنا أنس قال: جاءت بي أمي إلى رسول الله (ﷺ) وقد أزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم أكثر ماله وولده، قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون المئة اليوم.

وأخرج من حديث أبي عثمان، عن أنس قال: دعا لي رسول الله (ﷺ) ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في الدنيا، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): اللهم أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرهم نوالاً، وروي: اللهم أذق آخر قريش نوالاً كما أذقت أولها نكالاً.

وعن جابر، عن أبي بكر، عن بلال قال: أذنت في ليلة باردة فلم يأت أحد، فقال رسول الله (ﷺ): ما شأنهم؟ قلت: حبسهم البرد.

قال: فقال رسول الله (ﷺ): اللهم أذهب عنهم البرد.

قال: فرأيتهم في الصبح يتروحون من الحر.

وروى أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لبخيل، وإني لجبان، وإني لنؤوم، فادع الله لي، فدعا له رسول الله (ﷺ) أن تُسخى نفسه، وأن يُشجع جبنه، وأن يذهب بكثرة نومه.

قال الراوي: فما منا رجل أسخى نفسًا منه، ولا أشد بأسًا منه ولا أقل نومًا منه.

ومنها كذلك: قوله يومئذ لمحمد بن مسلمة لما برز إليهم مرحب فقال رسول الله (ﷺ): من لهذا؟ فقال محمد: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس -يعني لمحمد بن مسلمة- فقال له رسول الله (ﷺ): اللهم أعنه عليه، فقام إليه فقتله.

ومن ذلك: أن امرأة عربية أتت رسول الله (ﷺ) لتسلم فلما رأته أرعدت، فقال بيده (ﷺ): يا مسكينة عليك السكينة، فذهبت رعدتها.

ومن ذلك: أن مولى رسول الله (ﷺ) خرج معه في سفر فكلّ ركاب القوم وثقل عليهم متاعهم، فدعا به رسول الله (ﷺ) وجمع على ظهره ثقل أصحابه وقال له (ﷺ): احمل فإنما أنت سفينة، فكان بعد ذلك لو حمل حِمْلَ سبع بغال ما ثقل عليه ذلك.

ومن حديث سعيد بن جمهان، قال: لقيت سفينة مولى رسول الله (ﷺ) ببطن نخلة، فقال: خرج رسول الله (ﷺ) يمشي ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم، ثم حمله عليّ، فقال لي رسول الله (ﷺ): احمل فإنما أنت سفينة، قال: فلو حمل عليّ منذ يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة، أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي إلا أن يخفوا.

ويروى عن أبي دجانة أنه شكا إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله

بينا أنا مضجع في فراشي إذ سمعت في داري صريرًا كصرير الرحى، ودويًا كدويّ النحل، ولمعًا كلمع البرق، فرفعت رأسي فزعًا مرعوبًا، فإذا أنا بظل أسود مدلى يعلو ويطول في صحن داري، فأهويت إليه فلمسته فإذا جلده كجلد القنفذ، فرمى في وجهي مثل شرر النار، فظننت أنه قد أحرقني وأحرق معي داري.

فقال رسول الله (ﷺ): عامرك عامر سوء يا أبا دجانة، ائتني بدواة وقرطاس.

فأتاه بدواة وقرطاس فناوله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقال رسول الله (ﷺ): اكتب يا أبا الحسن، قال: وما أكتب، قال (ﷺ): اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى من طرق الدار من الزوار والمساكين إلا طارقًا يطرق بخير، أما بعد: فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن تك عاشقًا مولعًا أو فاجرًا مقتحمًا أو راغبًا حقًا أو مبطلاً، هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون، ورسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبادة الأصنام، وإلى من يزعم أن مع الله إلهًا آخر، لا إله إلا الله، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، تغلبون، حم لا تنصرون، حمعسق، تفرق أعداء الله، وبلغت حجة الله، ولا قوة إلا بالله، فيسكفيكهم الله وهو السميع العليم.

قال أبو دجانة: فأدرجت الكتاب، وصيرته تحت رأسي وبت ليلتي فما انتبهت إلا بصراخ صارخ يقول: احرقتنا واللات الكلمات يا أبا دجانة، بحق صاحبك لمَّا رفعت عنا الكتاب، فلا عود لنا في دارك ولا جوارك ولا في موضع فيه هذا الكتاب، قال: فقلت: لا وحق صاحبي لا أرفعنه حتى استأذن فيه صاحبي رسول الله (ﷺ) فطال عليَّ الليل بما سمعت من أنين الجن

وصراخهم، حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع النبي (ﷺ) وأخبرته بمقالة الجن، وما قلت لهم فقال رسول الله (ﷺ): يا أبا دجانة ارفع عن القوم العذاب، فوالذي بعثني بالحق نبيًا، إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة.

وروي عن عزة بنت عياض بن أبي قرصافة أنها سمعت جدها أبا قرصافة صاحب رسول الله (ﷺ) يقول: كان أول بدء إسلامي أني كنت يتيمًا بين أمي وخالتي وكان أكثر ميلي إلى خالتي، وكنت أرعى شويهات لي، وكانت خالتي كثيرًا ما تقول لي: يا بني لا تمر إلى هذا الرجل -تعني محمدًا- فيغويك ويضللك، قال: فكنت أخرج حتى آتى المرعى فأترك شويهاتي ثم آتي رسول الله (ﷺ) فلا أزال عنده أسمع منه، ثم أروح بغنمي ضمرًا يابسات الضروع، فقالت لي خالتي: ما لغنمك يابسات الضروع؟ قلت ما أدري، ثم عدت إليه اليوم الثاني لأسمع منه، فسمعته في خلال ذلك يقول (ﷺ): يا أيها الناس هاجروا، وتمسكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد، ثم رحت بغنمي كما رحت في اليوم الأول، ثم رحت إليه في اليوم الثالث فلم أزل عنده أسمع منه حتى أسلمت وبايعته وصافحته بيدي، ثم شكوت إليه أمر خالتي وغنمي، فقال لي رسول الله (ﷺ): جئني بالشياه، فجئته بهن، فمسح على ضروعهن ودعا فيهن بالبركة، فامتلأت شحمًا ولبنا، ثم رجعت بغنمي سمانًا، ممتلئات شحمًا ولبنًا، فلما دخلت على خالتي بهن، قالت لي: يا بني هكذا فارع، فقلت: والله يا خالتي ما رعيت إلَّا حيث أرعى كل يوم، ولكني أخبرك بقصتي، فأخبرتها بالقصة، وإتياني رسول الله (ﷺ)، وأخبرتها بسيرته وبكلامه فقالت لي أمي وخالتي: اذهب بنا إليه، فذهبت أنا وأمي وخالتي إليه، فأسلما، وبايعا رسول الله (ﷺ).

ومن ذلك أنه (ﷺ) بعث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى اليمن قاضيًا فقال: يا رسول الله، تبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء؟

فضرب رسول الله (ﷺ) بيده على صدره وقال: اذهب فإن الله سيهديك ويثبت قلبك.

فقال علي (رضي الله عنه): فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين.

ومن ذلك: ما قال أُبيّ بن كعب: إن رجلاً قرأ عند رسول الله (ﷺ) وأناحاضر بقراءة خلاف ما أقرأني رسول الله (ﷺ) فقال له (ﷺ): أحسنت، أحسنت، قال: فحك في صدري شك، فعرف رسول الله (ﷺ) ذلك فضرب بيده في صدري، وقال (ﷺ): اللهم أذهب عنه الشك ففضت عرقًا، وكأني أنظر إلى ربي فرقًا.

ومن حديث ابن أبي ليلى عن أبَيّ قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى صاحبه، فلما قضينا الصلاة. دخلنا جميعًا على رسول الله (ﷺ) فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله (ﷺ) فقرءا فحسن النبي (ﷺ) شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله (عز وجل) فرقًا، قال لي (ﷺ): يا أُبَيّ أرسل الله (عز وجل) إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إليّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: إن هوِّن على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألينها، فقلت (ﷺ): اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم (عليه السلام).

ومنها: أن سلمان الفارسي أتاه فأخبره أنه كاتب مواليه، ووافقوا على كذا وكذا ودية كلها تعلق، وكان ذلك غير مأمون عند سلمان لولا ما علم

من تأييد الله لنبيه (ﷺ) فجمعها له ثم قام معه فمرسها بيده، فما سقطت واحدة منها علقت، وبقيت علما يستشفى بثمرها، وترجى بركتها، وأعطاه (ﷺ) تبرة من ذهب كبيضة الديك، فقال (ﷺ): أوف منها أصحابك، فقال متعجلاً مستقلاً لما رأى: وأين تقع هذه مما عليّ؟ فأدارها (ﷺ) على لسانه، ثم أعطاه إياها، وقد كانت في ذاتها الأولى لا تفي بربع حقهم، فذهب بها فوفاهم بها حقهم.

ويروى عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) عطس فقال له ذمي: يرحمك الله يا أبا القاسم، فقال (ﷺ): يهديك الله، فأسلم.

ومن ذلك: قوله (ﷺ) لرجل عليه ثياب رثة: ما له ضرب الله عنقه في سبيل الله، فقتل الرجل في سبيل الله.

وعن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة أنمار، قال: فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله (ﷺ)، فقلت: يا رسول الله هلم إلى الظل، قال: فنزل رسول الله (ﷺ)، قال جابر: فقمت إلى غرارة لنا فالتمست فيها فإذا فيها جرو قثاء فكسرته ثم قربته إلى رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): من أين لكم هذا؟ فقلت: خرجنا به يا رسول الله من المدينة، قال جابر: وعندنا صاحب لنا نجهزه ليرعى ظهرنا، قال: فجهزته ثم أدبر ليذهب في الظهر وعليه بردان له قد خلقا، قال: فنظر إليه رسول الله (ﷺ) فقال: أما له ثوبان غير هذين؟ قال: فقلت: بلى يا رسول الله، له ثوبان في العيبة كسوته إياهما، قال: فادعه فمره فليلبسهما، قال: فدعوته فلبسهما، ثم ولّى يذهب، فقال رسول الله (ﷺ): ما له ضرب الله عنقه؟ أليس هذا خيرًا؟ فسمعه الرجل فقال: يا رسول الله في سبيل الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): في سبيل الله، فقتل الرجل في سبيل الله.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) أُتِـيَ بمولود فمسح رأسـه، ودعا له بخير فلما كبر الغلام شاب شعر رأسه إلا الموضع الذي مسحه رسول الله (ﷺ).

وعن إدريس بن محمد بن يونس قال: حدثني جدي يونس بن محمد بن أنس، عن أبيه قال: قدم النبي (ﷺ) وأنا ابن أسبوعين فأُتِيَ بي إليه فمسح رأسي، وحج بي حجة الوداع وأنا ابن عشر سنين، ودعا لي بالبركة، وقال (ﷺ): سمُّوه باسمي ولا تكنوُّه بكنيتي، قال يونس: فلقد عمر أبي حتى شاب كل شيء من أبي، وما شاب موضع يد النبي (ﷺ) من رأسه.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) غزا غزوة فأخذ أصحابه راعيًا مع غنمه، فأسلم الراعي، ثم قال: يا رسول الله كيف أضيّع الغنم؟! وإنما هي أمانة، فقال (ﷺ): ارمها بسبع حصيات، وقل عند كل حصاة: بسم الله، ففعل الرجل ذلك، فاشتدت الغنم نحو أربابها حتى بلغت حصونهم.

وعن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة خيبر، فخرجت سرية فأخذوا إنسانًا معه غنم يرعاها، فجاءوا به إلى رسول الله (ﷺ) فكلمه ما شاء أن يكلمه به فقال له: إني قد آمنت بك وبما جئت به، فكيف بالغنم يا رسول الله، فإنها أمانة، وهي للناس، الشاة والشاتان وأكثر من ذلك؟ قال: أحصب وجوهها ترجع إلى أهلها، قال: فأخذ قبضة من حصباء أو تراب فرمى به وجوهها، فخرجت تشتد حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله، ولم يصل لله سجدة قط، قال رسول الله (ﷺ): أدخلوه الخباء، فأدخل خباء رسول الله (ﷺ) حتى إذا فرغ رسول الله (ﷺ) دخل عليه ثم خرج فقال: لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه وإن عنده لزوجتين له من الحور العين.

ومن حديث ابن أبي أويس، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه

موسى بن عقبة: جاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم: ماذا تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فوقع في نفسه ذكر النبي (ﷺ) فأقبل بغنمه حتى عهد لرسول الله (ﷺ)، فلما جاءه قال: ماذا تقول؟ وماذا تدعو إليه؟ قال (ﷺ): أدعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبد إلا الله، قال العبد: فماذا لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال (ﷺ): لك الجنة إن مت على ذلك، فأسلم، وقال: يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة، قال رسول الله (ﷺ): أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك، ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم، فقام رسول الله (ﷺ) فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطاء الراية عليًا ودنوهم من الحصن، وقتل مرحب، قال: وقتل من المسلمين: العبد الأسود، ورجعت عادية اليهود، واحتمل المسلمون العبد الأسود إلى معسكرهم، فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله (ﷺ) اطلع في الفسطاط ثم أقبل على أصحابه فقال: لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير، قد كان الإسلام من نفسه حقًا، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين.

ومنها: أن قومًا من وفد عبد القيس أتوه بغنم فسألوه أن يجعل لهم علامة تذكر بها، فخمر رسول الله (ﷺ) إصبعه في أصول آذانها، فابيضت فهي تلك اليوم معروفة النسل ظاهرة الأمر.

ومن ذلك: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كان معه في سفر متأخرًا عن الناس على جمل بطيء، فقال (ﷺ): ما لك يا جابر؟ قال: قلت: جملي، فقال (ﷺ): أنخه، فأناخه، فنخسه رسول الله (ﷺ) بقضيب، قال جابر: فوالذي بعثه بالحق ما استطعت أن أحبسه، ووالله لقد صرت في أوائل الناس كما كنت في أواخرهم.

وفي رواية أنه قال: كنا مع رسول الله في سفر فلما رجعنا أبطأ بي جملي وأعيا، فتخلفت، فمر بي رسول الله (ﷺ) فقال: من هذا؟ قلت: جابر بن عبد الله، فقال (ﷺ): ما لك؟ قلت: إني على حمل ثقال، فقال (ﷺ): ما معك قضيب؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: (ﷺ) أعطنيه، فأعطيته إياه فضربه ونخسه نخسة أو نخستين ثم قال (ﷺ): اركب، قال: فما ركبت بعيرًا قبله ولا بعده كان أوسع ولا أوطأ منه.

ومن ذلك: ما روى جعيل الأشجعي قال: خرجت مع رسول الله (ﷺ) في بعض غزواته على فرس عجفاء مهزولة، فدنا مني فقال: سر، فقلت: يا رسول الله إنها عجفاء ضعيفة، فدنا مني فضربها بمخفقة معه وقال (ﷺ): اللهم بارك له فيها، وكنت في أخريات القوم، فما ملكت رأسها أن تقدم القوم، قال: وبعت من بطنها باثنى عشر ألفًا.

ومن ذلك: أن نفرًا من أصحابه (ﷺ) شكوا إليه أنهم إذا أكلوا لم يشبعوا، فقال (ﷺ): اجمعوا طعامكم وكلوا جميعًا، ولا تأكلوا وحدانا، ففعلوا ذلك فشبعوا.

ومنها: أن أهل المدينة مطروًا مطرًا خافوا أن يعقبه الغرق وانهدام البنيان، فأتوه (ﷺ) ألحّ ما كان المطر، وأركد ما كان السحاب، فشكوا إليه ذلك، فرفع يديه (ﷺ) إلى وليّه وقال (ﷺ): اللهم حوالينا ولا علينا، فلم يكن بين قوله وبين انجياب السحاب عن المدينة فرق، فأطاف من حوله مستديرًا، وهي في فجوة كالدار، فعاينوا أمرًا لم يكن ليتهيأ لأحد فيما خبروا من الأمطار، وجربوا من الأعلام مثله، يرى ذلك ظاهرًا مؤمنهم وكافرهم.

ومنها: أن أهل المدينة مطروا مطرًا ببركة دعائه (ﷺ) بعد أن شكوا إليه الهلاك، فأخرج الشيخان في الاستسقاء من صحيحيهما من حديث أنس بن

مالك، أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله (ﷺ) قائم يخطب، فاستقبل رسول الله (ﷺ) قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادفع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله (ﷺ) يديه إلى السماء، فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله (ﷺ) قائم يخطب فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وتهدمت البيوت، وتقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها، قال: فرفع رسول الله (ﷺ) يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب والأودية، ومنابت الشجر، وقال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.

وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، قال: أهدى إليَّ رسول الله (ﷺ) قوسًا فدفعها إليّ يوم أحد فرميت بها بين يدي رسول الله (ﷺ) حتى اندقت عن سنتها، ولم أزل عن مقامي نصب وجه رسول الله (ﷺ) أتقي السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله (ﷺ) ميلت رأسي لأقي وجه رسول الله (ﷺ) بلا رمي أو رمية، فكان آخرها سهمًا بدرت منه حدقتي على خدي وتفرق الجمع، فأخذت حدقتي بكفي فسعيت بها في كفي رسول الله (ﷺ)، فلما رآها رسول الله (ﷺ) في كفي دمعت عيناه، فقال (ﷺ): اللهم إن قتادة قد أوجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا.

ومنها أن امرأة أتت بصبي لها ترجو البركة بأن يمسه ويدعو له -وكانت به عاهة- فرحمها -والرحمة صفته- فمسح يده على رأس الصبي فاستوى شعره، وبرأ داؤه، وبلغ ذلك أهل اليمامة فأتت مسيلمة امرأة بصبي لها فمسح رأسه فصلع، وبقى نسله إلى يومنا هذا.

وقوله: لا وكانت به عاهة.

في حديث جابر بن عبد الله الطويل أنها قالت: يا رسول الله إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات -وفي رواية ابن عباس: وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا -قال جابر: فتناول النبي (ﷺ)- الصبي فجعله بينه وبين مقدم الرجل ثم قال: اخسأ عدو الله، أنا رسول الله، ثلاثًا، ثم دفعه إليها، وفي رواية ابن عباس: فمسح رسول الله (ﷺ) صدره ودعا، فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى.

ومن حديث ابن سيرين: أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله (ﷺ) فقالت:

هذا ابني وقد أتى عليه كذا وكذا، وهو كما ترى، فادع الله أن يميته، فقال (ﷺ): أدعو الله أن يشفيه ويشب، ويكون رجلاً صالحًا فيقاتل في سبيل الله فيقتل ويدخل الجنة، فدعا له فشفاه الله (عز وجل)، فشب وكان رجلاً صالحًا، فقاتل في سبيل الله فقتل، فدخل الجنة.

وقال سعيد بن المسيب: ذكر للنبي (ﷺ) أن أبا لبابة يقول: يا سماء اجمدي -لأجل تمر عنده- فقال رسول الله (ﷺ): اللهم اسقنا غيثًا يحمل تمر أبي لبابة من ثعلب مربده، ثم لا يجد ما يسده إلا إزاره، فأرسل الله السماء فاحتمل تمر أبي لبابة من ثعلب مربده فلم يجد شيئًا يسد به إلا إزاره، فسده به وهو يقول: صدق الله ورسوله.

وهذا لفظ البيهقي: استسقى رسول الله (ﷺ) يوم الجمعة فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، فقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله إن التمر في المرابد وما في السماء سحاب نراه، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلب مربده بإزاره، فأسبلت السماء ومطرت وصلى بنا رسول الله (ﷺ)

ثم طاف الأنصار بأبي لبابة يقولون له: يا أبا لبابة إن السماء والله لن تقلع حتى تقوم عريانًا تسد ثعلب مريدك بإزارك كما قال رسول الله (ﷺ)، قال: فقام أبو لبابة عريانًا يسد ثعلب مريده بإزاره فأقلعت السماء.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) نزل ذات يوم منزلاً فقال لرجل من أصحابه: اذهب فأتني بتلك العنزة فقال الرجل: وعهدي بذلك الموضع لا عنز فيه، فأتيته، فإذا بعنز حافل، فحلبتها ما شاء الله، فسقاني وشرب ثم أمرها فتقلصت، فلما اشتغلنا بالرحيل إذا العنز ذهبت، فقلت:

العنز يا رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ): ذهب بها ربها.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: نبينا نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) في المسجد إذ دخل أعرابي فقال:

يا رسول الله، أتينا وما لنا بعير يئط ولا صبي يصيح وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة	من الجوع ضعفًا وما يمر وما يجلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز العسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا	وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي (ﷺ) يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم رفع يديه نحو السماء، فقال (ﷺ): اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا مريعًا، غدقًا طبقًا سحا سجالاً، نافعًا غير ضار عاجلاً غير رائث، تملؤ به الضرع، وتنبت به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.

قال: فما تم كلامه حتى ألقت السماء بأرواقها، وجاء أهل البطانة

يصيحون: يا رسول الله الغرق الغرق، فقال النبي (ﷺ): اللهم حوالينا ولا علينا.

قال: فانجابت السحابة عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، قال: فضحك النبي (ﷺ) حتى بدت نواجذه وكان أكثر ضحكه ثم قال (ﷺ): الله در أبي طالب لو كان حيًا قرتا عيناه من يشندنا قوله؟

فقام علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فقال: يا رسول الله لعلك أردت قوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله لا تخرجون ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال النبي (ﷺ): أجل قال: فقام أعرابي من بني كنانة فقال:

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... فأرخى وأشخص منه البصر
فما كان إلا وألقى الرداء ... وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق العوالي وجم البعاق ... أغاث به الله ربي مضر
وكان كما قال عمه أبو ... طالب أبيض ذو غرر
بذاك سقى الله صوب الغمام ... فهذا العيان لذاك الخبر
ومن يشكر الله يلقى المزيد ... ومن يكفر الله يلقى الغير

قال رسول الله (ﷺ): إن يك شاعر يحسن، فقد أحسنت.

روى سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن النبي (ﷺ) دعا فقال: اللهم بارك لنا في مكتنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، فقال رجل: يا رسول الله وفي عراقنا، فأعرض عنه، فرددها ثلاثًا كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا، فيعرض عنه رسول الله (ﷺ)، فقال (ﷺ): بها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) كان يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين من أهل مكة، اللهم أشدد وطأتك على مضر، وخذهم بسنين كسني يوسف، قال: فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز.

والعلهز: الوبر بالدم.

وروى عن بهية بنت عبد الله البكرية أنها قالت: لما سارع الناس في الإسلام أصابنا جهد شديد، فخرج أبي، وأخرجوا نساءهم وبناتهم، وكنا بماء بظهر الكوفة يقال له: فيد، وكنت مع أبي، فقدمنا على رسول الله (ﷺ) قالت: فأسلم الرجال والصبيان فبايعهم رسول الله (ﷺ) وصافحهم، وبايع النساء ولم يصافحهم، ثم نظر إليّ فمسح رأسي ودعا لي وقال (ﷺ): اللهم بارك فيها وفي نسلها.

قال: فبلغ ولدها ثمانين رجلاً وأربعين امرأة، قالت: وقتل من بنيه أربعون رجلاً في سبيل الله.

وروت أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قالت: خرج بي خراج فتخوفت منه، فسألت النبي (ﷺ) فقال (ﷺ): ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: بسم الله، اللهم أذهب عني ما أجده بدعوة نبيك الصادق الطيب المبارك المكين عندك، قالت: ففعلته فانخفض.

وأخرج له شاهدًا من حديث يزيد بن نوح بن ذكوان: أن النبي (ﷺ) لما بعث عبد الله بن رواحة مع زيد وجعفر إلى مؤتة، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله إني أشتكي ضرسي، آذاني واشتد عليّ، فقال (ﷺ): ادن مني، والذي بعثني بالحق لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربة، فوضع رسول الله (ﷺ) يده على الخد الذي فيه الوجع وقال: اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك، سبع مرات، قال: فشفاه الله (عز وجل) قبل أن يبرح.

وصحت الرواية: أن رسول الله (ﷺ) دعا لسعد بن أبي وقاص أن يستجيب الله دعوته، فقال (ﷺ): اللهم أجب سعدًا إذا دعاك، قال: فكان لا يدعو بشيء إلا استجيب له.

وروي عن سلمان الفارسي قال: خرجت مع رسول الله (ﷺ) أعود رجلاً من أصحابه، فدخل عليه فإذا أهله عنده، فوضع رسول الله (ﷺ) يده على جبينه ثم نادى: كيف تجدك؟ فلم يجب إليه شيئًا، فقال أهله: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله إنه لموعك مشغول، قال (ﷺ): خلوا بيني وبينه، فأشار إليه المريض بأن أعد يدك مكانها حيث كانت، ففعل ثم ناداه: ما تجد وما ترى؟ قال: أجدني بخير كأنه وجد ليده (ﷺ) راحة ثم ناداه: ما ترى؟ قال: يدنو مني رجلان أحدهما أبيض والآخر أسود قال (ﷺ): أيهما أقرب منك؟ قال: الأسود، قال (ﷺ): وما ترى؟ قال: أرى الخير والشر، فَمُنَّ عليّ يا رسول الله بأبي وأمي منك بدعوة، فقال النبي (ﷺ): اللهم أتم القليل واغفر الكثير، ثم ناداه: ما ترى؟ قال: استأخر عني الأسود واقترب مني الأبيض، وإن الشر ينجفل، وإن الخير ينمو، قال (ﷺ): أي عملك كان أملك بك؟ قال: كنت أسقي الناس، قال: اسمع يا سلمان هل تنكر مني شيئًا قال: نعم، بأبي وأمي، قد رأيتك على مثل ذلك، فقال النبي (ﷺ): إني لأعلم ما يلقى، ما منه عرق إلا يألم بالموت

على حدته.

ومن ذلك أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) فاستأذنه، فمسح رسول الله (ﷺ) صدره ودعا له، قال: فلم ير بالمدينة شاب أفضل منه.

وعن طريق أبي داود، حدثنا مطر بن عبد الرحمن الأعنق، حدثتني امرأة منا من عبد القيس يقال لها أم أبان بنت الزارع، عن جدها الزارع: أنه وفد إلى رسول الله (ﷺ) وخرج معه بأخيه لأمه -يقال لها مطر بن هلال، من عنزة- وخرج بابن أخ له مجنون، ومعهم الأشج، وكان اسمه منذر بن عائذ، فقال المنذر: يا زارع خرجت معنا برجل مجنون وفتى شاب ليس منا، وافدين إلى رسول الله (ﷺ)؟ قال الزارع: أما المصاب فآتى به رسول الله (ﷺ) يدعو له، عسى أن يعافيه الله، وأما الفتى العنزي فإنه أخي لأمي، وأرجو أن يدعو له النبي (ﷺ) بدعوة، تصيبه فما عدا أن قدمنا المدينة قيل: هذا رسول الله (ﷺ) فما تمالكنا أن وثبنا عن رواحلنا، فانطلقنا إليه سراعًا، فأخذنا يديه ورجليه نقبلهما، وأناخ المنذر راحلته، فعقلهما، وذاك بعين النبي (ﷺ) ثم عمد إلى رواحلنا، فأناخها راحلة راحلة، فعقلها كلها، ثم عمد إلى عيبته ففتحها، فوضع عنه ثياب السفر، ثم أتى يمشي، فقال النبي (ﷺ): يا أشج إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله، قال: وما هما بأبي وأمي؟ قال: الحلم، والأناة، قال: فأنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال (ﷺ) الله جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله، قال الزارع: يا نبي الله بأبي وأمي، جئت بابن أخ لي مصاب، لتدعو الله له وهو في الركاب، قال (ﷺ): فأت به، قال: فأتيته وقد رأيت الذي صنع الأشج، فأخذت عيبتي، فأخرجت منها ثوبين حسنين، وألقيت عنه ثياب السفر، وألبستهما إياه، ثم أخذت بيده، فجئت به النبي (ﷺ)، وهو ينظر نظر المجنون، فقال النبي (ﷺ): اجعل ظهره من قبلي، فأقمته، فجعلت ظهره من قبل النبي (ﷺ) ووجهه من

قبلي، فأخذه، ثم جره بمجامع ردائه، فرفع يده حتى رأيت بياض إبطيه ثم ضرب بثوبه ظهره، وقال (ﷺ): اخرج عدو الله، فالتفت فإذا هو ينظر نظر الصحيح، ثم أقعده بين يديه فدعا له، ومسح وجهه، قال: فلم تزل تلك المسحة في وجهه، وهو شيخ كبير، كأن وجهه وجه عذراء شبابًا، وما كان في القوم رجل يفضل عليه بعد دعوة النبي (ﷺ).



المحتويات